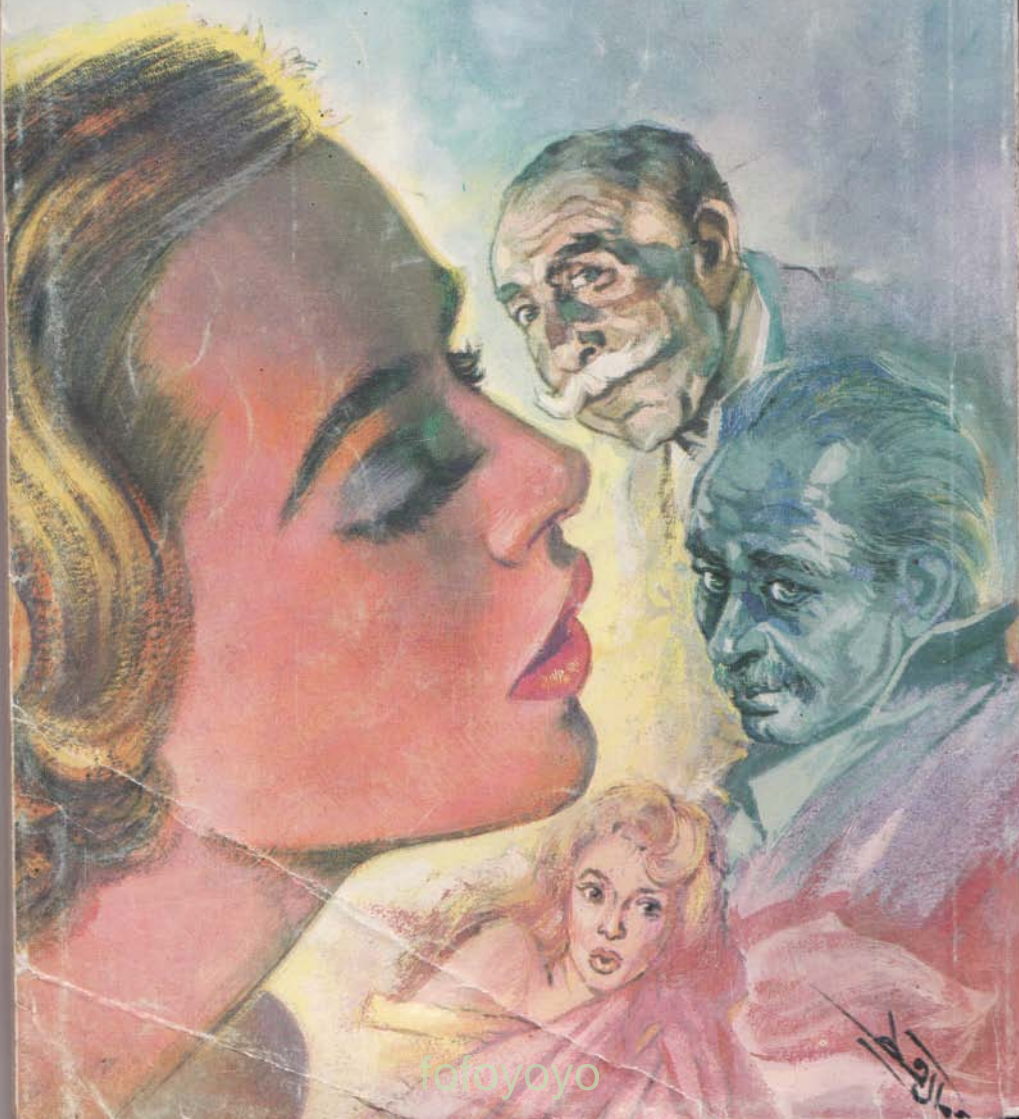


وی وومی وایسائی



وَمِنْ رُوحِي وَابْنِ مَعْنَى

إحسان عبد القدوس

دمي ودموعي وابتسامتي

الناشر: مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي "الغزالة"

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه

المقدمة

أنا .. والسينما ..

قصتى مع العمل السينمائى — أو ما يمكن أن يسمى « الأدب السينمائى » — قصة طويلة ، انتهت منذ سنوات طويلة بتأكيد ايمانى بأن العمل السينمائى يختلف عن العمل الأدبى المجرد ، بأنه عمل جماعى يجمع بين مؤلف القصة ، وكاتب السيناريو ، والمخرج ، والمصور ، والممثل والممثلة .. و .. و .. والمنتج صاحب رأس المال .. ولا يمكن أن ينفرد أى واحد من هؤلاء بحرية العمل الفنى ، كما لا يمكن أن ينفرد أى واحد من كل هؤلاء بالمسئولية وحده ، سواء كانت مسئولية النجاح أو مسئولية الفشل .. وإذا كان داخل العمل السينمائى نوع من الديكتاتورية ، فان الديكتاتور الأول الذى يتحكم فى كل هؤلاء هو المنتج صاحب رأس المال الذى يبدأ العمل بالمشروع ويضعه فى حدود ذوقه الفنى وتخطيطه التجارى ودوافعه الشخصية ، أما الديكتاتور الثانى فهو المخرج لأنه هو الذى يتولى مسئولية تنفيذ العمل فى حدود قدراته الفنية وطبيعة تكوينه الشخصى ..

ولذا .. ولأن العمل السينمائى عمل جماعى يتطلب نوعا من التفرغ حتى يستكمل التوفيق بين كل المشتركين فيه ، ولأنه عمل

القدوس — المحامى » .. وحاولت .. وحاولت .. وكان من بين ما حاولته أن أكتب قصصا سينمائية ، وكتبت فعلا قصتين سينمائييتين .. وكان الدافع الأساسى لى هو أن السينما أيامها كانت ميدانا جديدا ناجحا واسعا ، حتى كان يقال ان صناعة السينما هى الصناعة الثانية فى مصر بعد صناعة النسيج .. وأردت أن أجرب نفسى فى هذا الميدان الواسع ، وأن أستغل فيه قدرتى على الكتابة .. أى أن الدافع لم يكن تمكنى من الفن السينمائى أو هوايتى لهذا الفن ، ولكنه كان مجرد محاولة تجربة النجاح فى كل مجال ..

واحترت لمن أقدم القصتين السينمائيتين اللتين كتبتهما ، فلم أكن قد عرفت بعد ككاتب قصة ، ولم يكن لى اسم بين ناشرى القصص أو منتجى الأفلام السينمائية .. وبينى وبين نفسى قررت أن أعرضهما على الأستاذ محمد عبد الوهاب ، فقد كان أيامها — كما لا يزال — صاحب شركة سينمائية ، وهو صديق العائلة وصديقى ..

وكان مكتب عبد الوهاب فى عمارة الإيموبيليا بشوارع قصر النيل ..

ودهبت ..

وما حدث أضغ نفسى فى المصعد حتى التقيت بالسيدة عزيزة أمير ، وهى أيضا منتجة سينمائية ، وصديقة للعائلة ، وسبق أن كتب لها والدى الأستاذ محمد عبد القدوس قصة فيلم من أفلامها وهو فيلم « بنت النيل » وهو ثانى فيلم ينتج فى تاريخ السينما العربية ، وكانت قصته مقتبسة من مسرحية « احسان بك » التى كان والدى قد سبق أن كتبها ومثلتها عزيزة أمير على المسرح — قبل السينما — وأطلق عليها اسمى بدافع حب الأب لابنه .. رحمه الله ..

لا يحقق الحرية الفردية للانتاج الفنى ، ولأن القصة هى عنصر واحد ضمن العناصر الكثيرة التى يتألف منها العمل السينمائى .. لهذا : قررت منذ البداية ألا أحمل نفسى مسئولية أى عمل سينمائى ، لأنى أفضل أن أعيش فى حريتى الفردية عندما أكتب قصة ، ولأنى أفضل أن أقدم القصة كعمل أدبى مستقل .. واكتفيت دائما بأن أعطى حق انتاج القصص التى أكتبها — وبعد نشرها — لأول من يتقدم من المنتجين السينمائيين دون أن أتحمّل أى مسئولية فى هذا الانتاج السينمائى ، ودون أن أبذل أى جهد الا جهد ابداء الراى فى السيناريو السينمائى بعد أعداده ، ومدى تعبيره وارتباطه بالقصة التى كتبتها . وذلك اذا طلب منى ابداء الراى ..

ورغم ذلك فقد تعرضت للعمل داخل المجال السينمائى فى عدة حالات كانت معظمها حالات تفرضا ظروف خارجة عن ارادتى ..

وكانت المحاولة الاولى لى للعمل السينمائى عقب تخرجى من الجامعة مباشرة وتفرغى لبناء مستقبلى العملى ، أى فى عام ١٩٤٢ .. منذ ثلاثين عاما ..

فى هذه الأيام ، ورغم ارتباطى بالأصيلة ، وهى الكتابة بالقلم ، فقد كنت حائرا بين مختلف الطرق ، وكنت أجرب كل طريق .. كنت أعمل بالصحافة كصحفى ، لا ككاتب مقال أو أديب .. ورغم أن والدتى السيدة فاطمة اليوسف هى صاحبة دار « روز اليوسف » الا انى جربت العمل فى جميع الصحف فعملت فى دار الهلال ، وآخر ساعة ، والمصرى ، والأهرام ، والزمان . والجرنال دى ايجبت .. وحاولت أن أعمل فى الطباعة كمدير مطابع .. وحاولت أن أشتغل بالمحامة ، واشتغلت بها فعلا مدة عامين . وعلقت على بابى يافطة مكتوب عليها « احسان عبد

وسألتنى عزيزة أمير ونحن فى المصعد :
— الى أين ؟

قلت :

— الى الأستاذ عبد الوهاب لأعرض عليه قصة كتبته ..
رتالت السيدة عزيزة أمير فى عتاب حلو كعتاب الأم ، ولعلها
قدرت أئى ربما أكون قد ورثت القدرة على كتابة القصة عن
والدى :

— تعرض على عبد الوهاب ، قبل أن تعرض على .. لا يمكن
.. تعال ..

وأخذتنى من يدى الى مكتب شركتها السينمائية الذى كان فى
نفس المبنى . وأجلستنى أمامها ، وقالت فى لهجة أمرة تعبر عن
طبيعتها :

— اقرا ..

وقرأت ..

وذهلت للاعجاب الذى أبدته السيدة عزيزة بالقصتين فلم أكن
قد تعودت بعد على أن يعجب أحد بما أكتب ، وذهلت أكثر عندما
قالت إن شخصية الفتاة فى إحدى القصتين تصلح لتقوم هى
شخصيا بتمثيلها ، فقد كانت شخصية فتاة فى السابعة عشرة
من عمرها ..

وقلت للسيدة عزيزة :

— ولكنها شخصية فتاة صغيرة ..

وقالت فى بساطة :

— نكبرها ..

واشترت منى القصتين .. بثمانين جنيها للقصة .. وأعطتنى
شيكاً يحل مبلغ مائة وستين جنيها .. ولم أنظر فى الشيك ..
انما أطلقت عليه بكل أصابعى ثم دسست أصابعى فى جيبي . ولم

أتكلم .. كنت مبهوراً شارداً ، أكاد لا أصدق وجودى ..

كانت هذه هى أول مرة يدخل جيبى مبلغ يصل الى مائة
جنيه ..

أول مرة أكسب من عملى مثل هذا الكسب ..

وكان أكثر ما أستطيع أن أكسبه حتى ذاك اليوم هو مبلغ
عشرين جنيها فى الشهر ، إذا كان شهراً سعيداً ، وأقل من ذلك
بكثير فى معظم شهور السنة .. فرغم أنى كنت أعمل صحفياً فى
مجلة روز اليوسف ورغم أن روز اليوسف هى أمى ، فلم تكن
تعطينى الا اثنى عشر جنيها كمرتب شهري .. ولم أكن أعترض ،
بل لم أكن أحس أنها تبخل على بشيء .. كنت مؤمناً بأن هذا هو
ما يساويه عملى الصحفى .. لدرجة أنى تركت روز اليوسف فى
فترة ما وعملت فى مجلة آخر ساعة عندما كان يملكها الأستاذ محمد
التابعى .. وقرر لى الأستاذ التابعى مرتباً قدره خمسة وعشرون
جنيها فى الشهر ، فاعتقدت أنه يجاملنى اكراماً لوالدتى ، ولأنه
كان بمثابة أبى الروحى ، فقد كتبت فى الخامسة من عمري عندما
بدأ يعمل فى روز اليوسف .. ورفضت المرتب الذى قرره لى ،
وقلت له انى كنت أتقاضى اثنى عشر جنيها فى الشهر ، ولم
أقدم جديداً أستحق الزيادة ..

ولا شك أن الأستاذ التابعى اتهمنى أيامها بالجنون ، وعندما
عجز عن اقتناعى قال لى انه سيخفض مرتبى الى عشرين جنيهاً ،
ويحتفظ لى بالباقى فى خزانة الصحيفة اذا احتجت اليه ، ثم دعانى
باحساس الأب الروحى والصديق الكبير الى أن أقيم معه فى
بيته ، حتى يوفر على تكاليف المعيشة .. وقد أقمت معه فعلاً الى أن
عدت للعمل فى روز اليوسف ارتباطاً بأمى .. وعدت الى مرتب
الاثنى عشر جنيها ..

هذه ذكريات استعدتها وأنا أتذكر أول مائة جنيه دخلت جيبي
من وراء العمل السينمائي .

ولا أدري ماذا نم فى القصتين اللتين أخذتهما منى السيدة
عزيزة أمير رحمها الله . . فقد حضرت معها عدة اجتماعات
للاشتراك فى صياغة سيناريو القصة وتعلمت فى هذه الاجتماعات
الكثير مما كنت لا أعرفه عن الفن السينمائي . . تعلمت أن وضع
السيناريو ليس عملا فرديا ، يعتمد على خيال أديب ، ولكنه عمل
جماعى يمكن أن يتم خلال دردشة فى جلسة تضم المخرج ، البطل
أو البطلة ، والمنتج . .

ويقول المخرج — مثلا — أثناء الدردشة :

— أنا من رأيى نخلى البنيت تضرب الولد قلمين . .

وتقول بطلة الفيلم :

— لا . . أنا ما أحبش أضرب حد قدام الجمهور . .

ويرد المنتج :

— يا أخوانا . . منظر الضرب ده طلع فى أفلام كتير . . أشوف

لكم حاجة تانيه . .

وهكذا نستمر الدردشة الى أن ينتهى وضع السيناريو .
وأحيانا يبدأ التصوير والسيناريو لم ينته بعد ، وقبل أن تعرف
البطلة والبطل مصيرهما فى القصة أمام الجمهور . .

وتعلمت من السيدة عزيزة أمير أيضا أن العمل السينمائي
يعتمد أساسا على قدرة الكاميرا ، وعلى اختيار المناظر ، وعلى
دراسة السوق التجارى الذى يمكن أن يتغير من حين لآخر . .
فالسوق التجارى قد يفضل فى أحد المواسم عرض الأفلام التى
تصور قصصا عاطفية ، وفى موسم آخر يفضل الأفلام التى تصور
قصصا عن الجرائم أو قصصا استعراضية . . و . . و . . وهكذا

اعتمادا على تغير ذوق الجمهور واحتياجاته من حين لآخر . . أى
أن الأفلام كالموضات النسائية ، تتغير مواضعها كل عام . . وبجانب
كل هذا تعلمت أن المنتج يستطيع كل شىء خصوصا إذا كان هو
فى الوقت نفسه بطل الفيلم ، وذلك عندما طلبت السيدة عزيزة
أمير أن تبذل بطلة القصة من فتاة عمرها سبعة عشر عاما الى
سيدة فى الثلاثين حتى يصلح الدور لتقوم هى بتمثيله . . و . .
واستمرت هذه الاجتماعات ، ثم انقطعت عنها ولم أعد أسمع عن
القصص التى كتبتها للسينما شيئا . . ثم . .

بعد أكثر من خمسة عشر عاما ، وبعد أن عرفت ككاتب للقصص
جاعنى المرحوم محمود ذو الفقار — وكان زوجا للسيدة عزيزة
أمير — وذكرنى بهاتين القصتين ، وقال لى أنه قرر إنتاجهما
سينمائيا . . وأصررت على الرفض . . وقلت له ان ما كتبتة فى
بداية الطريق لا يمكن أن يعبر عنى بعد أن اجتزت كل هذه
المراحل . .

وبعدها انقطعت عن كل المحاولات بما فيها محاولة الاشتغال
بالمحامة ، وتفرغت للعمل الصحفى ، والكتابة السياسية ، ولانى
أهوى كتابة القصص ، وأكتبها منذ كنت فى العاشرة من عمرى ،
فقد مضيت فى كتابتها كلما وجدت فراغا أمارس فيه هواياتى . .
وأكتبها قصصا أدبية للنشر والقراءة ، لا للسينما . .

وحتى قبل ثورة ٢٣ يوليو لم تكن القصص التى أكتبها تثير
الانتباه أو الضجة ، فقد كان كل الانتباه والضجة مركزين حول
المقالات والحملات السياسية التى أكتبها وأمهدها بالثورة ، ثم
بعد أن تمت الثورة واستقر الوضع السياسى بدأت القصص تثير
انتباه القراء وتثير الضجيج حولها أكثر مما تثيره المقالات

والتعليقات السياسية .. وأصبحت أفاعاً بأصحاب شركات الإنتاج السينمائي يترددون على عارضين وملحين فى إنتاج القصص التى أكتبها والتى سبق أن كتبت ونشرت منذ سنوات ..

وطبعاً كنت أوافق ، فإن كل كاتب يرحب بأن يعرض شخصيات ومواضيع قصصه فى كل مجال ..

وقد بدأت بأن كنت حريصاً على الصورة التى ستبدو بها قصصى على الشاشة ، وكنت أشترط فى العقود التى أوقعها ، أن يكون لى الكثير من الحقوق ، أولها حق الموافقة على السيناريو والحوار وتمثيل الشخصيات و .. و .. و .. ولكنى اكتشفت سريعاً أن كل هذه الحقوق لا قيمة لها ، وإنى إذا أردت أن أفرض ما أريده ، فيجب أن أتفرغ كلياً للعمل السينمائي وأن أتولى مسؤوليته كاملة بما فيها مسؤولية رأس المال ، وحتى بعد ذلك أن أستطيع أن أصنع من فيلم سينمائي صورة طبق الأصل لقصته مكتوبة ومنشورة للقراء ، وذلك للفرق الكبير بين الإنتاج الأدبي والإنتاج السينمائي .. أو بين ما يتطلبه الأدب المجرى ، وأدب السينما ..

بالإنتاج الأدبي — كما قلت — عمل فردى يقوم به المؤلف نفسه ، والإنتاج السينمائي عمل جماعى يتعاون فيه مجموعة من الناس ..

الإنتاج الأدبي يعتمد على تحريك وإطلاق حرية خيال القارئ ، الإنتاج السينمائي يعتمد على جذب وحصر خيال المتفرج فى حدود ..

الإنتاج الأدبي يحتاج الى آلة واحدة يحركها وهى القلم ، أما الإنتاج السينمائي فيحتاج الى عشرات الآلات يعتمد الإنتاج على ريتائر بها .. فالكاتب مثلاً يستطيع أن يصور بقلمه معركة

كاملة بكل تفاصيلها ، وهو واثق أن القارئ سيرها كلها بخياله ، أما العمل السينمائي فيحتاج الى معركة حقيقية حتى يصورها ولو كانت مجرد تمثيل واقع ، ويحتاج فى تصويرها الى عشرات وربما مئات من الآلات .. وهذه الآلات تحد من حرية الفنان فى إبداعه الفنى وتضغط انطلاقته ..

الإنتاج الأدبي لا يحتاج الى رأس مال كبير مركز ، فالقصة يمكن أن تنشر فى صفحات جريدة ، أو فى كتاب لا يحتاج إخراجها الى رأس مال كبير ، أما العمل السينمائي فيحتاج الى رأس مال مركز . وعلى قدر قيمة رأس المال تتوقف درجات الإنتاج السينمائي وقدرته على إبراز الفن ..

كل هذه الأسباب ، وغيرها كثير . جعلتني أستسلم كلية للمسؤولين عن العمل السينمائي ، ولم أستسلم إلا بعد أن اختلفت مع كثير من المنتجين حول الصورة السينمائية التى يقدمونها للقصص . وكان يعزبني فى استسلامي أن كل أدباء العالم وأكبر كتابه قد استسلموا قبلى ، وكما قال القصاص الايطالى المعروف البرتو مورافيا فى حديث له نشر أخيراً :

— إن كل ما بيني وبين السينما هو أن أبيع وأقبض الثمن .
ولماذا بقيت دائماً مبتعداً عن العمل السينمائي ..
ولكن ..

رغم هذا ، كانت تصادفنى ظروف ومناسبات تدفعنى الى أن أكتب قصصاً سينمائية .. قصصاً ليست معدة للنشر والقراءة ولكنها معدة للتصوير السينمائي .. ومن ناحية أخرى فهى قصص لا تعتمد على تحريك خيال القارئ ، ولكنها معدة لربط عيني المتفرج بالصورة .. والفرق بين النوعين فى السياق والبناء والتعبير ، فرق كبير .. مع العلم انى دائماً أكتفى بكتابة قصة الفيلم لا السيناريو : أى أكتفى بسرد الموضوع ، والأحداث ،

والشخصيات ، وأترك تحديد اللقطات السينمائية لكاتب السيناريو ..

من هذه القصص ، قصة فيلم « الله معنا » ..

كنا فى العام الأول من الثورة ، وطلب منى أن اصور قصة الثورة فى فيلم سينمائى .. وكتبت القصة .. قصة الضباط الأحرار ، والأسلحة الفاسدة ، والملك فاروق والأحزاب القديمة ، والصحافة والشعب .. وكنت مؤمنا أن الناس فى حاجة الى رؤية كل هذا فى قصة ، وأن أسرع طريق وأقربه الى الناس لتقديم هذه القصة هو العمل السينمائى .. وسهرت ليلالى أكتب وأنا أحاول أن أكون سينمائيا .. وبذل استديو مصر جهدا كبيرا حتى أصبحت القصة معدة للعرض السينمائى فى مدة قصيرة ..

ولكن ..

كانت الثورة تجتاز أيامها مرحلة التنظيم والاستقرار الداخلى ، وقد تعرضت هذه المرحلة لفترة قلق وتوتر سياسى ، وتم فيها كثير من التغييرات القيادية ، كما امتلأ جو هذه المرحلة بكثير من الإشاعات والدسائس .. وكل هذا شمل فيلم « الله معنا » ، وأحاطه بكثير من الإشاعات كدت أنا شخصا أروح ضحيتها ، مما أدى الى أن يبقى الفيلم مختبئا داخل العلب الصفيح حوالى ثلاث سنوات .. ومما أدى الى أن الرئيس أنور السادات تردد بنفسه عدة مرات على استديو مصر ليشاهد الفيلم فى عرض خاص ساعيا الى اطلاق حريته وعرضه على الجمهور ..

الى أن كنت يوما مع المغفور له الزعيم الخالد جمال عبد الناصر وجاءت سيرة « الله معنا » خلال الحديث ، فقرر الزعيم أن يراه بنفسه ، وتفضل ودعانى الى مبنى الاستراحة التى كان يقضى فيها أيام راحته فى القناطر الخيرية .. وهناك عرض الفيلم على الرئيس

وأنا معه .. ودهش رحمه الله بعد أن شاهد الفيلم من كذب الأسباب التى كانت تتردد والتى أدت الى وقف عرضه ، وأمر بعرضه فعلا ، وتفضل - تحية وتأييدا للجهد الذى بذل فى هذا الفيلم - وحصر بنفسه افتتاح عرض الفيلم فى سينما ريفولى .. وربما كان هذا أول فيلم يحضر جمال عبد الناصر وبصفته الرسمية حفل افتتاح عرضه ..

ولا يزال « الله معنا » يعرض حتى اليوم على شاشة التلفزيون وبعد كل هذه السنوات ، فى كل عيد من أعياد الثورة .. دون أن يدرى احد مدى ما عانيته وما تعرضت له يوم كتبت قصة هذا الفيلم ..

وكانت هذه أول قصة سينمائية أكتبها وتعرض على الشاشة .

وبعدها عدت مبتعدا عن العمل السينمائى ..

ولكن ..

بعد سنوات طويلة طلبت منى مؤسسة السينما أن أكتب قصة سينمائية عن معركة بورسعيد واعتداء عام ١٩٥٦ وقلت لهم انى كتبت قصة « لا تطفئ الشمس » من وحى هذه المعركة ، وان كانت السينما قد اختصرت منها المعركة عندما أنتجتها .. ولكن رجال المؤسسة أصروا على أن أكتب قصة أخرى ، لأنهم يريدون أن ينتجوا فيلما يعرضونه فى الخارج .. فى جميع أنحاء العالم . وتحمست وكتبت قصة « البحث عن ضابط » عبرت فيها سينمائيا عن شعاع يقول ان السجن الصغير فى بلد حر ، خير من الحرية فى بلد سجين ..

ولا أدري ماذا حدث للقصة بعد أن قدمتها ، كل ما أدريه أنه جرت تغييرات ادارية فى وظائف مؤسسة السينما .. تغير رئيس مجلس الإدارة أكثر من مرة ، وتغير الموظفون .. وأصبح شغل

كقصص سينمائية ، ولأنى كنت أيامها أعانى من الاحساس بالفراغ ،
فقد قبلت ان أشتريك - ولأول مرة - فى كتابة السيناريو والحوار .
وقد عرضتلى هذه التجربة لمشكلة العمل الجماعى وما يمكن ان
يؤدى اليه من مناقشات وخلافات .. وقد حدث بعد ان انتهيت
من كتابة السيناريو والحوار ، ان أعادت الى الشركة الأوراق مع
رجاء اجراء بعض التعديلات ..

ورفضت الموافقة على اجراء أى تعديل ، رغم ان التعديلات
المطلوبة لم تكن كبيرة أو تمس صلب الموضوع .. انما كانت
تعديلات نفرضها عقلية صاحب رأس المال .. كزيادة عدد
الرقصات ، أو زيادة عدد القبلات ، أو تركيز الصورة على البطل
.. أو .. أو .. والواقع انى كنت قد زهقت من العمل الجماعى
الذى يتطلب غالبا تحقيق رغبة أمزجة شخصية للعاملين فى
الفيلم . ولو سردت الأسباب الشخصية التى تدفع الى اجراء
تعديلات فى سياق الأفلام .. كل الأفلام .. لاحتجت الى كتاب كامل
يضم كل أسماء الفنانين والفنانات الكبار المشهورين .. فأتى ،
وسعاد ، ونادية ، وماجدة وفريد الأطرش ، وعبد الحليم ، وصباح
.. و .. و ..

وطبعا فرض صاحب رأس المال ارادته على فيلم « أبى فوق
الشجرة » واستعان ببعض الزملاء الأدباء لاجراء التعديلات التى
يريدها .. ومع نجاح الفيلم بعد ذلك - وهو ما أعتز به - الا انى
لا زلت غير موافق على التعديلات البسيطة التى تمت ..
وحكاية أخرى ..

فى أوائل عام ١٩٦٧ خطرت لى فكرة قصة جديدة طويلة هى
قصة « دى ، ودموعى ، وابتسامتى » وقررت بينى وبين نفسى
ان أبدأ فى نشرها مسلسلة فى جريدة أخبار اليوم فى شهر ديسمبر
حتى استقبل بها العام الجديد .. عام ١٩٦٨ .. وبعد ان اجتزت

المؤسسة الشاغل هو المراكز الوظيفية ، وشهوات الموظفين .. ثم
بعد حوالى عشر سنوات اتصل بى رئيس مجلس الإدارة ليقول لى
انه بحث عن اصل قصة « البحث عن ضابط » فلم يجدها ..
ضاعت وسط الفوضى الوظيفية .. وطلب منى ان أبحث له عن
نسخة أخرى من القصة .. ورفضت .. فالمنتج الذى تضيع منه
قصة ، لا يستحق ان ينتجها حتى بعد ان يجدها .. خصوصا ان
هناك دائما احتمالا ان تكون القصة قد سرقت واستغلت تحت اسم
آخر ...

وبعد سنوات حركنى خيالى الى قصة « أبى فوق الشجرة » ،
وبدأت أكتبها كعمل أدبى لا علاقة له بالسينما .. وأنا عندما أكتب
قصة طويلة أبدأ بتسجيل موضوعها على أوراق صغيرة قليلة . ثم
أبدأ فى تسجيل الشخصيات والمواقف فى أوراق أخرى .. وهذا
الاعداد يتطلب منى شهورا .. ثم بعد ذلك أبدأ فى كتابة فصولها
للنشر ..

وكتبت من قصة « أبى فوق الشجرة » خمسة فصول من
مسلسلة كان المفروض ان تتطلب ثلاثة وعشرين فصلا .. وبدأت
أعلن عنها على صفحات مجلة « روز اليوسف » .. ونشرت
الإعلانات فعلا ..

ولكن ..

فجأة تركت العمل فى « روز اليوسف » ، واجتزت مرحلة
شخصية توقفت خلالها عن اتمام كتابة القصة كعمل أدبى ..
ومرت شهور طويلة وأنا لا أكتب ، ولا أفكر اذا كتبت فى نشر
ما أكتبه .. ثم خفت على فكرة القصة ان تضيع من رأسى ،
وكانت شركة إنتاج سينمائى تبحث أيامها عن قصة ، وتلح على
أحدى قصصى ، فقررت ان أعيد كتابة « أبى فوق الشجرة »

مرحلة اعداد الموضوع . ثم مرحلة اعداد الشخصيات والحوادث .
وقعت حرب يرنير .. النكسة .. الهزيمة .. واصبح كل عقلى
واندفاعى يرتبطا بالواقع الجديد .. واقع الهزيمة .. لم اعد
استطيع ان انفعل الا بالموقف السياسى والعسكرى .. والقيت
قصة « دى . دموعى ، وابتسامتى » بعيدا ، وتفرغت بكل قلبنى
لكتابة المقالات السياسية ، ثم كتبت - بعد النكسة - ثلاث
قصص قصيرة تصور المجتمع الذى ادى الى الهزيمة ..

ثم توقفنت نهائيا عن كتابة القصص .. لانى لا أستطيع ان
اشد نفسى بعيدا عن انفعالى بالموقف السياسى والعسكرى ، ولانى
لا أريد ان آخذ الناس بعيدا عن هذا الموقف فى قصة عاطفية ،
ولا أريد ان اصددهم بقصة تمثل واقع الهزيمة ..

ومر عام ، وعامان ، وثلاثة ، واصبحنا فى العام الرابع ..
وتذكرت مددفة وتحت الحاح المنتجين السينمائيين فكرة قصة
« دى . دموعى وابتسامتى » ، وقررت ان اكتبها سينمائيا ..
لان السينما لا تلهى المتفرج مثلما يلهى القارئ فى القصة المكتوبة
سواء نشرت فى كتاب أو مسلسل فى جريدة .. السينما ترفه عنه
ساعتين أو ثلاثا ، أما القصة المسلسلة فتأخذ طوال فترة نشرها
.. تأخذ بعيدا عن المعركة ..

وليس معنى هذا انى اعرض فى نشر القصص المسلسلة هذه
الايام حتى ولو كانت قصصا عاطفية ، ولكنى أتحدث عن استعدادى
الخاص . وحالى النفسى الخاصة التى لا تحتل الآن ان اكتب
قصة عاطفية طويلة ، خصوصا وانى عندما اكتب قصة انفعل بها ،
وأحيانا أعيشها . أكثر مما ينفعل القارئ ويعيشها ..

، وكتبت القصة الطويلة فى قصة سينمائية ، وأعطيتها للمنتج

.. واعتذرت عن اعادة تجربة كتابة السيناريو والحوار .. أى
اعادة تجربة العمل الجماعى ..

ونفس الشئ حدث بالنسبة لقصة « يا حبيبى لا ترانى بعيون
الناس » فقد كانت هذه القصة فى مكتبى مجرد بضعة سطور
تسجل خاطرا قصصيا خطر لى عن صورة من صور مجتمع الجين
الجديد .. ثم عرض على ان اقدم قصة تصلح لفيلم استعراضى
.. وأنا منذ البداية مقتنع بأن الفيلم الاستعراضى ليس من
الضرورى ان يقوم على قصة بطلها فنان محترف .. راقص أو
مطرب .. فالحياء كلها استعراض كبير ، وكل الناس يرقصون
ويغنون دون ان يحترفوا الرقص والغناء .. دون ان يكونوا
فنانين .. انت وأنا نرقص ونغنى فى حياتنا الخاصة .. وكثير من
الأفلام الاستعراضية العالمية الناجحة لا تقوم على قصص أبطالها
فنانون محترفون .. وفرانك سيناترا بنى مجده على أفلام لم
يظهر فيها كمطرب محترف ، ولكن مجرد شخص عادى يغنى كما
يغنى بقية الناس .. والقصص التى كتبتها وتحولت الى أفلام
عنائية لم يكن بطلها مطربا محترفا يعرض أغانيه على الجمهور ..
أما هى قصص تصور حياة عادية .. وقد اعتذرت عن ان اكتب
قصصا سينمائية لكثير من كبار المطربين والمطربات لانى كنت أعلم
مقدا أن كلا منهم يريد ان تكون القصة قائمة على تصوير حياته
كفنان محترف يواجه الجمهور .. وليس معنى هذا انى اعترض
على الأفلام الاستعراضية التى تصور حياة فنان ولكنى فقط لست
مقتنعا بأن شخصية بطل القصة الاستعراضية يجب ان تكون
دائما شخصية فنان محترف .. ولهذا بدأت اكتب قصة « يا حبيبى
لا ترانى بعيون الناس » كقصة سينمائية استعراضية ، وان كنت
تد أدخلت فيها المواقف والشخصيات التى يمكن أن تفسح أمام كاتب

السيناريو مجال المشاهد الاستعراضية ، وأكثر من ذلك تعمدت
فى هذه القصة وحتى أكون صريحا أن أضيف الى شخصية البطلة
مواقف تحترف فيها الفن ..

وأخيرا ..

فقد كتبت تاريخا سريعا لعلاقتى بالعمل السينمائى ، وكتبته
بلا تفاصيل لان التفاصيل تحتاج — كما ذكرت — الى كتاب خاص .
كما انى تعمدت أن أنجاهل بعض الوقائع المتعلقة بالانتاج
السينمائى ، ربما لأن هذا ليس الوقت المناسب لإذاعتها ، وربما
لانى لا أكتب الآن كصحفى يهمله أن يبدو أمام القارئ كأنه يعرف
كل شيء وكل الأسرار ، وإنما أنا أكتب مجرد مقدمة لمجموعة
القصص السينمائية التى أعدتها ..

ولم يخطر على بالى فى يوم من الأيام أن أنشر هذه القصص ،
لأنها قصص ليست معدة للقراءة ، ولا يراعى فيها الأسلوب
والسياق الأدبى المعد للقراءة ، إنما هى قصص تعتمد أساسا على
تحديد مجال الصورة السينمائية التى تبدو على الشاشة ، فمثلا
لا أراعى فى هذه القصة تحليل شخصية البطل أو البطلة تحليلا
كاملا بقلى ، إنما أترك للسيناريست وللكاميرا وأداء الممثل أن
يتولوا هذا التحليل .. وكما قلت فان الفرق بين الانتاج الأدبى
المجرد ، والانتاج السينمائى ، فرق كبير ..

و ..

وربما وافقت على نشر هذه القصص لانى أريد أن أنفى عن
نفسى الاتهام بأنى منقطع عمدا عن كتابة القصة .. وأنا لا أستطيع

٢٠

أو أمتنع عن كتابة القصة .. انها هوايتى منذ كنت فى
العاشرة من عمري كما سبق أن قدمت .. وهى الهواية التى
تطورت معى بقدر ما تطورت فى نضجى وفى دراسائى وفى
عقليتى ، وإذا كنت قد انقطعت فترة عن نشر قصص جديدة فقد كنت
أكتبها دون أن أنشرها .. وإذا كنت قد قمت بأعداد بعضها
للسينما ، فلا يزال منها ما لم ينشر وما لم يعد ، إنما هى مجرد
أفكار وخواطر وصور مسجلة فى ورقات لعلها يوما ما تتجمع فى
قصص كاملة .. وإذا كنت قد قبلت اليوم وسع إجماع رأى
زملائى أن أنشر هذه القصص السينمائية فلانى أو من وأدعو الى
أن يكون فى الأدب العربى ما يمكن أن يسمى « الأدب السينمائى »
فقد اتسعت مجالات النشر الأدبى للأدب المسرحى ولم تتسع
بعد للأدب السينمائى ، مع أن الأدب المسرحى يقوم أساسا على تصور
الأداء على المسرح ولا يعتمد على مجرد تحريك خيال القارئ ،
تماما كالأدب السينمائى الذى يعتمد على الصورة المرئية . وبالإضافة
.. فانى إذا كنت أكتب هذه القصص للسينما كأدب سينمائى فان
بعض ما كتبته تغلبت فيه هوايتى كمجرد كاتب مجرد ، فخرجت
بعض القصص كأنها للقراءة لا للسينما ، وكنت معتمدا فى ذلك على
أن « السيناريو » سيحيل كل ما أكتبه الى صور مرئية ..
وسيكشف القارئ الفرق عندما يتتبع القصص المنشورة . بعضها
يغلب عليه الفن السينمائى ، والبعض الآخر يغلب عليه الطابع
الأدبى المجرد . وإذا كنت أعرض نفسى لهذه التجربة ، بنشر
ما أسماه « الأدب السينمائى » حتى أرفع من مستواه ومن تقديره
الى مستوى وتقدير « الأدب المسرحى » فانى أترك للقارئ أن يحكم
على مدى قيمة هذه القصص كمادة للقراءة وللمتعة القصصية ..
وأعتذر عن هذه المقدمة الطويلة .

٢١

ولكن ..

كثيرون ممن أثق بهم طلبوا نشر هذه القصص ، خاصة أن إنتاجها سينمائيا لم يتحقق ، وقد نتج أو لا نتج ، وقد تضيع كما ضاعت نسخة قصة « البحث عن ضابط » فى مكاتب مؤسسة السينما ، ثم ان القارئ قد يهمل أن يطلع على الأسلوب الذى تكتب به القصص السينمائية .. أى على « الأدب السينمائى » . وقبلت النشر ، كتسجيل وعرض دراسى ، أكثر منه كعمل أدبى مجرد ، خصوصا وأن معظم القصص السينمائية التى تعد للسينما فى العالم كله تجمع فى كتب ، تاركا للقارئ أن يحكم على مدى قيمة هذه القصص كمادة للقراءة وللمتعة القصصية ..

دمى ودموعى وابتسامتى

العائلة من عائلات الطبقة المتوسطة الثرية .. الأب والأم وولدان وناهد ..

الأب يعتبر نفسه رجل أعمال ، ويقوم بأعمال مختلفة .. أحيانا يقوم بأعمال تصدير واستيراد ، وأحيانا يقوم بعمليات سمسرة فى بيع وشراء ، وأحيانا يعمل وكيلاً لشركة أو لأحد الأثرياء .. وله مكتب صغير متواضع ، لا يعلق عليه اسمه ولا صفة أعماله .. ولا أحد فى العائلة كلها يعرف حقيقة العمليات التى يقوم بها . فهو لا يتكلم أبداً عن عمله داخل بيته ، ولا يسمح لأحد من أولاده بالتردد على مكتبه .. ولكنه أب يحمل مسؤولية أولاده ومسؤولية العائلة .. وأحيانا يروونه كريما وينفق على العائلة الى حد أن يشتري « فيلا » ليقيموا فيها .. واشترى مرة قطعة أرض فى شارع الهرم ، أو يشتري سيارة جديدة .. وفى هذه الحالة يحس الأولاد أن الأب قام بعملية تجارية ناجحة دون أن يعرفوا شيئا عن هذه العملية .. وأحيانا أخرى يبدو مرتبكا ويعيش فى حالة عصبية ويبيع الفيلا التى اشتراها أو الأرض ، وأحيانا يضطر الى بيع السيارة ويخرج الى عمله سائرا على قدميه .. وفى هذه الحالة تعرف العائلة أن الأب قد خسر إحدى العمليات وأنه يعانى أزمة مالية قريبة من الإفلاس دون أن يعرفوا أيضا سر هذه الأزمة أو شيئا عنها .. ولكنه دائما أب يحب

عائلته ، ربحه ويحترمه كل أفراد العائلة ، ويحرص دائما على الاحتفاظ بمظهر العائلة وكل متطلباتها ، فلم يشعر واحد منهم بالحاجة رغم التغيرات التي تظهر على أبيهم بين السخاء والتقدير .

هذا هو السيد عبد الحميد رشدي رجل الأعمال ..

وزوجته سهام هاتم ، سيدة بيت قادرة ممتازة ترعى زوجها وتؤمن به وتثق فيه ، وبينها وبين الولدين وابنتها ناهد صلة الأم الذكية التي تكسب ثقة أولادها وتتفانى في خدمتهم وتربطهم بها إلى حد أنهم يصارحونها بكل أسرارهم خصوصا ناهد التي لا تخفى عنها شيئا حتى حبها لعلاء ..

والولدان محيي واسماعيل .. محيي في السنة الرابعة بكلية التجارة ، واسماعيل في السنة الثالثة ثانوى ..

وناهد في السابعة عشرة من عمرها .. تستعد لامتحان الثانوية العامة .. جميلة ذكية لها شخصية قوية تعبر عن آمال كبيرة .. وأحد جوانب شخصيتها القوية قدرتها على أن تكسب إعجاب وتهافت كل من حولها ، مع احتفاظها باحترامها لنفسها واحترام الناس لها .. وهى تحب علاء .. الطالب في السنة الثانية بكلية الهندسة .. وربما أحبته منذ التقت به لأول مرة عندما انتقلت العائلة كلها وأقامت في شقة كبيرة بعمارة جديدة بالدقى .. وكان هو يسكن في نفس الشارع في إحدى العمارات القديمة .. وأصبحا يلتقيان صباح كل يوم ويسيران معا حتى يتركها قريبا من مدرسة البنات في الجيزة ويستمر هو في طريقه إلى الجامعة .. وأحيانا يلتقيان في الإجازات ليخرجا إلى صحراء الهرم أو حديقة الأسماك .. وهو دائما حاد نظيف لا يجمعهما إلا في لمسة يد أو في قبلة مترددة خجول .. وكانت ناهد تعلم أن علاء ليس غنيا وأن عليه أن يبني نفسه بنفسه .. وأنها إذا فكرت

في الزواج فيجب أن تنتظره إلى أن يتم تعليمه .. ثم إلى أن يجد عملا .. وإلى أن يستطيع أن يربح ما يكفي لتكوين عائلة واقامة بيت .. وكانت ناهد فعلا تفكر في الزواج به .. وربطت كل حياتها بحياته .. وبدأت ترسم حياتها في هذا الطريق وقررت أن تتم تعليمها هي الأخرى حتى تستطيع أن تعمل وتكسب وتجمع ما تكسبه على ما يكسبه علاء فيستطيعا الزواج دون أن تعتمد على عائلتها أو على أحد .. كان هذا حلمها الذي تعيش فيه .. ومن أجل هذا الحلم كانت ترفض — وعائلتها ترفض أيضا كل عرض يقدم لها بالزواج ..

وكان للأب صديق من لبنان هو سليم بك زيدون .. في الخامسة والأربعين من عمره .. عرفت عنه العائلة أنه من كبار رجال الأعمال ، وأنه ثرى وشركاته لها مكاتب متعددة في الكويت وليبيا والعراق ، وكل البلاد العربية تقريبا .. وكان الأب يتودد له كثيرا كلما جاء إلى القاهرة ، وهو الصديق الوحيد الذي سمح الأب بدعونه إلى البيت .. رغم أن العلاقة بينهما علاقة عمل .. وكان يدعو إلى الغداء أو العشاء ويقدم له كل أفراد العائلة ..

وقد بدأ الأب يدعو سليم إلى البيت منذ عامين .. ولم تشعر ناهد بالارتياح له .. كانت لا ترتاح إلى نظراته إليها ، وإلى تعبه أن يربت على يدها أو على كتفها بمناسبة وبغير مناسبة .. وتعمه أن يجلس بجانبها ويلتصق بها كلما سنحت له الفرصة .. ولكنها تجاهلت تفسير كل هذه الحركات .. وكانت تشترك مع العائلة كلها في الترحيب به وتتعمد أن تحيي بضحكاتها وذكائها الجلسة التي تجمعهم .. لأنها تعلم كما تعلم العائلة أن لوالدها أعمالا معه دون أن يدري أحد تفاصيل هذه الأعمال .. وقد بدأ سليم زيدون يحمل الهدايا إلى العائلة كلما جاء إلى مصر ، وكانت هدية ناهد

دائما هي أغلى وأرقى الهدايا ، ومرات كثيرة كان سليم يعرض على العائلة أن يدعوها لتناول العشاء في أحد الملاهي الراقصة ، ولكن الأب كان يعتذر :

— أنت عارف يا سليم بك أننا مثل بتوع سهر بره . هو فية أحلى من البيت وتعدة البيت ..

وناهد دائما لا تحاول أن تفسر تصرفات سليم وحركاته ، وتشعر كلما جاء أنها تؤدي واجبا ثقيلًا حرصًا على مصالح أبيها ..

الى أن كان يوم ..

وعادت ناهد من المدرسة واستقبلتها أمها في لهفة :

— أتأخرت ليه يا ناهد .. كنتي فين .. ده عمك سليم قاعد من الصبح مستنيكي .. خشى اعلى شعرك والبسي الفستان الأخضر وادخلت قوام ..

ونعجت ناهد من لهفة أمها واهتمامها بحضور سليم بك هذه المرة ، ثم بتوصيتها لها أن تسوى شعرها وتلبس الفستان الأخضر .. لم تكن هذه هي عادة أمها .. ربما حدث شيء جديد ..

ودخلت ناهد غرفتها ، ولم تسو شعرها ، ولا لبست الفستان الأخضر .. ولكنها ألقت بكتب المدرسة ثم دخلت اليهم بثوب المدرسة .. ولم تفاجأ بترحيب سليم لها وضحكتها الكبيرة وضغطه على يدها واحتفاظه بها في يده ، فقد تعودت منه كل ذلك ، ولكنها فوجئت بالطريقة التي استقبلها بها والدها .. استقبلها بابتسامة كبيرة .. وقبلها على جبينها ..

— تعالى يا حبيبتي .. احنا مستنيينك ..

ثم قام من على مقعده وأجلسها مكانه بجانب سليم ..

ودار الحديث في كثير من الجاملات ، الى أن قال الأب لناهد :

— أنتي فاكركه سعيد ابن أخى عمك سليم ..
وقالت في دهشة :

— سعيد؟! مش فاكراه ..

وقال سليم :

— اللي جه معايا السنه اللي فاتت ..

وقالت :

— مش فاكراه يا عمي .. يمكن كنت يومها في المدرسه ولا

قاعده بأذاكر ..

وقال سليم :

— أظن يومها ما تدرش يقعد . بعته في شغل . على كل حال

أدى صورته يمكن تفكريه .. واذا ما افكرتهوش تاخذى فكره

عنه .. ما هو اللي يعرفنى لازم يعرف سعيد .. ده زى ابني ..

وقال الأب :

— ده سعيد هو اللي ماسك شغل عمك سليم في الكويت ..

وأخرج سليم صورة فوتوغرافية من جيبه وقدمها لناهد ..

وأطلت فيها ناهد .. انها صورة شاب لبناني يبدو في الصورة

جادا مقظبا كأنه وقف أمام الفوتوغرافي لالتقاط صورة جواز سفر

أو بطاثة عائلية .. ولم تنظر ناهد في الصورة طويلا وأعادتها الى

سليم الذي قال :

— ايه رأيك فيه باه ..

وقالت ناهد ضاحكة :

— تشرفنا ..

وقال سليم :

— شبيهي ..

وقالت ناهد ضاحكة :

— أنت احلى يا عمى ..

وابتسم سليم فرحا ..

رقال الأب فى لهجة جادة وهو لا يرفع عينيه الى ناهد كأنه
خجل منها :

— أنت عارفه عمك سليم جاى النهارده ليه .. جاى يخطبك
لابن أخوه سعيد ..

رارتفعت الدهشة الى وجه ناهد ، فقد كان والدها يتكلم
بلهجة جديدة كأنه موافق على زواجها ، ثم تغلبت على دهشتها
وابتسمت قائلة كأنها تريد أن تقلب العرض الى مجرد نكتة ..

— لسه بدرى ..

وقال الأب جادا قاطعا :

— ولا بدرى ولا حاجه ..

وقال سليم ضاحكا :

— طاب وطلب الأكال ..

وعاد الأب يقول :

— ايه رأيك يا ناهد ؟ ..

ووجدت ناهد أن الموضوع أصبح جادا بحيث لا تستطيع أن
تهرب منه ، وقالت :

— والمدرسه يا بابا ..

وقال سليم بسرعة :

— تتدري تكلمى فى الكويت .. أنا من رأى ان الزواج مش
لازم بوقف التعليم ..

وقالت ناهد وهى تكاد تبكى :

— الكويت ..

وقال سليم :

— يا سنى بلاش الكويت .. ده سعيد ما بيقدش فى الكويت
الا شهر أو شهرين فى السنه وبقية السنه بيلف فى أوروبا علشان
الشفل .. يعنى تقدرى تتعلمى فى لندن ولا فى باريس ولا
استكهولم .. زى ما يعجبك .. وأكثر من كده .. بلاش الكويت
تقعدى فى أى بلد وسعيد يبقى ينزل الكويت ويجيبك ..

وسكتت ناهد .. ووجهها مقطب مكفهر .. وهى تنظر الى
أبيها كأنها تستجد به .. وتلومه .. وأبوها لا ينظر اليها الى
ان قال :

— ما قلتش رأيك يا ناهد ..

ونظرت اليه ناهد فى غضب وقالت كأنها تصرخ فيه حتى
ينقذها :

— بابا ..

وقبل أن تتم قاطعها والدها :

— طاب قومى انتى يا ناهد .. فكرى على مهلك ..

وقامت ناهد بسرعة ، وفى خطوات غاضبة ، وهى تسمع
والدها يقول لسليم كأنه يعتذر له :

— كل البنات كده متعبين ..

ونجرت ناهد الى أمها وتفاجأ بها وهى تقول أن سليم قد
أحضر لها هدية ثمينة وهى ساعة ذهبية مرصعة بالماس ، وتمسك
ناهد بالساعة وتلقاها على الأرض وتصرخ فى وجه أمها رافضة
هذا العرض للزواج وتلوم أمها وأبها لأنها موافقان ، ويدور
حوار بين الأم وابنتها عن معنى الزواج ثم يدخل الأب ويشترك فى
الحوار .. وتفهم ناهد أن أبها سيدخل فى شركة كبيرة مع سليم
ستغير من وضع العائلة كلها وتضمن مستقبل أخويها لأن سليم
وعد بتعيين أخيها بمجرد تخرجه من الجامعة مديرا لشركته فى

ليبيا .. وتشعر ناهد بأنهما يحملانها مستقبل العائلة كله لأن هذا الزواج هو الذى سيكون ضمان الشركة الجديدة ..

وتقول الأم بعد أن يخرج الأب من الحجرة :

— أنا عارفه انتى بتفكرى فى ايه يا ناهد .. بتفكرى فى علاء بس علاء مش مستقبل .. فاضل له سنتين على بال ما يتخرج وبعدها ما حدش عارف حا يعمل ايه .. طاوعينى .. المستقبل حاجه و الحب حاجه .. ويكره تنسيه .. وتلاقى حب تانى .. حب البيت .. وحب الأولاد .. وحب الدنيا .. وحتاحبى جوزك زى أنا ما حبيت أبوكى بعد الجواز .. صدقيني .. كل البنات كانوا كده وبقو كده ..

ولا تنام ناهد ليلتها ، وتقرر أن تلجأ الى حبيبها علاء لينقذها . وتخرج مبكرة فى صباح اليوم التالى وتنتظره فى الطريق الذى تعودوا اللقاء فيه ..

ويظهر علاء وبدهش عندما يجد ناهد فى انتظاره مبكرة وهى عصبية مكهرة متعبة ، وتقول له انها لن تذهب الى المدرسة وتريده فى حديث طويل ..

ويقول علاء :

— أنا معايا نص ريال .. معاكى كام ؟ ..

وتقول ناهد :

— خصسه صاغ .. ليه .. ؟

ويقول علاء جادا :

— علشان بشوف ناخذ تاكسى لغاية فين .. يبقى لغاية جنينة الأسماك ..

وفى حديقة الأسماك يدور حوار طويل بينهما تقص فيه ناهد القصة كلها لعلاء ، ويفهم علاء أن ناهد تريد منه وعدا بالزواج وأن

يخطبها عن عائلتها الى أن يتم دراسته ويتزوجا ، وينتهى الحوار وعلاء يقول :

— الجواز عمره ما يكون وعد .. الجواز يعنى آخذك أتجوزك حتى لو ما رضيوش أهلك .. ما حدش يقدر يوعد بحاجه ما يقدرش عليها .. وأنا ما أقدرش دلوقتى على الجواز .. وما عرفش بكره حا أقدر ولا ما أقدرش يمكن أموت .. يمكن ما اشتغلش ولا اكسبش اللى يكفى نفتح بيت .. كل اللى أقدر عليه دلوقتى انى أخبك وأتمنى أتجوزك .. وأتمنى أسافر أمريكا .. وأتمنى أبقى مليونير .. انما ما أقدرش أوعد انى أسافر أمريكا .. أو أوعد بانى أبقى مليونير .. أو أوعد انى أتجوز .. الأمانى حاجه والوعد حاجه تانيه ..

وتقول ناهد والدموع فى عينيها :

— يعنى أعمل ايه .. ؟

ويقول علاء :

— انتى اللى تقررى مش أنا .. قررت أذاكر لغاية ما أنجح .. وبعديها أقرر أن أشتغل .. وبعديها أقرر انى أتجوز .. سنة .. سنتين .. عشرة .. تقدرى تستنى ده كله .. انتى اللى تقررى مش أنا ..

ويستمر الحوار ..

وتعود ناهد الى بيتها حائرة .. والمستقبل غامض أمامها .. مستقبلها .. ومستقبل علاء .. ومستقبل حبا .. ومستقبل أبيها .. ومستقبل أخوتها .. وتكتشف فى حيرتها أن الحياة ليست «جرد أمانى وخيال ، ان الحاجة هى التى تحدد الحياة .. والحاجة هى التى تحدد العمل .. والعمل هو الكسب .. الحياة فلوس ..

وينقرر أن تقبل عرض الزواج من سعيد ابن أخى سليم ..
وتنرح العائلة ..

حتى أختها الشبان يفرحون ..

ويتم كتب الكتاب على يد سليم بالوكالة عن سعيد ، والمهر
ألفا جنيه وهدايا كثيرة من بينها سيارة هدية للعائلة ..

والجميع فى حفلات ومرح .. وناهد تفتعل المرح لكنها تعيش
بذكاؤها وتبدأ شخصية جديدة تكون فيها .. شخصية فتاة عملية
تنظر الى مصالحها أولا ، ولكنها لا تزال متمسكة بمبادئها ..

ويدعوها سليم الى الكباريهات الراقصة ، وأثناء الرقص مع
ناهد يسمها الى صدره أكثر .. ويحاول أن يلصق خدها بخده .
وهى تتأوم محاولته وتتجاهلها وتقنع نفسها بأنه مودرن ..
يضحك .. ويهزر .. دون نية سيئة ..

وينقرر السفر ..

سليم وناهد فى طريقهما الى العريس ..

ويتحجج سليم بأن أعماله تتطلب أولا أن يمر ببيروت ليقضى
فيها ليلة قبل السفر الى الكويت ..

وفى بيروت تفاجأ ناهد بأن سليم يصحبها الى فندق كبير
حجز فيه حجرة واحدة وصالون ..

وتسأله ناهد وهى فى وسط الحجرة :

— أمان فى العيلة .. مش حا أتعرف بيها .. مراتك
وولادك ..

ويقول سليم وهو يقترب منها :

— العيلة فى الجبل .. يمكن نلحق نشوفهم ويمكن ما نلحقش
المهم احنا الاتنين مع بعض ..

وتقول ناهد وهى تنظر حولها :

— وحانام الزاى ..؟

ويقول سليم وهو يمد يده يتحسس كنفها :

— فيه سرير .. وفيه سريرين .. زى ما احنا عايزين ..

وتقول فى جزع :

— فى أوده واحدة؟ .. نام فى أوده واحدة؟ ..

ويقول وهو يمسح على وجهها بيده :

— بعد ما تتضايقى منى .. أخرج أنام فى الصالون .. بس

ما تتضايقيش .. انتى فاهمة كل حاجة ..

وقالت :

— انا مش فاهمة ..

وقال :

— حاتفهمى .. المهم دلوقتى انى اخذك أفرجك بيروت ..

ويأخذها من يدها ويطوف بها فى سيارته بيروت ، وقد

بدأت ناهد تفهم كل شىء .. ثم يأخذها الى محال الثياب

والمصوغات .. ويشترى لها بسخاء وهى تحاول أن ترفض ،

وتحس أن كل هذا ثمنا لما يريد ..

ثم يسهران فى بيروت ، ويتجرا عليها أكثر أثناء الرقص ،

وهى تقاوم ، وتحاول أن تصده ، ولا تدرى ماذا تقول له ..

ثم يعود الى الفندق ويدخل معها الغرفة ، ويبدأ فى خلع

ثيابه أمامها ، وهى لا تتحرك .. ويقول لها مبتسما :

— مش حاتفهمى؟ ..

وتقول فى اصرار وعنف :

— ما اقدرش أقلع قدامك ..

ويقترب منها ويمد ذراعيه ويحتضنها وهو يقول :

وفي الطائرة التي تقلهما الى الكويت يقول سليم :
- أنا استنيت سنتين ومستعد ان أستنى كمان .. اذا كنت
نجحت في كل حاجة فلأنى أعرف أستنى .. وأعرف أصير ..
وتنهمر الدموع على وجنتى ناهد ، وكل أمها أنها عندما تصل
الى الكويت ستلتقى بالرجل الذى تزوجته وينقذها من عمه وتبدأ
معه حياة جديدة ..

وتفاجأ ناهد بعد ان تصل الطائرة الى الكويت باستقبال بارد
لا يليق بعروس وليس فيه فرحة العريس .. ثلاثة موظفين من
مكتب سليم وسعيد ابن أخيه ..
وتتعرف على سعيد من بعيد بعد ان حفظت صورته ثم يقدمه
لها سليم قائلاً وهو يضحك ضحكة عالية :
- آدى العريس يا ستى .. وآدى عروستك يا سعيد ..
ويصافحها سعيد فى برود :
- أهلا وسهلاً تشرفنا ..
ثم يلتصق بعمه بعيداً ويأخذ فى التحدث معه عن أخبار
الشركة ، الى أن ينبهه سليم الى ضرورة أن يسير بجانب العروس
حتى يراها الناس معا ..
ويصلوا الى البيت .. فيلا فى حى راق من أحياء الكويت ..
ويجلس الجميع فى الصالون .. سليم وسعيد والموظفون ومعهم
ناهد ويتحدثون عن العمل .. لا أحد يشعر أن هناك زفاف ..
ثم يقوم الموظفون لينصرفوا ، وتفاجأ ناهد بعريسها سعيد يقوم
وينصرف معهم .. ويأخذها سليم ليطوف بها أنحاء الفيلا ،
وتسأله :
- وفين سعيد ؟

- انتى لسة عاملة تكليف بيننا .. كل ده وما فهمتيش ..
سنتين ولسه ما فهمتيش ..

وتصرخ ناهد :

- سيبنى .. أرجوك سيبنى .. أنا مرات ابن اخوك ..
انت زى أبويا ..

وقال وهو يحتضنها أكثر ويحاول تقييلها :

- ما هو لو كنت أقدر كنتى بقيتى مراتى أنا .. وخلينا نتفق
.. أبقى أبوك قدام الناس وبينى وبينك أبقى جوزك .. ايه راك
.. كفاية عناد بأه ..

ويضغط عليها ويحاول أن يسحبها الى السرير ، فتقاومه
بعنف الى أن تستطيع أن تفلت من بين ذراعيه ، ثم تدخل الحمام
وتقفل الباب عليها بالفتاح ..

ويخبط على الباب بعنف ..
وتصرخ ناهد :

- لو ما بعدتش حارمى نفسى من الشباك ..
ويقول :

- طيب اطلى وأنا أنام فى الصالون ..
- لا ..

وينتهى المشهد بأن تنام ناهد داخل الحمام فى البانيو بثيابها
كاملة ، وينام سليم وهو بالقميص والبنطلون على السرير ..

وفي الصباح وبعد حوار طويل ، يعتذر لها سليم بأنه كان
سكران ، ويعدها بأنه لن يحاول هذه المحاولة مرة أخرى رغم أنه
يحبها ويريدها ، ويظل يقنعها حتى تقبل أن تكمل الرحلة معه الى
الكويت بعد أن كانت تهدد بالعودة الى القاهرة ..

ويجب بلا مبالاة :

– أصل عنده شغل كثير ..

ويعرفها بخادمة لبنانية عجوز تتولى ادارة البيت ، وتبدو وكأنها عسكري بوليس ، ولا ترحب بها الخادمة ، بل لا يبدو أنها تعرف أنها عروس ، مجرد امرأة دخلت البيت لمتعة سيدها .. ويصحبها سليم الى غرفة للنوم قائلا :

– دى أودتاك .. أودتاك لوحدك ..

وتقف ناهد قائلة :

– أنا عايزه أرجع مصر ..

ويقول سليم :

– مصر ايه .. ما خلاص ..

وتقول ناهد :

– لو مارجمتنيش .. أنا خارج لوحدى ..

وابتسم سليم فى سخرية :

– ماتقدريش .. لانك أولا متجوزة ماتقدريش تسافرى

الا باذن جوزك .. واثانيا لأن لى مكتب فى المطار أول ماتوصلى هناك

يبلغونى .. وبعدين نتكلم بصراحة .. ايه الفرق لو كنتى

اتجوزتيني ولا اتجوزتى سعيد .. اعتبرى نفسك انك اتجوزتيني

.. وطبعاً ماتقدريش تقولى انك بتحبى سعيد .. ده انت

ما تعرفهوش خالص ..

وتستمر الحياة داخل البيت ، وناهد تقاوم سليم وترفض

الاستسلام له رغم أنه يفريها بالسفر الى أوروبا ، ويشترى لها

الهدايا ، ثم يحاول معها بالقوة .. ولا ترى زوجها سعيد الا نادرا

فهو لا يقيم معها فى البيت .. وتقرر يوماً أن تفتاحه بصراحة :

– أنت مش اتجوزتني ..

ويقول سعيد فى برود :

– والله أنا ما أعرفكيش علشان اتجوزك .. كل اللى أعرفه

أن عمى بعث لى جواب قال لى انه عمل عقد جواز باسمى ..

وتصرخ ناهد :

– ازاي تسمح انك تدى اسمك يتجوزوا بيه ..

ويقول فى برود :

– وماله .. ده عمى وباشتغل معاه .. وفى الشغل ممكن انى

أعمل عقود باسمه وهو يعمل عقود باسمى لما يكون عايز يتهرب من

الضرائب .. ودلوقت عايز يعمل عقد جواز باسمى .. فيها ايه

دى .. ده شغل .. وبعدين انت خسرانه ايه .. انتى قبلتى

تتجوزيني علشان فلوس عمى مش علشان سواد عيونى .. يبقى

خليكى لعمى ..

ويستمر الحوار عنيفا مشيراً .. وناهد تتفتح أمامها أشكال

جديدة للحياة وللناس ، وفى هذه الأثناء تكون ناهد قد تعرفت فى

أحد محلات الكويت بخديجة ، وهى فتاة مصرية كانت طالبة معها

ثم سافرت الى الكويت حيث يعمل أبوها موظفاً كبيراً هناك ..

وتتوطد الصداقة بينهما ، ويتحدثان كل يوم فى التليفون ،

وتروى ناهد قصتها لخديجة ..

ثم فى يوم تقرر أن تهرب من بيت سليم وتذهب لتقيم مع عائلة

خديجة ..

وتهرب ناهد فعلاً ..

وتقبلها العائلة بعد أن عرفت قصتها ..

ويحاول سليم أن يعيدها الى بيته ولكنها ترفض باصرار ..

وتطلب ناهد من العائلة أن تساعدوا على العودة لمصر ، ولكن

الأب يقنعها بأنها لو سافرت فلن يطلقها سليم من سعيد ، وبهملها

بلا طلاق حتى لا تستطيع أن تتزوج من آخر الى أن ترضخ له ،
والأفضل أن تبقى في الكويت الى أن تحصل بمساعدته على الطلاق
وتسافر مطلقة ..

وكان للعائلة صديق هو ممدوح .. شاب في الخامسة والثلاثين
من عمره يعمل في الكويت وكيبلا لشركة تجازية عربية كبيرة ..
وهو يبدو دائما جادا ، مهذبا ، رقيقا ، لم يحاول أبدا أن يغازل
ناهد أو يتقرب اليها بطريقة مفتعلة رغم انه يراها يوميا تقريبا في
بيت العائلة ..

ويتعهد ممدوح بأن يقنع سليم بطلاق ناهد .. ويقول ان سليم
له مصالح كثيرة مع الشركة التي يعمل بها ، وأن سليم معروف
عنه أنه رجل أعمال يبيع كل شيء في سبيل مصالحه ، وأنه
سيهدده في مصالحه مع الشركة الى أن يطلق ..

وناهد تعجب بممدوح اعجابا بريئا لأنه مهذب ولا يبدو أنه
بصباح كبقية الرجال ..

ويسمى ممدوح الى أن يجبر سليم على تطليق ناهد من
سعيد ، ولكن سليم يشترط أن تتنازل ناهد عن مؤخر الصداق
وأن ترد كل الهدايا ، ويصرخ :

— ده انا دفعت فيها الوفات .. دي لو كانت ملكة ما كانتش
كلفتني ده كاله ..

ويجن سليم في بيته ويفتح الدواليب ، ويجمع كل المجوهرات
والحلى التي اشترها لناهد ، ويجمع أيضا الثياب التي دفع
ثمنها ، ثم يطاب مقابلتها قبل أن يتم الطلاق .. ويذهب هو
وسعيد الى بيت العائلة المصرية ، ويقول سليم لناهد في مرارة :
— انت ناسية حاجة معاكى .. الخاتم السوايتير .. انت

عارفه ثمنه كام .. عشرة آلاف دينار .. يعني تسعين ألف ليرة

.. يعني عشرين ألف جنيه مصرى .. تسمحى ..

وتخلع ناهد الخاتم وتلقيه على المائدة في أهمال ..

ويوقع سعيد عقد الطلاق ، وهو يقول لعمه :

— دى أول عملية تخسر فيها ..

ويرد عليه عمه :

— ما هى أصلها باسمك ..

ويتم الطلاق ..

وتبدو العائلة المصرية كلها ومعها ممدوح وهم يدعون ناهد

في المطار مبتسمة وهي في طريقها الى مصر ..

وتكتشف ناهد بمجرد وصولها الى القاهرة أن العائلة كلها

تستقبلها في برود وسخط ..

ويشور أبوها عليها لأن سليم قد عدل عن مشروع الشركة

معه ..

واخوتها يخاصمونها لأنها ضيعت عليهم الأمل في مستقبل

ناجح بالعمل خارج مصر في شركات سليم ..

وأما تتهمةا بالعبط وعدم القدرة على التصرف ..

وهم لا يصدقون قصتها عن محاولات سليم معها ، وإذا كانت

أما تصدقها الا أنها تعتقد أن ناهد افسدت الزواج لأنها لا تزال

تحب علاء ..

وتعاني ناهد الكثير وسط عائلتها .. احساسهم بأنها ضيعت

مستقبلهم .. والفيظ .. والزهق .. والضياع .. وعدم وضوح

المستقبل بعد أن ضاعت منها السنة الدراسية ، وأصبح أمامها

خمس سنوات حتى تنتهي من دراستها الجامعية وتبدأ في العمل
وفي الكسب وتزوج علاء كما كانت تحلم قبل زواجها ..

وبعد أيام تذهب الى المكان الذي تعودت أن تقابل فيه علاء في
صباح كل يوم ، ولكنها تذهب بثوب عادي لا بثوب المدرسة ..
ويفاجأ علاء بها ويقول انه لم يعرفها لأنها لم تعد طالبة كما
كانت .. ويسيران ويقول له انها طلقت ، ولكنها لا تقول له أسباب
الطلاق الحقيقية ، انما تقول انها لم تستطع أن تحب الرجل
الغريب ، ولم تسمح له بأن يقربها ، وانها لا تزال عذراء ..

وعلاء لم يتغير في مبادئه .. وهو لا يزال يحبها ، وقد تعذب
بعد أن تزوجت .. تعذب كثيرا وقاوم أن يأخذه العذاب الى طريق
الانحلال .. الى الخمر والسهر وضياح الشباب .. ولكن العذاب
شل تفكيره الى حد أن سقط في الامتحان وأصبح عليه أن يعيد
العام الدراسي .. ولكنه الآن أصبح قويا وسينجح وينتهي يوما
من دراسته ويبدأ العمل .. وهو لا يلوها على العذاب الذي
تحمله ، لقد كانت تبحث عن مستقبلها كما يبحث عن مستقبله ..
وهو الى الآن ورغم كل هذا الحب لا يستطيع أن يحدد مستقبله
معها ، ولا يستطيع أن يعد بالزواج ، ويقول :

– الحب يعني أنت وأنا .. الحب في دمك ودمي .. لكن
الجواز يعني أنا وأنت والناس .. يعني المجتمع .. والمجتمع
علشان نعيش فيه لازم نشغل ونكسب .. المجتمع ما حدش
يقدر يحترم نفسه فيه الا اذا بنى نفسه .. يعني بأه يكسب ..
وتقتنع ناهد .. وهى لا تزال تحبه .. وهو دائما حب نظيف
لم تعطه نفسها .. ولم يحاول أن يأخذ منها أكثر من عواطفها ..
وهى فى وسط أزمتهام مع العائلة ، وضيقها من الحياة ،
لا تزال تقابل علاء وان كانت لم تعد تقابله كطالبة تسير معه في

الطريق ، ولكنها تقابله كمطلقة فى الحداثق والمقاهى الخلوية ،
وتخاف على نفسها من كلام الناس ..

الى أن دق جرس التليفون فى يوم ، ورفعت ناهد سماعة
التليفون .. انه ممدوح .. وقد جاء من الكويت .. ويبلغها أنه
نقل وكيلا لمكتب الشركة فى الدار البيضاء .. وتفرح ناهد به ..
ويتحدثان طويلا عن ذكريات الكويت .. ثم يقول ممدوح فى
التليفون :

– تسمى لى أقابل بابا ..

وتذهل ناهد وتقول فى تردد وانها :

– طبعا .. أتفضل .. بس ..

ويقاطعها ممدوح :

– تعرفى علشان ايه .. علشان أكلمه عنك .. وأستأذنه أبى
أخطفك منه ..

تتلجلج ناهد :

– بس .. أصل ..

ويقاطعها ممدوح :

– وطبعا قبل ما أقابله لازم أقابلك انت علشان توافقى على

اللى حا قوله له .. أقابلك امتى وفين ؟ ..

وتسرح ناهد فى ذهول ثم تقول :

– انت فاجأتنى .. مش ممكن كده على طول .. ممكن تكلمنى

بعد ربع ساعة .. ربع ساعة بس .. عايزه أفكر ..

وتضع ناهد سماعة التليفون ، وتشرذ مفكرة فى مستقبلها ..

أن ممدوح يريد أن يتزوجها .. وهى لا تحبه .. ولكنها تحترمه

ومعجبة به .. انه رجل جاد مهذب ولم يحاول أن يغازلها هذا

الغزل الرخيص .. وهى فى حاجة أن تخرج من جو عائلتها ، وتبنى

لنفسها مستقبلها ٠٠ ولكنها تحب علاء ٠٠ ولكن علاء قال لها
أن حبهما في دمهما ، ولا يستطيعان أن يحيلاه اليوم الى زواج ٠٠
وتوافق بينها وبين نفسها على الزواج من ممدوح ٠٠
ويتصل بها ممدوح بعد ربع ساعة ٠٠ ويتفقان على اللقاء في
نفس الحديقة التي قابلت فيها علاء ٠٠
وتتذكر ناهد علاء ، وتطوف صورته بخيالها وهي جالسة مع
ممدوح ٠٠ ويدور بينها وبين ممدوح حديث طويل يرتفع خلاله في
خيالها صوت علاء عندما كان يحدثها ، ويدو في ذهنها الفرق بين
منطق ممدوح ومنطق علاء ٠٠ ممدوح يتكلم عن الزواج غدا ،
وعلاء يتكلم عن عدم امكان الزواج ٠٠ كل منهما يعبر عن حالة
وعن رأى ٠٠

وتتفق ناهد وممدوح على أن يقابل والدها ٠٠

وتعود ناهد الى البيت وتدخل مع أمها في حوار طويل الى أن
توافق الأم ، ويبدأ الأب بالمعارضة ، ولكنه يلين ويبدأ في الموافقة
بعد أن يعلم أن ممدوح وكيل الشركة التجارية الكبرى في مراكش
وأنه يمكن أن يحقق لابنته وله ولأولاده ما كان يمكن أن يحققه
سليم زيدون ٠٠

ويتحدد يوم كتب الكتاب وهو يوم الزفاف ٠٠

وفي هذا اليوم ٠٠ وناهد مرتدية ثوب الفرح وطرحه صغيرة
لأنها مطلقة ٠٠ تختبئ في حجرتها وترفع سماعة التليفون وتطلب
علاء وتقول بسرعة :

— علاء ٠٠ أنا باحك وحافظك أحبك ٠٠ وحاجتوز النهارده
٠٠ استحمل يا علاء ولازم تنجح السنة دي ٠٠ ثم تضع السماعة
قبل أن تسمع رد علاء ٠٠

وتتنقل ناهد لتعيش مع زوجها في فندق هيلتون ٠٠

وتلاحظ ناهد أن ممدوح حريص عليها دائما ، غيور ، فهو
يراجعها في اختيار ثيابها ويرفض أن تلبس ثوبا ميني جيب ،
ويلح في أن تغطي صدرها ٠ ويراجعها في ضحكاتها وابتناساتها ،
رغم أنه مع كل ذلك رجل اجتماعي ، يفرض عليه عمله كثرة
الاتصال برجال الشركات وحضور الحفلات بصحبة عروسه ، بل
انه يسمح لها بالرقص مع كل من يطلبها ، وان كان يبدى رأيه
دائما في الطريقة التي ترقص بها ، ويطلب منها أن تبعد مسافة
٣٠ سنتمترا عن كل من تراقصه أثناء رقصها معه ٠٠

وتفرح ناهد بغيرته عليها وتسببها حرصا عليها وحبا لها ،
وكانها كانت محرومة طول حياتها ممن يفار عليها ٠٠
ويسافران الى الدار البيضاء ٠٠

وتعيش ناهد في مراكش عيشة واسعة ٠٠
حفلات ورحلات كلها متصلة بعمل زوجها وحرصه على التقرب
من رجال الأعمال والشركات الذين يخدمونه في عمله ٠٠
وتبدأ ناهد تضيق من كثرة مجاملات ممدوح ونفاقه في
محيط عمله ٠٠ بل انها تلاحظ أنه لا يحقد عليها ولا يحاسبها
عندما يتجرا رجل من رجال الأعمال عليها أو يتمادى في التقرب
اليها ، في الوقت الذي يحاسبها بشدة اذا سمحت لرجل بعيد عن
عمله ولا رهمه في شيء بالتقرب اليها ٠٠ وأيضا لاحظت أنه هو نفسه
يبدل مجهودا كبيرا ليكسب اعجاب سيدات رجال الأعمال ،
ولاحظت أنه عندما يراقصهن يلتصق بهن كما يفعل بقية الرجال ،
وفي مرة قالت له :

— يعني انت شارط على انى أرقص على بعد ثلاثين سنتي،
وانت لما بترقص بتلصق في اللى بترقص معاها ٠٠

وأجابها ممدوح ضاحكا :

— ده شغل .. اطمنى .. ما فيش أكثر من كده .. ده مجتمع كله خواجات ولازم كده .. بس اسمعى .. انتى مش خواجايه .. مش زى ما عملت تعملى ..
وحلم ممدوح دائما هو الانتقال ليكون مندوب الشركة ورئيس مكتبها فى باريس ..
وناهد تمر عليها لحظات تفكر فى علاء ..
وقد أصبحت حاملا ..
حتى وهى حامل تتذكر أحيانا علاء ويملا خيالها بصورته ..

علاء فى القاهرة يذاكر ..

ناهد تضع مولدها الأول .. ويرتفع صوت وأواته .. واء .. واء ..

علاء فى القاهرة يدخل على أمه فرحا صائحا :

— نجحت يا ماما .. مش بس نجحت لكن كمان بدرجة ممتاز ..

الحياة مستمرة فى مراكش ..

وناهد مع اهتمامها وفرحتها بابنتها الوليدة ، لا تزال محتفظة بجمالها وشبابها ونشاطها فى الحفلات التى تتردد عليها مع زوجها ، وتنال دائما أعجاب الرجال وتقربهم منها ، وفى الوقت نفسه أعجاب زوجات رجال الأعمال وصادقاتهن .

الى أن يأتى رئيس مجلس ادارة الشركة ليزور مكتبها فى الدار البيضاء ..

ويهتم ممدوح بزيارته ، ويبالغ فى اهتمامه .. فهو يستعد للزيارة قبلها بأسابيع .. وبعد كل شىء .. ويتحدث طويلا عنها مع ناهد .. ويقول لها انه يعلق أمله فى الانتقال الى باريس على هذه الزيارة ..

ويصل عباس بك شاعر رئيس مجلس الادارة .. فى الخمسين من عمره .. ممتلىء .. وأصلع ..

وناهد وممدوح فى استقباله فى المطار ، ويصحبانه الى الفندق ، ثم يأخذانه الى البيت ..

ومن اللحظة الأولى وبمجرد أن تراه ناهد تتذكر فى خيالها ساييم زيدون اللبناى .. انه ينظر اليها نفس النظرة ، ويضغط على يدها ويحتفظ بها فى يده ، ثم بدأ يتجرا عليها أكثر ويربت على فخذاها وهو جالس بجانبها ، ويلصق ساقه بساقها من تحت المائدة ، ويقول لها كلاما جريئا أقرب الى الغزل الصريح ..

وممدوح ساكت .. بل يبتسم كلما اشتدت جراءة عباس بك على زوجته .. وأحيانا يترك الغرفة حتى يتركه لزوجته .. وفى الحفلات التى تقام لعباس يقوم يراقص ناهد ويحتضنها ويحاول أن يقبلها فى عنقها ، وهى تبتسم وتحاول أن تقاومه ، ثم تلتفت باحثة عن زوجها لينقذها منه ، فتراه كأنه يتعمد ألا يلتفت اليها .. وقد ناقشت زوجها كثيرا :

— الراجل عباس ده جرىء وقليل الأدب .. شوف لك صرفة معاه ..

ويقول ممدوح :

– أصله عجز .. واتحس .. انما ولا يهملك .. هو بس
يحب المناظر ..
وتقول ناهد :
– يعنى عاجبك المناظر دى ..
ويقول ممدوح :
– يعنى أعمل ايه .. أقوم أضربه .. ولا أطرده من البلد ..
هو اللي يقدر يطردنا احنا الاثنين ..
الى أن كان يوم ..
وممدوح على موعد لمقابلة عباس بك شاكرك فى غرفته بالفندق
.. ويصحب زوجته معه فى السيارة ، ثم يقول لها داخل السيارة :
– اسمعى انت دلوقتى تطلعى تقابليه لوحدك وتفاتحيه فى
مسألة النقل لباريس .. أما تيجى منك أحسن ما تيجى منى ..
وأنا حاحصلك بعد شوية ..
وتذهب ناهد وتصرخ :
– أطلع له لوحدى ؟
او يرد ممدوح :
– آه يا ستى .. وفيها ايه .. علشان تقدرى تقنعيه ..
وتصرخ :
– أطلع لراجل .. فى أوده .. فى لوكانده .. لوحدى ..
ويقول وهو يتجاهل صراخها :
– دى أوده بصالون .. يعنى يقدر يستقبل فيها الزوار ..
وما حدش عارف انت رايجه فين ..
او تنظر اليه فى سخط وقرق :
– وانت راضى بكده ؟
ويقول :

– يا ستى ده شغل .. فيها ايه دى بس ..
وتقول باحتقار :
– انت عارف كويس فيها ايه .. وعارف كويس هو عاين
منى ايه ..
ويقول :
– أنا مطمئن لك يا ناهد .. وبعدين ده راجل أد جدك ..
و ..
وتقاطعه وهى تنظر اليه ساخرة فى حقد :
– كده .. طيب أطمئن .. واعتبر نفسك انتقلت لباريس ..
وتفتح باب السيارة ، وتنزل منها ، ثم تفلق الباب وراءها
فى عنف كأنها تصفع به زوجها ممدوح ..

ناهد فى مصعد اللوكاندة وحدها .. مقطبة .. غاضبة ..
وتنهمر الدموع على وجنتيها .. ثم ترفع رأسها ويبدو فى عينيها
أنها اتخذت قرارا ، ثم تلتفت الى مرآة المصعد وتمسح دموعها ،
وتفتح حقيبتها لتخرج علبة البندرة وأصبع الروج .. ويقف
المصعد .. فتضغط على زر ليستمر فى الصعود الى أن تنتهى من
وضع الماكياج ، وتسوى شعرها ، وتبتسم ابتسامة كبيرة كأنها
تدرب نفسها على الابتسام ، ثم تضغط على زر لينزل المصعد
ثانية الى الدور الذى يقيم فيه عباس بك .

ناهد تدخل غرفة عباس .. ويستقبلها بفرحة وجشع ..
وتقول له انها سبقت زوجها لأنها تريد أن تحدثه فى موضوع خاص
.. ويشدها من ذراعها ويجلسها على أريكة وهو بجانبها ويلف
ذراعه حولها وهو يقول :

– ده أنا اللي نفسى من ساعة ما شفتك انى أشوفك فى موضوع خاص ..

ثم يلقى شفتيه على خدها ويقبلها ، وهى تزيحه برفق وهى تضحك قائلة :

– نتكلم الأول ..

وتقول له أنه مضى عليها سنتان فى مراكش وأنها تتمنى أن تنتقل الى باريس ، وتقول له أسبابا كثيرة ويرد عليها :

– ده نفسى أنقلك معايا ..

وتقول ضاحكة :

– ما ينفعش الا فى باريس .. على الأقل هناك ما حدش

شايئنا ..

ويقول :

– خلاص يا ستى .. باريس ..

وينحدف عليها ، وتتركه يقبلها فى شفتيها ، وهى قرفانة ساخطة ، ثم يحاول أن ينزع ثوبها ، ويمددها على الأريكة ، ولكنها تقاومه ، وتقوم من على الأريكة وهى تقول ضاحكة :

– لا .. هنا ما ينفعش .. فى باريس .. هنا ماليش نفس ..

ثم تقوم وتبدأ تعد له كأسا من الويسكى من البار المقام داخل صالون الحجر ، حتى تشغله عن مطاردتها .. ويسمع جرس

الباب ..

وتقول ناهد فى جزع :

– يا خير .. ده لازم ممدوح ..

ثم تتظاهر بأنها تسوى نفسها ، وتقول لعباس كأنها خائفة :

– باين على حاجة ..

ويقول عباس ضاحكا :

– ولا باين ولا حاجة ..

ويذهب ويفتح الباب .. ويدخل ممدوح .. ويقول له عباس ان ناهد كانت فى انتظاره وأنها سلته بأن روت له كل أخبار المجتمع المراكشى .. ستات ورجالة ..

ويرد ممدوح :

– ما هى أختك يا عباس بيه .. والحقيقة كل مجتمع مراكش فى ايد ناهد ..

وتقول ناهد :

– مش بس كده .. أنا أقنعت عباس بيه انه ما يسافرش بكره ، ويقعد معنا كمان يومين ..

ويقول عباس وهو يناول ممدوح كأس ويسكى :

– بالمناسبة يا أخ ممدوح .. الحقيقة ان نجاحك هنا والمكاسب اللي حققتها للشركة خلستى أفكار انك تمسك مكتب باريس .. انت عارف ان اليوميين دول مالناش حد هناك .. ايه رأيك ؟ ..

ويقول ممدوح فرحا :

– اللي تأمر بيه يا عباس بيه .. أنا فى خدمتك .. وزى ما بيقلوا فى السفر خمس فوائد ..

ويرد عباس ضاحكا وهو ينظر الى ناهد :

مش خمسة .. قول عشرة .. عشرين .. دى فوائد السفر ما بتخلصش ..

ناهد وممدوح يعودان الى البيت ..

وناهد تتجه الى ابنتها .. وممدوح وراءها قائلا :

– تعالى أبوسك يا حبيبتى ..

وتنظر اليه ساخرة في احتقار ..

— ما تبوسنيش هنا .. في باريس .. أنا هنا مش طايقاك .

باريس ..

وتبدأ ناهد حياتها في باريس بشخصية جديدة بعد أن كشفت عن أطماع زوجها واستعداده لأن يبيعها في سبيل أطماعه .. فهي الآن تفرض ارادتها عليه .. وتتصرف بحرية كأنها هي كل شيء ، وعندما يعترض تجادله ساخرة .. وفي احدى الليالي كانت ترقص مع شاب فرنسي في مرقص عام دعيت اليه مع زوجها .. وعندما عادا الى البيت صرخ زوجها ممدوح معترضا على الطريقة التي كانت ترقص بها ، وردت عليه بهدوء ساخرة :

— الشغل عايز كده ..

ويصرخ ممدوح :

— شغل ايه .. ده واد ما يسواش نكله ..

وتقول ساخرة :

— لا .. يسوى .. أنا بقيت أفهم في الشغل زى ما أنت

عارف ..

وتنطلق في حريتها وممدوح لا يستطيع أن يسيطر عليها الى

أن يستسلم لها ..

وعباس بيه يتردد على باريس وتخرج معه وتطوف به باريس

ومحلات باريس وتركه يغازلها ، وان كان دائما يشكو من أنها

لا تعطيها ما يريد ، ويقول يوما :

— أنا بيتهيألى ساعات انك ضحكت على .. انما من كتر

ما أنا نفسى فيكى بنسى انك بتضحكى على ..

وترد ضاحكة :

— هو فيه حد يقدر يضحك عليك يا عباس بيه ..

تقترح ناهد على زوجها أن يطلب تعيين أخيها الذي تخرج من كلية التجارة في مكتب الشركة في باريس .. ويعترض زوجها ، ويثور فهو لا يستطيع أن تعرف الشركة انه يعين شقيق زوجته .. انه غير موافق .

وتبتسم ناهد في سخرية :

— أظن عباس بيه يمكن يوافق ..

ويعين شقيقها معها في الشركة ، ثم يأتي أبوها وأمها وشقيقها الآخر لزيارتها وتستطيع أن تدخل أباهما في مشروعات تجارية عن طريق الشركة ..

وتبدو العائلة كلها وهي ترى باريس لأول مرة .. مبهورة .. فرحة .. وناهد التي أصبحت تعرف باريس كلها تطوف بأماها في الشوارع والمحال .. وأماها التي لم تترك القاهرة من قبل تبدو مبهورة الى حد العبط .. وتضحك ناهد ..

ويعترض ممدوح على أن دعوة ناهد لعائلتها كلها تكلفه كثيرا .. لم يعد يحتمل كل هذه المصاريف ..

وترد ناهد ساخرة :

— اطمئن .. ما تخافش من المصاريف .. أنا بقيت أعرف حتى في المصارف ..

وتقرر ناهد أن تحمل مرة ثانية ..

وتحمل ..

وتدفعها فترة الحمل الى حالة من الهدوء ، وتقلل من نشاطها وخروجها ، وتستعيد احساس الأمومة كاملا ..

ويفرح ممدوح لأنها حملت ، ويقول لها ان المواسم الجديدة
سيكون بشرى خير ويجعلها تبدل من حياتها وتعود كما كانت
ست بيت .. مطيعة .. تسمع كلام زوجها ..
وترد ناهد ساخرة ..

— أنا قررت أخلف عاشان ما أسبش بنتى نيفين لوحدها ..
أجيب لها أخ أو أخت .. ما بخلفش علشان خاطر ك .. وماتنساس
ان كل اللي باعمله .. وكل حياتى .. لأنى سمعت كلام جوزى .
ويخرج ممدوح من الغرفة غاضبا ..
وتسرح ناهد .. ويبدو على وجهها مسحة مسكينة كأنها
تستعيد كل حياتها .. ثم تبدو فى خيالها صورة حبيبها علاء ..
وتبتسم لها ..

علاء فى بيته يدخل على أمه فرحا صائحا :

— نجحت .. البكالوريوس .. ممتاز .. اول الممتازين ..

ناهد تلد .. وتضع طفلة أخرى .. والطفلة توأوا .. واء ..
.. واء ..

علاء فى البيت مع أمه :

— ماما .. أنا رايع بعثة .. اختارونى فى بعثة لباريس ..
يعنى حاسافر كمان شهر ولا شهرين ..

ناهد فى بيتها فى باريس .. جرس التليفون .. ناهد ترفع
السماعة ..

— آلو .. مش معقول .. مش ممكن ..

ثم تصرخ :

— علاء .. علاء .. جيت امتى .. انت فىن .. استناني
عندك .. جايه لك حالا ..

وتلتقى ناهد وعلاء فى باريس لقاء اللفه والشوق الكبير ..
وناهد تحس أن الشئ الوحيد النظيف فى حياتها هو حبها لعلاء ..
حب العمر الطويل .. ويروى لها علاء كل أخباره .. وتروى له
أخبارها .. ويسألها :

— هل هى سعيدة ..

وتجيب ناهد وهى تتحدث فى أسى :

— أنا اتغيرت كثير يا علاء .. شفت حاجات كثيرة .. عملت
كل اللى أنا عايزاه .. انما السعادة .. ما أعرفش .. أنا تايهة
ياعلاء ..

ويتناولان الغداء معا ..

وتصحبه ناهد فى كل أنحاء باريس كما يرى العشاق باريس
.. محلات وأماكن أخرى غير المحلات التى تعودت أن تتردد عليها
مع زوجها خلال الدعوات .. الأماكن الهادئة .. البعيدة ..
الجميلة .. التى يبدو فيها رقة باريس ، وتاريخ باريس ،
وحضارة باريس ..

وتصحب ناهد علاء الى بيتها ، ويستقبله ممدوح فى برود
ولا يعطيه فرصة ليصادقه .. وتقدم له بنتها .. نيفين ونجوى
.. انها تحب حرف النون لذلك اختارت لهما أسماء نونية
كاسمها ..

حاجة حلوة ونظيفة وباسعد بيها الا حبنا ، وعلشان يفضل حلو
ونظيف ، نفضل زى ما أحنا ..

علاء فى حيرة :

– ازاي يا ناهد .. أنا عشت طول عمرى بيكى ولكى ..
أنا نجحت علشانك .. وجيت البعثة علشانك ..
وتقول ناهد وهى تنظر اليه كأنه تودعه :

– لو ما كنتش باحب كنت لعبت .. لعبت معاك وبيك زى
مالعبت كثير .. وطول ما انت هنا وأنا خايفة .. خايفة على حبنا
ما يقاش زى ما اتعودناه .. يبقى لعب .. ما يقاش فى دمنا ،
يبقى فى الأرض .. وانت حاتقعد هنا ثلاث سنين ، وأنا طلبت اننا
نتقل من باريس .. وحانتقل .. بكره .. بعده .. مش
حاتشوفنى .. حاسيبك تانى يا علاء .. حاسيبك وحبك فى دمي
.. حا أخذك معايا جوه عروقى .. حاسيبك لأن حبنا ما يقدرش
يعيش الا جوانا .. ما يقدرش يعيش فى الدنيا .. ما يقدرش
يعيش على الأرض .. وتلقى نفسها وهى واقفة فوق صدره .. ثم
ترفع رأسها اليه والدموع فى عينيها ، ثم تقبله قبلات كثيرة سريعة ،
ثم تبعد عنه وتجري ..

وعلاء يصيح وراءها :

– ناهد .. ناهد ..

ويخفت صوته ، ويسقط رأسه على صدره يأسا ، ويهمس :

– ناهد .. ناهد ..

ناهد تقود سيارتها فى شوارع باريس .. وهى سرحانة هائمة
تستعرض كل حياتها فى خيالها ..
وتبدو صورتها فى بيروت مع سليم ..

وفى يوم ..

وهما جالسان ملتصقان تحت شجرة منزوية فى غابة بولونيا
.. تقترب شفاهما فى قبلة مستمرة تأخذ كل كيانهما .. انها أول
قبلة يتبادلانها بكل ما فى القبلة من احساسيس ..
وفجأة تدفعه ناهد وتقوم واقفة وتبتعد عنه فى خطوات
سريعة ..

ويلحق بها علاء ، ويقف بجانبها وفى عينيه حب ورجاء ..
ويهمس :

– دى أول مرة أحس انك بقيتى بتاعتى .. كلك لى ..
وتقول ناهد والدموع تملأ عينيها :

– ما أقدرش يا علاء .. بلاش .. انت مش عارف أنا اتغيرت
أد ايه .. وشفت ايه .. وعملت ايه .. الحاجة الوحيدة اللى
ما اتغيرتش فى هى حبك .. حبنا .. مش عايزة حبنا يتغير ويبقى
زى اللى شففته من غيرك .. انت قلت مرة ان حبنا فى دمنا .. وأنا
متهيألى أن لو سبت نفسى حاسييح دمي .. حاسييح حبي ..
حايبقى حبنا مجرد بوس وحضن وراجل وست .. صدقنى يا علاء
.. وساعدنى ..

ويقول علاء وكله حب :

– أنا زمان ما كنتش قادر أوعدك بالجواز لانى ما كنتش عارف
مستقبلى .. النهارده أقدر أوعد بالجواز لانى بقيت فى حالة تضمن
لى أيامى ..

وترد ناهد بين دموعها :

– أنا اللى النهارده ما أقدرش أوعد بالجواز لأن فيه مستقبل
تانى ما أقدرش أعرفه .. مستقبل البنيتين .. بناتى .. ما أقدرش
.. ما أقدرش .. أنا اتعذبت كثير يا علاء ، ما فيش فى حياتى

كلمة

قصة « البحث عن ضابط » كتبها كعمل سينمائي لأسجل بها المعركة الشعبية التي تحركت مع الجيش المصرى فى مواجهة الاعتداء الثلاثى على قناة السويس الذى اشتركت فيه بريطانيا وفرنسا واسرائيل عام ١٩٥٦، ووصل الى احتلال سيناء ومدينة بور سعيد وتوقف قبل أن يصل الى احتلال السويس ..

وجميع حوادث هذه القصة السينمائية واقعية .. حدثت فعلا .. فقد قامت الطائرات المعادية بقارة على سجن أبى زعبل فعلا .. وقصة الكلب « مورفى » هى قصة حدثت فعلا .. وحدث فعلا أن اختطف الفدائيون الضابط البريطانى « مور هاوس » وهو من أفراد العائلة الملكية البريطانية ، وصرخت أيامها كل صحف بريطانيا تطالب بالبحث عن هذا الضابط ، وانقاذه ، والوسيلة التى تم بها خطف الضابط ثم قتله وتهريب جثته هى فعلا الوسيلة التى صورتها فى هذه القصة ..

وقد اخترت اسم « البحث عن ضابط » تسجيلا لهذه الحادثة، ولكنه كان اسما مؤقتا وكنت أفكر فى تغييره بعد أن يبدأ تصوير الفيلم ..

ولكن التصوير لم يبدأ ..

وإذا كانت هذه القصة لم تسرق من ادراج مؤسسة السينما

- صورتها فى الكويت
- صورتها مع ممدوح ..
- صورتها فى الدار البيضاء ..
- صورتها مع عباس بك ..
- صورتها فى باريس ..

•• صورتها فى القاهرة وهى طالبة مع علاء ..

مع اختلاف حالتها ومواقفها فى كل صورة من الصور ..
وتهمس ناهد بينها وبين نفسها :

— أنا تايهة .. تايهة فى العالم كله .. تايهة ..

وأصوات أبواق السيارات ترتفع وراء وحول سيارتها فى ضجة وعنق .. ضجيج وعنق العالم كله ..

لاستغلالها تحت اسم آخر ، فاني ما زلت أتمنى أن تنتج السينما
مثل هذه القصة حتى نذكر الشعب في معركتنا الحالية مع
اسرائيل ، بما كان يقوم به الشعب في معركتنا السابقة مع
ثلاث دول ..

احسان ..

البحث عن ضابط

عام ١٩٥٦ .. وبعد اربعة ايام من نزول القوات البريطانية -
الفرنسية ، في بور سعيد ، قررت قيادة القوات المعتدية ضرب
محطة الاذاعة المصرية بقنابل الطائرات لاسكاتها .. وكانت الاذاعة
هي الصوت الوحيد الذي يصل بيننا وبين الشعوب العربية
والصوت الوحيد الذي يلتف حوله الشعب ليتلقى انباء الاعتداء ،
وليتزود منه بالحماس وتوجيهات القيادة المصرية .. فاذا سكت
هذا الصوت ، انزل الشعب عن بقية الشعوب العربية ، وانعزل
عن قيادته في الداخل ..

وأغارت الطائرات البريطانية على محطة الارسال في ابي زعبل
وضربتها بالقنابل ..
وضربت معها ايضا مبنى سجن ابي زعبل ..

وسكت صوت مصر في الداخل والخارج ليضع ساعات ..
سكت في البيوت ، وفي الميادين ، وفي الحقول والصحارى ،
وأصبحت آلات الراديو صناديق خرساء ..

وصاح المذيع في محطة « اذاعة دمشق » هنا القاهرة ..
وأعلن ان محطة دمشق ستذيع باسم القاهرة الى ان يتم اصلاح
محطة الارسال المصرية ..

وهرع مهندسو الاذاعة الى ابي زعبل ، واستطاعوا بعبقرية
خارقة أن يعيدوا الارسال بعد بضع ساعات ٠٠ وانطلق صوت
مصر - صوت جمال عبد الناصر - في البيوت وفي الميادين ، وفي
الحقول والصحارى ٠٠ والناس تهلل فرحة ، وتهتف في حماس
٠٠ لقد كانت عودة الارسال ، انتصارا كبيرا اعاد للمعركة حياتها
وقوتها ٠٠

وتهدم سجن ابي زعبل ٠٠

وساد الذعر وسادت الفوضى بين جنود السجن والمساجين .
ولكن روحا انسانية ووطنية عالية جمعتهم جميعا ٠٠ ان
الجنود يفتحون ابواب الزنانات الباقية ليخرج منها المساجين
احرارا ٠٠ والمساجين ينقلون ضابط السجن من تحت الانقاض ،
ويسعفون السجنائين ٠٠ ولا أحد منهم يهرب ٠٠ ان السجن مهدم
٠٠ والاسوار أصبحت انقاضا ٠٠ والابواب كلها مفتحة ٠٠ ولا
أحد يهرب ٠٠

وعلى مقربة من انقاض السجن ٠٠ على تل من الرمال ٠٠
جلس سبعة من المساجين الذين حررهم الاعتداء بملابسهم الزرقاء
٠٠ السبعة من عتاة المجرمين محكوم على كل منهم بالأشغال الشاقة
المؤبدة في جرائم قتل واغتصاب ٠٠ والسبعة في صمت ٠٠ جالسون
الفرصاء على طريقة المساجين ورؤوسهم بين أيديهم ٠٠

ورفع عبد الله رأسه قائلا :

— ما تقولوا لنا حانعمل ايه ؟

ورفع الباقون رؤوسهم ، وقال الوحش :

— كل واحد يروح يشوف حاله ٠٠ خلاص ٠٠ احنا بقينا

احرار ٠٠

وقال العتر :

— الحرية اللي تيجي على خراب البلد ما تبقاش حرية ٠٠
وقال حمدان محمدين :

— يعنى نرجع السجن برجلينا ؟

وقال عبد الله :

— أشرف واجدع ٠٠

وسادت فترة صمت ، ثم عاد العتر يقول :

— ده صحيح يا رجالة ٠٠ لو رجعنا السجن يبقى أشرف

واجدع ٠٠ وانما برضه ناخذها بالعقل ٠٠ دلوقتي حانرجع السجن

حانعمل ايه ٠٠ حانقطع حجر ٠٠ بس ده وقته يا رجالة تقطع حجر

٠٠ ده فيه انجليز قاعدين يضربوا في البلد ٠٠ نسيبهم يعنى

يضربوا في البلد ٠٠ ولا يعنى علشان ماحنا مساجين ٠٠ طيب اهم

هدوا السجن دول هدوه على دماغنا ٠٠ يعنى لولا ارادة الله كان

زمانا في رحمته ٠٠ انا رايح بور سعيد يا رجالة ٠٠ وبعدما ادبح

كام انجليزى ٠٠ حارجع السجن ٠٠ برجليه واللى خلق الخلق ٠٠

ويقول عبد الله :

— كلام معقول يا جدعان ٠٠ واحنا يعنى باقيين على ايه ٠٠

الواحد منا يروح يا قاتل يا مقتول ٠٠

ويقول حمدان :

— تصدقوا بالله ، أنا باديه دول خدت روح تلاته جوني أيام

ما كانوا في القنال . كان الشغل أيامها كثير ٠٠ المعسكرات ماكتنش

بتخلص ٠٠ نشيل أو مانشيل ٠٠ ولسه ٠٠ اللي عايز يشيل

يشيل ٠٠

ويستمر الحوار بين المساجين السبعة ٠٠ ويقرر واحد منهم

أن يبقى في السجن ٠٠ لقد مضى عليه في السجن عشر سنوات ٠٠

أصبح السجن دنياه التي لا يستطيع أن يعيش خارجها ٠٠ ويقرر

آخر أن يفر ويذهب الى بلده في أعالي الصعيد ليأخذ بثأره ..
ويقرر الخمسة الباقون أن يتوجهوا الى بور سعيد ليشتبكوا في
المعركة ضد المعتدين ..

وبقية المساجين يرفعون أنقاض السجن .. وواحد منهم يصلح
باب زنزانه ، ثم يدخل فيها ويفاق الباب على نفسه ليجره ،
ويبدو وجهه من بين قضبان الباب ..

والخمسة المساجين يتعدون في الصحراء .

ويضطر الخمسة أن يجعلوا خط سيرهم بعيدا عن القرى .
حتى لا يظهروا أمام المواطنين بشباب السجن ، ويضطرون أن
يسرقوا غذاءهم خلال الطريق . ولكنها سرقات انسانية يحاولون
الا يؤذوا أحدا بها .. الى أن يصلوا الى بلدة المنزلة ..

ويتسلل الخمسة الى نقطة تجمع مصرية تقع على البحيرة ،
ويختبئون بين الحشائش ليلا ثم يمر بهم محمود وهو أحد
الفدائيين ، فيمد « العتر » يديه في الظلام من بين الحشائش ،
ويمسك بقدميه ، فيقع الفدائي على الأرض .. ويخرج العتر
ويلقى بنفسه فوق الفدائي ولكن الفدائي محمود يزيحه بقدميه
من فوقه ، وتدور بينهما معركة عنيفة تثبت مهارة الفدائي في
الدفاع عن نفسه ، ولكن بقية الخمسة يخرجون من بين الحشائش ،
وبعد معركة سريعة بالأيدي ، يستسلم الفدائي ..

ويقول العتر :

– حيلك يا سيدنا الأندى .. احنا عايزين نتفاهم بالمفهومية
.. حضرتك يعنى ، ولا مؤاخذه تبقى مين ، وجاى منين ، ورايح
فين ؟

وينظر الفدائي اليهم وهم بملابس السجن ، ثم يقول :

– أنا من قوة الفدائيين ..

ويقول حمدان :

– يجوا ايه بأه الفدائيين دول ؟

ويقول عبد الله وهو يضع يده على جنبه أثر ضربة من الفدائي :

– يقوا آخر مجدعة ..

ويقول العتر :

– تشرفنا يا سيدى فدائي .. ممكن بقى تعمل فينا معروف ؟

ويقول الفدائي :

– خير ..

ويقول العتر :

– تدلنا ندخل بور سعيد ازاي .. أصل لا مؤاخذه ، نادرين

ندر هناك ..

ويعود الفدائي ينظر اليهم ويقول بعد تردد :

– تعالوا معايا ..

ويقول عبد الله :

– على فين باذن الله ؟

ويقول الفدائي بحزم :

– تيجوا معايا وخلص .. من غير اسئلة .

ويقول العتر :

– ماشى كلامك ..

ويسيرون معه الى مركز التجمع على طرف البحيرة .. وهو

يشبه قرية من قرى الصيادين مكون من عدة أخصاص من القش

والطين .. ويسوده نشاط صامت .. أغلب من فيه يلبسون

ملابس الصيادين .. وفي عشة نجد مخزنا للسلاح .. وفي عشة

أخرى مطبعة صغيرة تطبع المنشورات . وبعض الرسامين يرسمون

لوحات مثيرة لتطبع في أفشيات .. وفريق يحشون السمك

بالمنشورات ٠٠ وأحدهم يفتح جسم سمكة كبيرة ويضع في داخلها مسدسا ثم يعيد تخطيطها ٠٠ وبعضهم يضع أسلحة ومنشورات في سلال السمك ثم يضع السمك فوقها ٠٠ حركة كبيرة لكنها صامتة ٠٠ وعلى سطح البحيرة تقف عدة مراكب صيد بعضها مراكب كبيرة وبعضها صغيرة ، ويغطى سطح البحيرة طبقة من الشجيرة ٠٠ ويقود الفدائي المساجين الخمسة داخل المركز وهم يلتفتون حولهم في دهشة ، ولا أحد يلتفت اليهم فكل واحد منهمك في عمله ٠٠

ثم يدخل الفدائي ومعه المساجين الخمسة الى أحد الأكواخ ٠٠ وفي الكوخ يقف الصاغ عبد الحميد مرتديا قميصا وبنطلونا مدنيا ، ومعه اليوزباشى رفعت وهو يبذل ثيابه ويرتدى ثياب الصيادين ٠٠

ويرفع الفدائي يده بالتحية العسكرية قائلا :

— دول وصلوا جديد يا أفندم ٠٠

وينظر الصاغ عبد الحميد في وجه كل من المساجين الخمسة ٠٠ كل وجه قاس عنيف ، ويبدو على الشاشة وفي عيني كل منهم نظرة تحفز واستهتار ٠٠ ويقول الصاغ عبد الحميد :

— الحمد لله على السلامة ٠٠ هربتم امتى ٠٠

ويقول العتر في تحد :

— ما هربناش ٠٠ السجن هو اللي انفتح ٠٠

ويبهز الصاغ عبد الحميد رأسه وعلى شفثيه ابتسامة ترحيب ، ثم يقول لليوزباشى رفعت :

— لبسهم ٠٠ ثلاثة منهم يطالعوا في الدفعة بتاعة الفجر ٠٠

والباقي يطالعوا في الدفعة الثانية ٠٠ ثم يهمس في أذنه :

— دول لقطعة ٠٠

ثم يلتفت الى المساجين الخمسة قائلا :
— اسمع انت وهو ٠٠ المسألة مش فوضى ٠٠ الحماس مش كفاية ٠٠ الأوامر لازم تمشى ٠٠ ورفعت حياخذ بيانات عن كل واحد فيكم ٠٠

وينظر اليه المساجين في استهتار ٠٠ ويقودهم الفدائي خارج العشة ٠٠ ويسير بهم في أزقة القرية التي تعمل في الظلام والصمت ٠٠

ويقول السجين حسنين :

— أوامر ايه ياخويا ٠٠ هو احنا نسيب الأوامر نيجى نلاقي أوامر ٠٠

ويرد عليه العتر :

— ابسط يا عم ٠٠ بقيت عسكري ٠٠

ويلمح عبد الله على ضوء مصباح خافت ، داخل إحدى العتاش ، فتاة — نادية — وهي تعمل في طبع المنشورات على آلة رونيو ٠٠ وينظر اليها نظرة سريعة ، ثم يعود ينظر اليها نظرة ثانية في دهشة ٠٠ ويهمس حمدان في أذنه وقد لمح نادية :

— ده فيه نسوان هنا ٠٠

ويرد عبد الله وهو منبهز :

— آه ٠٠

ويعود عبد الله يقول :

— والنسوان بتعمل ايه هنا ٠٠

ويقول حمدان :

— والله ما أنا عارف ٠٠ يمكن هما كمان بيحاربوا الانجليز ٠٠

ويصل بهم الفدائي الى عشة أخرى يدخلونها ٠٠ ويفتح

صندوقا فيه مجموعة من ملابس الصيادين ، ويقول لهم :

وتكاد تنشب بينهم معركة أخرى ، ولكن العتر يسكتهم ، ثم يتقدم من الصاغ عبد الحميد قائلاً :

– أصل احنا لمؤاخذه كلنا كده على بعضنا بيعه واحدة ٠٠
آه ٠٠ واكابين عيش وملح سوا ٠٠ عشر سنين واللى خلق جنابك
ويفكر عبد الحميد قليلاً ٠٠ ثم يقول :

– طيب اطلعوا ٠٠

ويفرح الخمسة ٠٠

ويقول رفعت لعبد الحميد :

– والله أنا خايف من الجماعة دول ، تلاقهم رايعين يسرقوا
٠٠ و ٠٠

ويقاطعه عبد الحميد :

– لو سرقوا حايسرقوا الانجليز ٠٠ ولو قتلوا حايقتلوا
الانجليز ٠٠

ويقول رفعت :

– ده كل واحد فيهم محكوم عليه بمؤبد ٠٠ ما يمكن يكونوا
بيفكروا يهربوا من مصر بعدما يتفقوا مع الانجليز ٠٠؟
ويقول عبد الحميد :

– ما اظنش ٠٠

ويلمح السجين عبد الله نادية وهى جالسة على أرض المركب
٠٠ وتعود الى عينيه النظرة الغربية المبهورة ويجلس بعيداً عنها
ساكتاً ٠٠

ويتحرك المركب وسط الضباب الذى يغطى سطح البحيرة ٠٠
ويجلس الصاغ عبد الحميد فى مقدمة المركب ، ويقول بصوت
هامس ولكن فى لهجة حازمة :

– اسمع انت وهو ، لو وقفنا فى نقطة مراقبة انجليزية

– كل واحد يدور على مقاسه ٠٠ ويلبس زى ما يلبس
الصيادين ٠٠

ويخلع الجميع ثياب السجن فى فرح ٠٠ ثم يهجمون على
الصندوق وكل منهم يقيس شيئاً من الملابس يتضح انه
ليس على مقاسه ٠٠ ووجوههم القاسية المجرمة تشقها ابتسامة
مخيفة ٠٠ ثم يبدأون فى الشجار بعضهم مع بعض ٠٠ شجار ٠٠
عنيف ٠٠ الى أن يصرخ فيهم العتر :

– جرى ايه يا رجالة ٠٠ احنا حانضرب بعض ولا حانضرب
الانجليز ٠٠

وتنتهى المشاجرة ٠٠

والوحيد الذى لم يشترك فيها هو عبد الله ٠٠ وهو رغم الملامح
القاسية الجامدة التى ترسم وجهه من طول ما عاش فى السجن ،
الا انه يبدو مختلفاً عن الآخرين ٠٠ انه على قدر من الثقافة ٠٠
وأكثر هدوءاً ٠٠ وصمتاً ٠٠ ويرتدى الجميع ثياب الصيادين ٠٠
ويخرج الصاغ عبد الحميد من عشته مرتدياً القميص
والبنطلون ومعه اليوزباشى رفعت مرتدياً زى الصيادين ويتجه الى
مركب بخارى صغير من مراكب الصيادين يرسو على شاطئ
البحيرة ٠٠

وكل من فى القرية يشترك فى تحميل المركب بأسبته السمك
المحشو بالمنشورات ، والأسلحة ٠٠

وتخرج نادية من عشتها وهى مرتدية زى فلاحه وتجرى
لتلحق بالمركب ٠٠

ويتقدم المساجين الخمسة ، ويقول لهم اليوزباشى رفعت :

– ثلاثة منكم بس هم اللى يطلعوا ٠٠

ويتزاحم الخمسة ليصعدوا الى المركب سوياً ٠٠

ماحدث فيكم يتحرك ٠٠ ولا يتكلم ٠٠ ما تنسوش انكم صيادين
لو حد فيكم احتك بالانجليز ولا نطق كلمة ، رحنا كلنا ٠٠ فاهمين
٠٠ ثم يلتفت الى ريس المركب قائلا :

– على بركة الله يا ريس ٠٠

ويبتسم الريس في ثقة ٠٠ وهو ريس صيادين فعلا ٠٠
ويستمر المركب في تقدمه وسط الضباب ٠٠
ساعة ٠٠

ساعتين ٠٠

وكل من عليه صامت ٠٠

وعبد الله ينظر الى ناديه ، ويعود ويرخي عينيه ٠٠
ويقول حمدان هامسا وهو يحاول أن يضحك :

– على الأقل في السجن كنا بنعرف نتكلم ٠٠
وينهره العتر :

– هس ٠٠

وفجأة يرتفع صوت من على الشاطئ :
– وقف عندك ٠٠

ثم صوت تعمیر مدفع برن ٠٠
ويعود الصوت صارخا :

– وقف قبل ما تضرب ٠٠

ويهمس عبد الحميد لرفعت :

– سمعت ٠٠ عمرو البرن ٠٠

ثم يلتفت الى ريس المركب قائلا :

– وقف يا ريس ٠٠ ادخل على الشط ٠٠
ويقول العتر :

– دول انجليز ٠٠

ويتحفر حمدان قائلا :

– انجليز ٠٠ لايمنى عليهم ٠٠

وتتسع عيننا نادية في نشاط وتحفز ٠٠

ويهمس عبد الحميد في حزم :

– كل واحد في حنته أوعى يتحرك ٠٠

ويقترب المركب من الشاطئ ٠٠

ويصيح صوت :

– كنه ينزل من المركب ٠٠

وينزل عبد الحميد ورفعت ليواجهها ضابطا انجليزيا سكران
وحوله مجموعة من العساكر الانجليز ٠٠ وبمجرد نزولهم يصر

جندى آخر مدفعا آخر من مدافع البرن ، فيلتفت عبد الحميد
ناحية صوت التعمير بحركة تلقائية ٠٠ وينظر اليه الضابط

الانجليزى ويصرخ في وجهه :

– انت ضابط ٠٠

ويقول عبد الحميد :

– أبدا ٠٠ لا ضابط ولا حاجة ٠٠ ده أنا مهندس ٠٠ وعيلتى

كلها في بورسعيد ورايح أشوفهم ٠٠ والانجليز ناس جنتلمان ٠٠
ما يصحش يسيبوا عيانتى لوحدها ٠٠

ويعود الضابط الانجليزى يصرخ :

– انت ضابط ٠٠

ويقول عبد الحميد :

– ضابط مين بس يا خواجا ٠٠ ده أنا مهندس ومتعلم عندكم

في لندن ٠٠

ويقول الانجليزى السكران :

– أنا مش مغفل ٠٠ انت ضابط ٠٠ لأنك عرفت صوت تعمير

البرن ٠٠

- شيل ايدك روح هات مراتك تفتشنى ..
 ويضحك الجندى الانجليزى ..
 ويتحفز عبد الله ليهجم عليه ، ولكن العتر يلمس ذراعه ،
 وهو يهمس فى اذنه :
 - خليك ثقيل .. ما هو او زودها مش حانسكت ..
 وينضم جندى آخر الى الجندى الاول ويضحكان على ناديه ،
 فتجربى ناديه وتقف وراء عبد الحميد ..
 ويقول عبد الحميد للضابط الانجليزى :
 - عيب ياكولونيل .. الانجليز جنتلمان .. و ..
 ويصيح الضابط فى جنوده :
 - فيه سلاح ؟ ..
 ويقول الجاويش :
 - لا .. ما فيش سلاح ..
 وينظر الانجليزى فى وجه عبد الحميد قائلا :
 - أنت ضابط ..
 ويقول عبد الحميد :
 - ما قلنا مش ضابط .. مهندس يا ميجور .. مهندس ..
 ويقول الانجليزى :
 - طيب يلا ..
 ويقول عبد الحميد :
 - والفلوس .. فلوسى ..
 ويرد الضابط :
 - ما فيش فلوس ..
 ويقول عبد الحميد :

ثم يلتفت الى رفعت قائلا :
 - أنت مش ضابط .. انت فدائى ..
 ثم يضربه بالقلم .. ويصيح رفعت :
 - يا ابن الذين ..
 ويتحرك ليهجم على الضابط الانجليزى ولكنه يمسك أعصابه ،
 ويقول فى لهجة الصيادين :
 - جرى ايه يا خواجا فدائى ايه .. انا صياد سمك ..
 ويصفعه مرة أخرى قائلا :
 - أنت فدائى ..
 ويقترب من ريس المركب وينظر فى وجهه فيقول الريس :
 - مش فاكرنى ولا ايه .. وما أنا رايع جاى قدامك كل يوم ..
 ثم يشير الى رفعت :
 - وده كمان من رجالتى .. رايع جاى معنا .. ماتسيبونا
 ناكل عيش .. انتم مش بتقولوا جاين تنقذونا .. طيب
 ما تنقذونا بأه .. الله يخرب بيوتكم ..
 ويتبسم الضابط الانجليزى قائلا :
 - أنت كويس كثير ..
 ثم يلتفت الى جنوده قائلا :
 - فتش ..
 ويهجم جندى على عبد الحميد ويفتشه ، ويأخذ ساعته
 والنقود التى يحملها ، حوالى مئتى جنيه .. وجنود آخرون
 يفتشون باقى الركاب .. ويفتشون المركب .. يضعون السنكى
 فى السلال التى تحمل المشورات تحت السمك ..
 ويقترب جندى من ناديه ليفتشها فتزيحه فى حركة بلدية ،
 وهى تصرخ فى لهجة ريفية :

– أما ولاد حرامية صحيح .. فلوسى يا خواجه علشان عيانتى
 الملى فى بور سهيد .. دول تحويشة العمر ..
 ويرد الضابط :
 – ما فيش فلوس ..
 ثم يلتفت الى رفعت ويصفحه .. قائلاً :
 – ياللا ..
 ويعود الجميع الى المركب .. ويقول رفعت وهو يكتفم غيظه :
 – بس اما أرجع له ابن القديمة ..
 ويقول حمدان :
 – بأه ده اسمه كلام يا جدعان .. اديه بتاكلنى نفسى آخذ
 روح ثلاثة أربعة منهم ..

ويبدأ المركب سيره من جديد ..
 ويصل المركب الى الشاطئ أمام القرية الصغيرة التى تحمل
 اسم : « عزبة الخنازير » ، ونور الصباح قد سطع .. ويبدأ من
 عليه فى أنزال حمولته . ويتجه الصاغ عبد الحميد الى جامع صغير
 فى القرية ويخلع حذاءه ، ويدخل الجامع ويصلى ركعتين .. ثم
 يقوم ويجلس بجانب شيخ يتلو القرآن فى صمت خفيض .. ويقول
 الشيخ وهو يقرأ القرآن .. « نمره حداشر شارع المينا الدور
 الثالث على اليمين .. ونمره خمستاشر فى شارع البلدية الدور
 الثانى » ثم يستمر فى قراءة القرآن ..
 ويقوم عبد الحميد من جانبه ويخرج من الجامع ..
 ويتلفت عبد الحميد الى حمدان الوحش قائلاً :
 – خليكوا اتم هنا .. اسألوا عن واحدة اسمها « أم الضو »
 وروحوا لها ..

ويقول حمدان :
 – نروح لها نقول ايه ؟
 ويقول عبد الحميد :
 – ازيك يا ست أم الضو .. الخير كثير والحمد لله ..
 ويقول الوحش :
 – وبعدين ؟
 ويقول عبد الحميد :
 – هى حتفهم كل حاجة ..
 ويسير عبد الحميد مبتعدا .. بينما كل من كان على المركب
 يتجه فى اتجاه ..
 ويدخل حمدان ومعه الوحش الى القرية .. ويسأل أحد
 الفلاحين عن بيت « أم الضو » ويذهبان اليه .. بيت من الطين
 ملحق به عشة من الصفيح .. وأم الضو جالسة على الأرض تقطف
 أوراق اللوخية .. ويقول لها حمدان :
 – ازيك يا ست أم الضو .. الخير كثير والحمد لله ..
 وترفع أم الضو رأسها اليهما ، وتبذلق فى وجهيهما ثم تشير
 اليهما فى صمت الى الغرفة الداخلية .. ويدخلان اليها فيجدان
 ثلاثة شبان ، أحدهم ينظف بندقية ، والثانى يقرأ فى كتاب « حرب
 العصابات » ، والثالث يربط بعض أصابع الجلجنايات فى قتل
 والثلاثة فى ثياب الفلاحين والصيادين .. ويقول حمدان :
 – السلام عليكم يا جدعان ..
 ويرفع الثلاثة رؤوسهم صائحين :
 – سلام ..

بور سعيد ٠٠

شارع رئيسى ٠٠

دورية انجليزية تسير فى الشوارع بقيادة ضابط وحولها مجموعة من الأطفال يقلدون مشية العساكر ٠٠ الضابط الانجلىزى يوزع قطعاً من الحلوى على الأطفال تقرباً اليهم كما كانت تقضى تعليمات القيادة لاكتساب صداقة الشعب ٠٠

فجأة يعترض طريق الدورية كلب مخلوق الشعر ، وقد كتب على جسده بخط عريض وباللغة الانجليزية اسم « ايدن » وعلى جانبة الآخر اسم « موليه » ٠٠

ويستشيط الضابط غضباً عندما يرى الكلب ، ويأمر جنوده بأن يقتلوه ٠٠

ويصوب أحد الجنود بندقيته ويضرب ، ولكن الكلب يجرى ٠٠ ويجرى وراءه الجنود ٠٠ ويضحك أهالى بورسعيد ٠٠ ويبدو الكلب مدرباً على الأعمال الفدائية ٠٠ فهو يختفى ٠٠ ثم يظهر أمام الجنود ٠٠ وعندما يجرون وراءه ويطلقون الرصاص ، يختفى مرة ثانية ٠٠ ثم يظهر لهم وهو يحاورهم ٠٠ والناس تضحك ٠٠ واحد الجنود يقع وهو يجرى وراء الكلب ٠٠ وجنديان يصطدمان ببعضهما ٠٠ و ٠٠ و ٠٠ والناس تضحك .

وقد ظهر الكلب « مورفى » فى شوارع بورسعيد بعد الاعتداء وهو يحمل على جانبيه يافطتين كتب على أحدهما اسم ايدن وعلى الثانية اسم موليه ، فرغ الانجليز اليافطتين من على جانبيه ، وأخذوا الكلب وسجنوه فى حديقة بيت القائد البريطانى ٠٠ ولكن الكلب هرب من البيت ، وبعد أيام عاد يسير فى شوارع بورسعيد وقد كتب على جسده بالزيت اسم ايدن وموليه ، فأخذه العساكر الانجليز وحلقوا شعره حتى يزيلوا الكتابة من عليه ،

وسجنوه هذه المرة فى معسكر الجيش الانجليزى ، ولكن الكلب « مورفى » استطاع أن يهرب مرة ثانية ، ولمحه أحد ضباط المعسكر وهو يهرب ، فقرر أن يتبعه حتى يعرف صاحبه ، وركب هو ومجموعة من الجنود سيارة جيب ، وهرعوا بها وراء «مورفى» ولكن « مورفى » وقد شعر بأن الانجليز يتتبعونه استطاع أن يخفى نفسه فى حوارى وازقة بورسعيد ٠٠ وفى الليل ، وبعد أن ينس الانجليز من العثور عليه ، يخرج « مورفى » من الحوارى ، ويسير بجانب الحائط حذراً الى أن يصل الى بيت فى شارع محمد على ، ثم يصعد الدرج الى عيادة طبيب الأسنان الدكتور خليل عبد اللطيف ، ويشب قدميه على الباب ويخبط عليه ، الى أن يفتح الباب ، ويدخل مورفى ٠٠

وفى صباح اليوم التالى يخرج مورفى الى شارع بورسعيد وقد كتب على جسده المخلوق اسما ايدن وموليه الى أن يجرى وراءه جنود الدورية الانجليزية يحاولون قتله (المشهد السابق) ٠٠

فتحية ٠٠ فتاة شقراء مثيرة تسير فى شوارع بورسعيد ، وتقابل ضابطاً بريطانيا فتقف وتتحدث معه ، والضابط يغازلها ، ويداعبها بيديه ويحاول أن يحدد معها موعداً للقائه ٠٠

على المقهى القريب يجلس الصاغ عبد الحميد وهو بالقميص والبنطلون ٠٠ واثنان من زبائن المقهى ينظران الى الفتاة الشقراء ، ويصق أحدهما على الأرض ، ويقول :

— أصلها بنت انجليزية ٠٠

ويرد الآخر :

- طويل .. أسمر .. بكره حانخلص .. بكره حانخلص ..
وتهز فتحة رموش عينيها ، وهى فاغرة فاها والدكتور خليل
ظاهر بعلاج أسنانها ..

شوارع بور سعيد الرئيسية ..
نادية تسير فى الشارع .. وتقف وتشد من حقيبتها
منشورا وتناوله لأحد المارة .. ويقرا المواطن المنشور وهو موقع
بامضاء « قوات التحرير » .. ويتسم فى فرح .. وتمر نادية على
مواطن آخر وتناوله منشورا آخر .. ثم تدخل محلا وتظاهر
بالشراء ، وترك على مائدة داخل المحل مجموعة المنشورات ..
ثم تخرج من المحل وتناول مواطنا آخر منشورا ..
فرغلى .. مصرى متعاون مع الانجليز .. يمر فى الشارع
وهو جالس فى سيارة جيب يقودها عسكري بريطانى .. يلمح
نادية وهى توزع المنشورات .. فيأمر السائق بالوقوف وينزل
من السيارة ويتقدم اليها .. ولكنه ما يكاد يصل اليها حتى يظهر
عبد الله السجين فى لباس الصيادين ، وكان طول الوقت يتبع
نادية .. ويهجم على فرغلى ، ويصرخ فى وجهه :

- مش عيب عليك يا راجل ..

ويمسكه من يده ، ويرتفع النقاش ، ويتجمع الناس ، ويخاف
فرغلى ، فيجرى من وسط الزحام ، ويعود الى السيارة ويطلب
من السائق الانجليزى أن يقودها بسرعة ..

تصل سيارة فرغلى الى مبنى القيادة البريطانية ..

- والله أبوها كان راجل طيب ووطنى .. ما غلطش الا انه
اتجوز انجليزية ، وخلف منها بنت الهرمه دى ..
ويقول الأول :

- والله الواحد متهايا له يقوم ياخذ روحها ..

ويمد العتر رأسه وهو جالس على مقعد آخر فى المقهى بعيدا
عن محمود ، ويمد رأسه ويقول للآثنين اللذين يتحدثان :
- احنا فى الخدمة ..

فتحية تترك الضابط الانجليزى وتسير فى الشارع ، وكل من
يصادفها من الأهالى ينظر اليها باحتقار ويبصق على الأرض ..
والصاغ عبد الحميد يتبعها بعينه ..

تصل فتحية الى العمارة التى تقع فيها عيادة طبيب الأنسان
الدكتور خليل عبد اللطيف .. وتصعد وتقف أمام باب العيادة
وهى تتلفت حولها ، ثم تضغط الجرس .. ويفتح لها محمود وهو
يرتدى زى التورمجي .. (ومحمود هو نفسه الفدائى الذى رأيناه
فى مركز تجمع الفدائيين والذى قاد المساجين الخمسة الى الصاغ
عبد الحميد ..) وتدخل فتحية وتجلس فترة فى غرفة انتظار
المرضى ، الى أن يعود محمود ويستدعيها الى غرفة الكشف ..
ويستقبلها الدكتور خليل ، وتجلس على المقعد ، يفتح فمها ،
ويقول الدكتور خليل وهو ينظر فى أسنانها :

- كله كويس .. فيه تقدم كبير .. بس الليلة دى لازم
تستريحى فى البيت .. تكونى فى البيت الساعة ستة علشان
تستريحى كفاية ..

وتنظر اليه فتحية وكأنها فهمت ..
ويعود الدكتور خليل قائلا :

والميجور ديزموند يعقد اجتماعا داخل القيادة ويحضره عدد من الضباط الانجليز . .

ويدخل فرغلى الى الاجتماع ويجلس على احد المقاعد . .
الميجور ديزموند يقول انه عمل في مصر قبل الجلاء عشرة اعوام ، وأنه يعرف الشعب المصرى معرفة جيدة ، ويتكلم العربية ، ويعرف أن هذا الشعب همه على بطنه ، وأنه ليس متعلقا بالنظام الحاضر ، وأن المعاملة الحسنة ، وتوزيع الرشاوى والهبات ، تغنى عن محاربتيه . . و . . ثم يطلب من فرغلى أن يركب سيارة ويطوف بشوارع البلد ويعلن بالميكروفون أن القيادة ستوزع تموين الأرز والسمن واللحم والسكر على الأهالى ، كما ستوفر العمل لكل من يطلبه ، ويعلن أن يتقدم الأهالى الى القيادة لـ صرف التموين لهم . . و . . الخ . ويقول فرغلى ان بعض الأهالى يوزعون المنشورات . .

ويصرخ ديزموند بأن هؤلاء ليسوا سوى عدد من المجانين من السهل جمعهم ، وأن الشعب يحب الانجليز . .
مبنى القيادة من الخارج . . عسكرى انجليزى يقف داخل كشك الحراسة . .

في منحنى من الطريق يقف شاب تحت ابطه «أفيش» وفرشاة للصلق الاعلانات . . وبجانبه طفلان . . ويتحدث الى الطفلين ويشير لهما الى الجندى البريطانى . .

ويتقدم الطفلان الى الجندى البريطانى ويتسلمان له ويقلدانه في حركاته . .

ويتسسم لهما الجندى البريطانى ، ثم يخرج من جيبه بعض الحلوى يقدمها لهما ، وبينما هو مشغول بهما ، يتقدم الفدائى ،

بسرعة يلصق الأفيش على ظهر كشك الحراسة وهو أفيش برسوم عليه صورة الشعب المصرى يشوط المعتدين بالحذاء . .
ويختفى الفدائى بسرعة . .

ويخرج الميجور ديزموند من مقر القيادة وحوله بعض الضباط ، فيلمح الأفيش ويثور ، بينما يتسسم فرغلى في مرارة .

فرغلى يطوف بسيارة يعلن فى ميكروفون بأن يتقدم الأهالى الى القيادة البريطانية يطلبون العمل والتموين . . والأهالى تنظر اليه فى اشمئزاز . .

فرغلى يعود فى الساعة السادسة الى بيته فى احدى عمارات بور سعيد . . توصله اليه سيارة انجليزية . . وما يكاد يصعد السلم حتى يسمع صوت أقدام وراه فيجرى فى فزع ، وصوت الأقدام يقترب . . ويقف أمام أحد الأبواب ويخبط عليه بيديه ، ولكن صوت الأقدام يقترب أكثر . . فيبتعد عن الباب . . ويجرى صاعدا السلم . . الى أن يصل الى سطح العمارة . . وتلحق به الأقدام التى تتبعه . . ويبدو ثلاثة . . الصاغ عبد الحميد . . ومحمود الفدائى فى زى التمرجى . . والعتر فى زى الصيادين . . ويقف فرغلى مستندا الى حائط السطح . . والثلاثة يقتربون منه فى صمت وخطوات بطيئة . . وفرغلى يرتعش . . ويخرج مسدسه . . وترتعش يده . . ثم يقع المسدس من يده ، ويبدأ فى التوسل والبكاء . . ويشير عبد الحميد الى العتر فيهجم على فرغلى ويحمله بيده ويلقى به من فوق سطح العمارة . .

جثة فرغلى ملقاة فى الشارع . .

الثلاثة يقفزون من السطح الى سطح العمارة المجاورة . .

٠٠ كويس كثير ٠٠
ثم يطلق الباب ٠٠ ويعود يغازل فتحية ، ويتفق معها على
موعد وينزل ٠٠

العمارة الثانية مهدمة ٠٠ والأهالي يجمعون حوائجهم من بين
الاتقاض ٠٠ وعربات الاسعاف تنقل القتلى والجرحى ٠٠

وفي الصباح التالي عبد الحميد وفتحية في سيارة خصوصية
يقودها عبد الحميد خارج شوارع بور سعيد ، فتحية تضع رأسها
على كتف عبد الحميد متظاهرة أنها في حالة غرام ٠٠ نمر السيارة
في حذاء معسكرات الجيش البريطاني ٠٠ ويلوح الجنود الفرنسيون
لهما ويهللون لهذا السيد الفرامى ٠٠ عبد الحميد يتمتم وعمو
يتظاهر بالابتسام للجنود الفرنسيين ٠٠

ثلاث دبابات سوتربوم ٠٠ الجانب الشرقى الكيلو ١٤ ٠٠ بينما
نرى فتحية تكتب في ورقة تسندها على ركة عبد الحميد وعى
لا تزال مستندة برأسها على كتفه ٠٠ ويظل عبد الحميد يملى على
فتحية المعلومات العسكرية التى يجمعها ٠٠ وبطوف حول
بور سعيد بالسيارة لسجل تقط وقوف الدبابات والمدافع ٠٠

ويدخل عبد الحميد بالسيارة بور سعيد ، ويأخذ الورقة التى
كانت فتحية تكتب فيها ويضعها في جيبه ٠٠ وتنزل فتحية من
السيارة ، ويقودها عبد الحميد ويقف بها بجوار احد المقاهى ٠٠
شوارع بور سعيد ، والدورية الانجليزية تمر في الشارع
بقيادة احد الضباط وحولها الأطفال ٠٠ برفع الضابط بصره

الأهالى ملتفون حول الجثة ٠٠ وسيارة الجيش البريطانى
المساحة تصل ٠٠ ويصعد الجنود الى العمارة بحثا عن الجناة ٠٠
سكان العمارة في فزع ٠٠ يخرجون من الأبواب ٠٠
الضابط يأمر الجنود بتصويب مدفع ميدان على العمارة ٠٠
صراخ ٠٠

الصاغ عبد الحميد يخرج من باب العمارة المجاورة ٠٠ ويتلفت
حوله ثم يسير في الشارع ٠٠ ويلمحه أحد الضباط الانجليز ،
فيجرى وراءه ومعه ثلاثة من الجنود ، ويطاردونه ٠٠ وأثناء
المطاردة يسمع صوت قصف المدفع البريطانى للعمارة ٠٠
وتستمر المطاردة ٠٠

يصعد عبد الحميد على سلم عمارة بعيدة ، ويدق أحد أبوابها،
فتفتح له فتحية ، ويقول بسرعة :
٠٠ بكره نخلص ٠٠

فتدعه فتحية يدخل بسرعة ٠٠ ويخلع ثيابه ويرقد في الفراش
٠٠ وتشير فتحية الى شقيقتها فترقد بجانب عبد الحميد فى
الفراش ٠٠

بعد قليل تسمع دقات سريعة على باب بيت فتحية ٠٠ وتفتح
الباب ٠٠ ويبدو وجه الضابط الانجليزى ٠٠ وهو نفس الضابط
الذى رأيناها تحادثه في الطريق ٠٠ وتتظاهر فتحية بأنها تعتقد
أن الضابط جاء لمغازلتها ، وتقول له انه لا يستطيع أن يأتى الى
بيتها الآن لأن أختها وزوجها ينامان فى الداخل ٠٠ ويدخل الضابط
رغم هذا ويدخل خلفه الجنود ٠٠

ويفتح حجرة النوم فيرى أخت فتحية وعبد الحميد متعانقين
ويقلان بعضهما ٠٠ فيقول :

بور سعيد ، ويرسمون دائرة بالقلم الاحمر حول أحد المواقع :
الانجليز حاطين هنا ثلاث دبابات ..

موقع عند احد مداخل بور سعيد .. ليل .. صمت ..
ثلاث دبابات واقفة موجهة مدافعها الى بور سعيد .. بينما
الضابط والجنود الانجليز جلسوا على الارض على مسافة قريبة
يسكرون .. رجال الصاعقة يزحفون على بطونهم ليضعوا تحت
الدبابات قنابل متفجرة .. ثم يزحفون بعيدا ..
الدبابات الثلاث تنفجر ..

يذعر الضابط والجنود الانجليز ، ويهبون الى سلاحهم ..
فيتلقاهم قوات الصاعقة المرابضة على بعد وتدور معركة
بالتريوليزات .. وتفنى القوة الانجليزية عن آخرها .. ويقتل
اثنان من رجال الصاعقة ..

شوارع بور سعيد ..
منشورات تغطي الجدران مكتوب فيها « يا اهالى بور سعيد
.. الصاعقة معكم .. خسر العدو ليلة امس ثلاث دبابات وأحد
عشر قتيلاً .. »

مركز القيادة البريطانى ..
القائد البريطانى فى اجتماع وهو ناثر .. ويأمر بتفتيش جميع
بيوت وشقق بور سعيد بحثا عن رجال الصاعقة .. الميجور
ديزموند يحاول أن يقنع القائد البريطانى بأن الشعب المصرى

فيرى دمتين كبيرتين معلقتين فى أعمدة النور فى وضع مشنوق
وقد كتب على احدهما ايدن ، وعلى الأخرى مولييه .. ويجن
الضابط ويأمر جنوده بانزال الدمتين .. والأهالى يضحكون ..
وفى شارع آخر يقف بعض الجنود الانجليز وهم يخفون
بفرشاة مغموسة فى الجير شعارات مكتوبة على الجدران « اخرجوا
من بلادنا » .. و « يعيش عبد الناصر » .. الخ ..

اليوزباشى رفعت فى زى ماسح احذية .. ويقترب من المقهى
الذى يجلس فيه عبد الحميد يمد له عبد الحميد حذاءه ويجلس
رفعت ليمسحه .. ويهمس عبد الحميد « قيادة الصاعقة شارع
محمد على نمرة ١٢ » ثم ينحنى متظاهرا أنه يناوله نقودا ، ويناوله
الورقة التى سجلت فيها فتحية المعلومات العسكرية ..

رفعت يسير فى شارع محمد على وهو يحمل سبت فيه بعض
الخضروات .. ويتلفت حوله .. ثم يصعد الى العمارة .. وينقر
على أحد الأبواب نقرات خاصة ، فيفتح الباب ويطل منه وجه
شاب يرتدى البيجاما .. ويقول رفعت « نصر » .. ثم يناول
الشاب سبت الخضروات وينزل من العمارة بسرعة ..

داخل الشقة التى اتخذها جنود الصاعقة مركز قيادة لهم ..
خمس من الضباط والجنود بعضهم يرتدى البيجامات وبعضهم
بالفانلة والبنطلون .. يلتفون حول سلة الخضار ويشقون الكوسة
والباذنجان ، الى أن يعثروا داخل ثمرة الكوسا على الورقة التى
تحوى المعلومات العسكرية .. فيدرسونها .. ثم يفتحون خارطة

يرحب بالانجليز ، وانه لو اعلن عن مكافأة لمن يسلم احد رجال الصاعقة ، فسيسلمهم الاهالى ..

الجنود البريطانيون ينتشرون في جميع أنحاء بور سعيد في حملة تفتيش كبرى .. ويقتحمون البيوت .. ويقلبون قطع الأثاث .. ويقبضون على كثير من الشبان يحملونهم في سيارات الى سجن القيادة ..

بعض الجنود يصعدون الى العمارة التي يقع فيها مركز قيادة الصاعقة .. ويطلقون باب الشقة ، فلا يجيبهم احد .. ويحطمون الباب ، ويدخلون ويفاجأون بكلمة مكتوبة على الحائط بالخط الكبير وباللغتين الانجليزية والعربية : « الصاعقة كانت هنا .. »

في الليل .. ليلة حملة التفتيش الكبرى .. والجنود الانجليز والسيارات الحربية لا تزال تملأ الشوارع .. وطلقات الرصاص تسمع من بعيد .. الكلب مورفي يسير بجانب الحائط حذرا متسللا وهو يعرج بأحد أقدامه بعد أن أصيب فيها برصاصة .. ولا يزال مكتوبا على جسده اسم ايدن وموليه .. يلمحه أحد الضباط الانجليز ..

ويهم جندي انجليزى بأن يطلق عليه النار ، ولكن الضابط ينمعه .. ثم يتتبع الكلب من بعيد ، ومعه بعض الجنود .. ويدخل الكلب الى عمارة الدكتور خليل عبد اللطيف .. ويخربش باب العمارة بقدميه ، فيفتح له الدكتور .. وبعد قليل يهجم الضابط الانجليزى والجنود على الشقة ، ويقتحمونها

ويقبضون على الدكتور .. ويهجم الكلب مورفي على الجنود دفاعا عن الدكتور وعن نفسه ولكن الجنود الانجليز يتقبلون عليه ، ويحملونه معهم ..

الدكتور خليل في سجن الانجليز ، يعذبونه .. مختلف انواع التعذيب .. الضرب .. الصدمات الكهربائية .. الشد .. العطش .. الجوع .. حتى يعترف عن أماكن الفدائيين ورجال الصاعقة .. ولكنه لا يعترف .. الى ان يموت من التعذيب .. وهو يكتب على حائط السجن .. مصر حرة .. عاش جمال ..

الكلب مورفي مقيد داخل معسكر الانجليز .. يبدو عليه الضعف .. ويفهم من كلام الانجليز انه يرفض الطعام منذ قبض عليه ..

وفي اليوم الذي يموت فيه الدكتور خليلي .. يموت الكلب مورفي ..

حمدان والوحش ومعهما اثنان من الفدائيين في بيت «أم الضو» .. يقول حمدان انه مضى عليه أربعة أيام لم يصنع شيئا .. وأن البقاء في السجن كان أفضل .. وأنه يفكر في أن يخرج من هذا البيت ويحارب الانجليز وحده ولحسابه ..

يدخل أحد الفدائيين ، ويقول لهم ان هناك اجتماعا في شونة البصل التي تقع في الكفر ، وعلى حافة الطريق الزراعى الممتد بجانب القتال ..

ويقوم الجميع الى شونة البصل .. والوحش يتمم :

أكوام البصل .. ويدخل جندي انجليزي يحمل نفثة لهب ..
ويحرق اكوام البصل . ويخرج حمدان من بين كوم البصل وصدره
مشتعل بالنار .. ويلقى بنفسه على الأرض ليطفيء النار فيهم
عليه العسكري الانجليزي ، وبهم ان يطعنه بالسوتكى ولكن الوحش
يقفز على العسكري الانجليزي ، ويلقيه على الأرض وقد اطبق
اصابعه الفليظة على عنقه .. ويطلق جندي انجليزي آخر النار
على ظهر الوحش .. فيقع قتيلًا .. ولكن اصابعه لا تنفجر عن
عنق الانجليزي .. ويموت الانجليزي والوحش قتيلًا فوقه ..
ويستطيع حمدان ان يهرب من الشونة وصدره محترق ..

بعد انتهاء معركة الشونة يأمر قائد القافلة الانجليزية بحرق
قرية « كفر الخنازير » كلها ..
وتشتعل القرية كلها .. والأهالي والنساء يصرخون ..
مطلقات الرصاص لا تزال تتبادل بين الفريقين ..

في الصباح التالي ..
شوارع بور سعيد ..

منشورات تغطي الجدران مكتوب فيها : « يا أهالي بور سعيد
.. الفدائيون معكم .. خسر العدو ليلة أمس أربع سيارات حربية
وثلاثين قتيلًا في معركة كفر الخنازير .. »

الميجور ديزموند خارج من فندق « البيت الحديدي » حيث
اتخذت القيادة البريطانية بعض مكاتبها .. يلتف حول الميجور بعض
الأهالي يتزاحمون حوله ويقدمون له عرائض تحمل طلبات التموين .

اجتماعات ايه با رجالة .. احنا جاين نتكلم ولا نحارب .
يدخلون الى شونة البصل .. وهى مليئة بأكوام البصل ..
وخلف احد الاكوام يجلس البيوزباشى رفعت ..
ويلتف الفدائيون حوله .. ويشرح لهم خطة عمل كمين لقافلة
من السيارات العسكرية التى ستمر في منتصف الليل ..

وفي المساء يخرج رفعت من شونة البصل ومعه اكثر من
عشرين فدائيا بينهم حمدان والوحش ويسرون بعيدا عن القرية
ثم يبدأ في حفر نفق عريض يقطع الطريق .. ويحفر الفدائيون بهمة
وبسرعة .. ويقول حمدان :

— هو احنا نسيب تقطيع الحجر علشان نحفر هنا ..
بعد ان يتم الحفر يغطي الفدائيون النفق بالجريد ، وينشرون
فوقه التراب .. ثم يعودون الى شونة البصل .. ويبدأ رفعت
ومن معه يخرجون المترليوزات من بين أكوام البصل ، ويقول
الوحش :

— انا معرفتش شغل المدافع .. انا باشتغل باديه ..
ويعد يديه في وضع من يهم بخنق شخص ..

في منتصف الليل تمر قافلة السيارات البريطانية .. ولا تكاد
تجتاز شونة البصل حتى تقع بعض السيارات في الحفرة .. ويبدأ
الغدائيون المختبئون في الشونة ، يطلقون النار على السيارة الاخيرة .
تقف القافلة كلها .. وتدير المصاييح الكهربائية التى كانت
تحملها السيارات الى الشونة وتبدأ معركة بالرصاص .. ويتكاثر
الجنود الانجليز ، ويقع منهم قتلى كثيرون ، ولكنهم يفلحون أخيرا
في اقتحام شونة البصل .. ويختبئ بعض الفدائيين في داخل

غربية ويلقيان به في أرضية سيارة قريبة ، ويركيان فيها وتنطلق السيارة ..

ويتم كل ذلك في وضح النهار ..
وبسرعة عجيبة ..

السيارة تدخل في « المناخ » وهو الحى العربى في بور سعيد، وكل بيوتها واطئة ومتلاصقة .. وتقف السيارة أمام مدخل حارة ضيقة ، وينزل العتر وعبد الله ثم يسحبان من داخل السيارة حصيرة ملفوفة في داخلها الضابط المخطوف ..

شخص نائم خبيث المظهر يقف عند مدخل الحارة ويراقب العملية ، ويتتبع بعينيه عبد الله والعتر وهما يحملان الحصيرة ، ويدخلان بها بيتا في الحارة ..

يصعد عبد الله والعتر السلم الضيق ثم يدخلان شقة ضيقة نرى فيها حمدان راقدا وهو يعالج ويئن من صدره المحروق .. ومعه السجين الخامس .. ويقول العتر ضاحكا :

– جينالك اكله حلوة .. تحب تأكلها لوحده ولا ناكلها معاك؟
ثم يفرد الحصيرة ويظهر فيها الضابط الانجليزى وهو لا يزال مخدرا ..

ويعددل حمدان في رقدته وتمتد يده في الهواء كأنه بهم بخنق انسان ..

عبد الحميد ومحمود جالسان في المقهى ، ويقتررب منهما شخص ثالث ويجلس بجانبهما قائلا :

على مقهى قريب يجلس الصاغ عبد الحميد وبجانبه الفدائى محمود .. ويقول عبد الحميد مشيرا الى ديزموند :

– الراجل ده اخطر واحد في قوات الاحتلال .. ويقول محمود :

– كلهم اخطر من بعض .. ويقول عبد الحميد :

– لا .. ده اخطرهم .. اصله عاش في مصر كثير .. ويحاول دلوقتى يعمل شبكة جاسوسية جديدة .. ويغرى الاهالى بالتعمين والفلوس .. لازم نشوف له حل .. ويقول محمود :

– على كل حال الانجليز بقالهم يومين مطمئنين .. ما حصلش ولا عملية .. وفاكرين ان حرق كفر الخنازير خوف الناس .. ويقول عبد الحميد وهو ينظر في ساعته :

– زمان العتر وعبد الله بيقوموا بعمليتهم دلوقتى .. انا مستنى اخبار ..

في شارع آخر من شوارع بور سعيد ..

مجموعة من الأطفال يلعبون حول جنود دورية انجليزية .. يغنون ويلعبون معهم .. والجنود الانجليز يلعبون معهم ويوزعون عليهم الشيكولاته .. بينما ضابط الدورية يقف مستندا الى عمود وهو يضحك ..

تمتد يد من خلف الضابط الانجليزى ، تكتم انفاسه بمندبل مبلل بمخدرا ، ثم يبدو العتر وعبد الله ، ويحملان الضابط بسرعة

عبد الله يعود الى الحارة راكبا عربة تقبل الموتى المسيحيين
يجرها حصانان بجانب السائق ، ومساعدته . . . وتقف العربة عند
مدخل الحارة ، وينزل السائق ومساعدته ويحملان التابوت
ويدخلان به الى الحارة ثم الى البيت والشخص الخبيث المظهر
يراقب كل ذلك . . .

يعود السائق ومساعدته يحملان التابوت وقد ثقل وزنه ، ويسير
خلف التابوت العتر ، وهو في ثياب القسيس . . . ويشير عبد الله
الى بعض الاهالى ليسيروا معه خلف عربة تقبل الموتى التى تحمل
التابوت الى المقابر . . .

الشخص الخبيث المظهر يسير في شوارع بور سعيد متجها الى
مركز القيادة . . .

العتر وعبد الله وقد عادا الى البيت بعد الانتهاء من الجنازة ،
ويخلع العتر ملابس القسيس ويعطيها لصاحبها قائلا :
- آسفين يا ابونا . . . أصلنا خفنا عليك تمشى في الجنازة
بنفسك . . .

ويخرج القسيس من الحارة ، ومع خروجه تبدو القوات
الانجليزية وهى تقترب لمحاصرة حى المناخ كله . . . ويدخل الجنود
المسلحون لتفتيش البيوت . . .

يدخل احد الاهالى الى بيت العتر صائحا :

- الانجليز . . .

ويسرع جميع من في البيت الى سطح المنزل ويأخذون في القفز
من سطح الى سطح وكل الأسطح متشابكة . . . ويبدو فوق الأسطح

- القيادة هاججة . . . يظهر أن الضابط اللى اتخطف يبقى قريب
الملكة . . . ولا حاجة زى كده . . . دول هايجين قوى . . .

السيارات العسكرية . . . ودوريات الجنود . . . وطائرات
الهليكوبتر . . . تخرج فى سرعة الى شوارع بور سعيد . . .

العتر وعبد الله وحمدان والسجين الخامس عوض مجتمعون
حول حمدان . . . ويقول حمدان :

- المهم دلوقتى ان احنا نخلص من الجثة . . . نتاويها يعيد . . .
احسن لو انكشفت الانجليز مش حابر حموا . . .
ويقوم عبد الله قائلا للعتر :

- قوم بينا ندور على طريقة . . .

يخرجان من البيت ، ولا يكادان يسيروا فى الحارة حتى يقابلا
قسيسا . . . فتبرق عينا العتر ، ويمسك بيد القسيس قائلا :
- عن اذنك يا ابونا . . . عندنا واحد عيان . . . ييموت ومحتاج
لك . . .

ثم يهمس فى أذن عبد الله ، ويناوله كل ما معه من نقود ، وهو
لا يزال ممسكا بيد القسيس بقوة . . .
ويبتعد عبد الله . . .

ويسحب العتر القسيس الى داخل المنزل . . .
والشخص اللثيم الخبيث المظهر يراقب كل ذلك . . .

القسيس داخل المنزل عار من ملابسه وهو جالس فى
استسلام . . .

العتر وقد ارتدى ثياب القسيس . . . يقول لحمدان :

- حانعمله جنازة هائلة . . . آمال . . . واجب برضه . . .

عشرات من الاهالى وهم يقفزون فوق الاسطح .. هربا من الانجليز ..

يصعد بعض الجنود الى سطح البيت ، ويصوب احدهم بندقيته ، فيصيب عبد الله في كتفه .. ولكنه يتحامل على نفسه ويظل يجرى ويقفز فوق الاسطح ..

الشخص الخيث يخاف من طلقات الرصاص ، فيجرى .. ويظنه جندى انجليزى احد الهاربين ، فيصوب مدفعه اليه ويقتله . تستمر المطاردة .. صراخ .. وطلقات نار ..

محمود وعبد الحميد ورفعت في مخبئهم بيور سعيد .. وعبد الحميد يقول لهم :

– ديزموند كشف مكان العتر وعبد الله .. ومحاصرين حى المناخ كله ، ونازلين ضرب فى الاهالى .. لازم نخلص من ديزموند .. لازم .. بكره ..

ثم ينظر الى محمود نظرة قوية كانه اختاره للقيام بهذه العملية .

ليل ..

عبد الله فى عشة على البحيوة ، وبجانبه نادبة تعالج جرحه .. ويقول عبد الله :

– العتر ما وصلش .. ولا حمدان .. ولا عوض ..

وتقول نادبة :

– لازم راحوا حثة تانية ..

ويقول عبد الله :

– أنا مش عارف ايه اللى جانبى هنا .. ما كنتش شايف حاجة .. فضلت أجرى أجرى لغاية ما وقعت فى الحثة دى ..

وتقول نادبة وقد انتهت من تضميد جرحه :

– تعرف يا عبد الله انت مش باين عليك ابدا انك مجرم .. ولا مسجون .. اول ما شفتك وانت لابس بدلة السجن ، استعجبت ..

ويتسم عبد الله ابتسامة هادئة ويروى لها قصته ، وكيف انه كان وكيل مكتب بريد فى القرية ، وكان متزوجا من زوجة جميلة صغيرة يحبها ، ثم حدث ان ابن الباشا أعجبهت زوجته .. وفى يوم ترك المكتب فى غير مواعده وعاد الى بيته فوجد ابن الباشا يحاول اغتصاب زوجته .. فجن .. ورفع قضيا من حديد وانها على رأس ابن الباشا .. ولم يمت ابن الباشا .. ونقلوه الى قصره واتهموه – بالتواطؤ مع البوليس – بانه حاول قتل ابن الباشا لسرقته وفى قصره . لا فى بيته وهو يحاول اغتصاب زوجته .. وحكم عليه بعشر سنوات أشغال شاقة ..

ثم يقول عبد الله :

– لما جت الثورة قبضت على الباشا ، وصادرت املاكه ، وابنه هرب .. واتشرد فى بلاد بره .. ولما عرفت ان الانجليز رجعم وأنا فى السجن . اتهاى لى ان الباشا كمان حايرجع .. وابنه حايرجع .. ولما اتهد السجن جريت علشان احارب الانجليز .. اطردهم قبل ما يرجعوا الباشا وابنه ..

وتقول نادبة :

– وحانطردهم باذن الله ..

– أنا فاضلى ثلاث سنين وشهرين على الافراج ..

وتبتسم نادبة فى خفر ..

صباح اليوم التالى ..

محمود في زى أهالى بور سعيد ، يشتري رغيفا .. ويتوارى في مكان بعيد ، ويفتح الرغيف ثم يخرج من جيبه قبلة يدوية ويضعها داخل الرغيف .. ويحمل الرغيف في يده ... سندوتش بقنبلة ..

ويسير محمود الى أن يصل الى فندق البيت الحديدى ، ويقف مع الأهالى المتجمعين هناك ليقدموا العرائض الى الميجور ديزموند .. ويخرج محمود عريضةً يمسكها بيده ، والرغيف في يده الأخرى ..

ويخرج ديزموند من الفندق ويركب سيارته الجيب ، والأهالى يتزاحمون حوله ليقدموا له العرائض وهو يتسم في غرور .. وتهم السيارة بالانطلاق .. فيرفع محمود الرغيف الى فمه ويقضم منه بأسنانه ، وهو في الواقع يشد صمام القبلة .. ثم يلقى الرغيف تحت السيارة ..

ويصرخ في الناس :
- ابعد انت وهو .. الخواجه مش عاوز دوشة ..
ويبتعد الناس ..

ومحمود يقف حائلا بينهم وبين السيارة حتى لا يقتربوا منها . ولا تكاد السيارة تتحرك حتى تنفجر القبلة .. ويسقط الميجور قتيلًا في السيارة .. ومعه السائق .. والحارس الذى يجلس بجانب السائق .. ويسقط محمود أيضا وقد أصابته شظايا القبلة .. ويفزع الأهالى ..

ثم يعودون ويحملون جثة محمود ويختفون بها .. تاركين جثث الانجليز في مكانها ..

القائد الانجليزى ثائر ثورة كبرى وهو يصرخ :
- ديزموند كان يقول الشعب المصرى شعب مسالم .. أهم قتلوه .. قتلوه .. اضربوا البلد .. اضربوها بالطائرات .. اضربوا الحى العربى الأول .. وحى الجميل .. والاحياء الزحمة اللى فيها الأهالى ..

اتصال عسكري بقيادة القوات الجوية البريطانية ..
الطائرات تحلق فوق بور سعيد وتضرب حى المناخ ، وحى الجميل .. الفرع .. والصراخ .. حرائق .. بيوت تهد ..
الأهالى يهربون .. جميع القوات المصرية تفتح النار من النوافذ على القوات الانجليزية ..

الجرائد المصرية وعلى صدر صفحاتها بالخط العريض :
« انسحاب قوات الأعداء » و « انتصرنا .. » و .. و .. الخ ..

منظر لمدينة بور سعيد مهدمة ..
اعلان داخل معسكرات الجيش الانجليزى بمنع دخول الجنود الى مدينة بور سعيد ..
مظاهرات شعبية ضخمة في شوارع بور سعيد تحمل صورة جمال عبد الناصر ، وتهتف للنصر ، وتنشد الله أكبر ..
عبد الحميد ورفعت على مقهى في بور سعيد ، ويقول رفعت :
- يعنى حان بطل شغل ولا ايه ؟ ..
- ويقول عبد الحميد :
- الشغل مش حاي بطل الا لما يخرج آخر عسكرى من بور سعيد ..

ويقول رفعت :
- بس انا لى تار لازم آخذه قبل الانسحاب .. الضابط

الانجليزى ضربنى وحلفت انى ارجع له .. لسه معسكر فى النقطة
نفسها ..

ويقول عبد الحميد :

— ما تدخلش المسائل الخاصة فى شغلنا ..
ويقول رفعت :

— دى مش خاصة .. دى ..

ويقول عبد الحميد وهو يتسم ابتسامه ذات معنى يفهم منها
رفعت ان عبد الحميد موافق :

— دلوقتى احنا اعلنا وقف القتال .. وانا مش مسؤول ..
مش انا اللى حلفت انى آخذ تارى ...

رفعت مع قوة من الفدائيين بينهم عبد الله وهو لا يزال يربط
الشاش على كتفه فوق جرحه .. يحاصرون موقع المراقبة
الانجليزية على شاطئ البحيرة .. والجنود الانجليز لاهون مطمئنين
الى وقف القتال .. رفعت يهمس لرفاقه :

— مش عايزين ضرب .. دى عملية تأديبية بس ..

الغدائيون يتسللون داخل المركز .. وكل فدائى يصبو مدفعه
الى صدر جندى .. وهو يشير اليه بأصبعه ان يسكت ..
رفعت يتسلل الى خيمة الضابط الذى يكون سكران ..
ويشده من قميصه ، وينظر فى عينيه ويذكره بنفسه .. يتوسل
اليه الضابط ان يرحمه ..

ويقول رفعت :

— انا وعدت انى ارجعكك .. ولما المصرى يوعد لازم يوفى
بوعده ..

ويركع الانجليزى على ركبته متوسلا ..

٩٦

يرفع رفعت كفه ليصفعه ، ولكنه يعود ويخفض يده :

— بلاش .. كفايه كده ..

ثم يأخذ مدفع الضابط .. ويخرج ليأمر رجاله ان يجمعوا كل
سلاح الموقع .. ثم ينسحبوا بعيدا ..

الانسحاب ..

الجنود الانجليز يركبون البواخر ..
القوات المصرية تتقدم الى بورسعيد ..

مظاهرات صاحبة فرحة ..

عبد الحميد ورفعت وعبد الله ونادية وفتحية .. وقفوا فى
الشارع يتضاحكون ..

عبد الله يصافح نادية قائلا :

— انا راجع ابو زعبل .. فاضل ثلاث سنين وشهرين ..
وتقول نادية ضاحكة :

— لا .. ثلاث سنين .. وستاشر يوم ..

ويبتسم عبد الله ابتسامه كلها حب ..

عبد الله على باب سجن ابي زعبل ..

يفتح الباب .. ويحييه السجن تحية عسكرية .. ويقف له
ضابط السجن تحية له ..

ويسيرون معه فى احترام كبير الى العنبر . ويقول له الضابط :

— انت بطل .. وبطل .. أكثر لأنك رجعت لنا برجليك ..

انا حاطب اعفائك من بقية المدة ..

ويقول عبد الله :

٩٧

(قمنى ودموعى وابتسامتى)

— والله السجنين فى بلد حرة .. أحسن من الحر فى بلد
سجينة ..

مظاهرات صاخبة فى شوارع القاهرة ..
وجمال عبد الناصر يخطب ..
وأرواح الشهداء .. محمود .. والعتر .. وحمدان ..
والدكتور .. ر .. و .. تسير باسمه فوق السحاب .

يا حبيبى لا ترانى بعينون الناس

شهيره .. حلوة .. ذكية .. طموحة .. فى التاسعة عشرة
من عمرها .. وحيدة والديها ..
والدما أتم تعليمه فى لندن ، وعاد من هناك بعقلية متحررة ..
وقد أطلق لها الحرية على آخرها لأنه يؤمن بأن الانسان يمنع نفسه
ولا تمنعه الأوامر والمراقبة .. حتى لو كان هذا الانسان بنتا حلوة
كابنته .. وهو مع تحرره انسان ناجح .. يحب النجاح ويسعى
اليه .. ويملا كل ساعة من حياته بشيء يستفيد منه .. فهو يخرج
من عمله كـ مهندس فى مصنع كيميائى ، ثم يذهب الى النادي ليمارس
الرياضة ، ويعود الى البيت ليقرأ ، أو ليفكر فى مشروع كيميائى
جديد ، يبعه لشركات الأدوية ، أو ليستمع الى أسطوانات الموسيقى
الكلاسيك أو أغانى سيد درويش .. وهو لم يحاول أن يكون من
أصحاب الملايين ، لأنه لا يحتاج الى ملايين ليعيش بها ، ولكنه
يكسب ليعيش فى المستوى الذى اختار أن يعيش فيه ، وهو مع
هذا يحسب كل حياته بالأرقام .. ان الأرقام بالنسبة له احدى
هواياته .. فهو يحرص — مثلا — على أن يحسب كم دقيقة
تستغرقها كل أسطوانة من الأسطوانات التى يسمعها ، وكم لفة
تدور بها الأسطوانة الى أن تنتهى .. وقد سألته شهيرة مرة :

— بابا .. تسمح تقول لى انت ليه ما فكرتش تجيب لى أخ

ولا أخت أتسلى بها وأتخايق معها زى كل صحباتى ما بيتمتعوا
بالخناق مع اخواتهم ..

وأجابها ضاحكا :

— نحسبها يا شهيره .. أنا وانت وماما محتاجين لمتين جنيه
فى الشهر ولو كان معنا واحد كمان كنا نتكلف ميتين وخمسين جنيه
علشان نعيش فى نفس المستوى اللى احنا عايشين فيه دلوقت ..
لأن تكاليف الفرد الزيادة معناها زيادة تكاليف البيت كله .. يعنى
مثلا السرجى اللى يخدم أربعة يطلب أكثر من السفرجى اللى يخدم
اثنين .. وبعدين أنا دلوقت باديكى تقريبا ساعة ونص من وبقى
كل يوم ، وبتأخذى على الأقل عشرين فى الميه من اهتماماتى الذهبية
والنفسية ، لو كان لك أخ أو أخت كان كل ده زاد .. ونفس الحالة
تنطبق على ماما .. ولو حسبت ده كله وغيره كثير تلاقى انى
لو كنت جيت لك أخ أو أخت ما كنتش كسبت حاجه ، ولأنى
ما جيتش ما خسرتش حاجه .. حتى طموحى للمستقبل .. يعنى
تفكيرى فى الحياة من بعدى ، ما نقصش حاجه لأنك تقدرى تحققى
كل طموحى لو كنت خلفت ولد وكل طموحى لو كنت خلفت بنت
كمان .. وبعدين .. زى ما انت عارفة حبوب منع الحمل اليومين
دول ما بتكلفش حاجه ..

ورغم أن والدها كان يقول مثل هذا الكلام وهو يضحك ، ورغم
أنها كانت تضحك معه ، الا أن مثل هذه الآراء كانت تصنع
شخصيتها ، وتبنى عقليتها ..
وأما أيضا .. خديجة ..

كانت أبا حلوة .. ليست فى مستوى جمال ابنتها شهيرة ،
ولكنها حلوة .. وكانت كأبيها متحررة فى عقليتها وتصرفاتها ..

وقد أحببت أباها قبل أن يسافر للدراسة فى لندن ، وتزوجته
بمجرد أن عاد .. تزوجته دون موافقة أهلها ولا أهله ، ودون أن
تقيم حفلة زفاف .. فرح .. بل دون أن تصنع لنفسها ثوب
العروس وتلتقط صورة تحتفظ بها ذكرى العمر كله .. ان الزواج
لقاء بين اثنين .. وقرار يتخذه اثنان .. وفرحته يكفى أن تكون
فرحة اثنين .. وبعد أن يتم يبدأ البناء الاجتماعى الذى يراه
الناس .. وكانت أبا تروى لها كل هذا .. كيف تزوجت ورأيها
فى الزواج .. وقد استطاعت أبا أن تصنع من أباها زوجا سعيدا
لا لأنها تخدمه وتطبخ وتغسل ، ولكن لأنها أحبته ، والحب هو أن
يفهم الحبيب حبيبه .. يفهم كل ما فيه .. ويحب فهمه له ..
وهى زوجه ذكية ناجحة .. بيتها فى القاهرة يكاد يكون بيتا فى
أوربا .. كل شىء جديد فيه .. وهى قادرة على أن تشتري لبيتها
كل جديد حتى لو اشترته من الخارج .. ورغم أنها ليست محتاجة
ماديا .. فقد قررت أن تؤسس داخل البيت آتلييه لصنع ملابس
النساء .. انها تهوى الخياطة منذ كانت صغيرة ، وتعودت أن
تصنع كل ثيابها بنفسها .. تصنع الموديل ، وتقص القماش ،
وتحيكه .. وقد عرفت صديقاتها عنها مهارتها فى الحياكة فكن
يلجأن اليها لتساعدن فى حياكة ثيابهن .. ثم رأت خديجة بعقلها
وطموحها أنها تستطيع أن تحترف الحياكة .. فأنشأت داخل
البيت هذا الاتلييه الصغير ، ولكنها ظلت معه محتفظة بشخصيتها
الاجتماعية .. فهى لا تعمل لأى زبونة .. يجب أن تكون الزبونة
صديقة أو شخصية كبيرة معروفة من شخصيات المجتمع ..
وتتقبل عملا قليلا جدا وتطلب أجرا مرتفعا جدا .. حتى أصبحت
كل سيدة فى المجتمع تتمنى لو أن خديجة هانم قبلت أن تصنع لها

ثوبا .. ولم تكن خديجة مثلا تقبل أن تصنع ثوبا لاحدى الفنانات ، لأنها تربط عملها بالمجتمع الذى تعيش فيه ، وهى لا تعيش فى مجتمع الفن ، وقد سألتها ابنتها شهيرة يوما :

— يا ماما .. أم كلثوم طلبت انها تجيلك وتفصلى لها فستان .. مش راضيه ليه ؟ .

وأجابت خديجة وعلى شفيتها ابتسامتها الذكية المحترمة :

— أم كلثوم فنانه .. فنانه كبيره .. وأنا مش فنانه زيها بأفف فدام الناس ، وماقدرش أعرف احساسها ايه وهى واقفه فدام الناس .. ما أقدرش أعرف ذوقها ، ولا ايه اللى يعجبها ، ولا الشخصية بتاعتنا .. شخصية الفنانة اللى بتقف على المسرح غير شخصية ست البيت .. حتى لو كانت أم كلثوم ست بيت تلاقيا فدام الناس شخصية تانية .. الفستان اللى أنا باعمله مش مجرد قماش وموديل ، لازم يعبر عن شخصية .. علشان كده ما أقدرش أعمل شخصية ما أعرفهاش .. وأنا ما يهمنىش أخيط لمن انما يهينى انى انجح فى كل اللى أعمله ..

رتأثرت شهيرة بشخصية أمها كما تأثرت بشخصية أبيها .. والفرق أنها لا تهوى الخياطة كأماها .. ولكنها هوت الفن كأبيها . كانت تهوى الموسيقى ، وتهوى الغناء ، وتهوى الرقص .. وإذا كانت غرفة أبيها مزدحمة بأسطوانات الموسيقى الكلاسيكية القديمة ، كانت غرفتها مليئة بأسطوانات الموسيقى المودرن . أفرنجى وعربى .. وكانت الموسيقى تملأ البيت دائما ما دامت هى فيه ، حتى لو جلست الى مكتبها الصغير لتذاكر دروسها ، لم تكن تستطيع أن تذاكر الا على صوت الموسيقى .. وتغنى .. تغنى أغنية I love you ثم تغنى أغنية الطشت قال لى .. وترقص

رقصة سيكودى ليك ، ثم ترقص رقصة باليه ، ثم ترقص بلدى .. وأبوها وأمها لا يتدخلان فى كل هذا الضجيج الحلو الذى تملأ به البيت ، كان كل انسان حرا فى حياته حتى داخل بيت العائلة ، وهما سعيدان بها ..

ولكن ..

كان أقوى ما يسيطر على شهيرة هو سعيها للنجاح .. تحب النجاح ..

تريد أن تنجح فى كل شيء .. كل شيء .. مهما كلفها النجاح .. كان حبها للنجاح يجعل منها شخصية طموحة .. غاية الطموح .. وطموحها يدفعها الى الجراة .. منتهى الجراة .. وكان يحميها من جراتها دائما أنها ورثت عن أبيها لغة الأرقام . كل شيء بالأرقام حتى الحالات العاطفية والنفسية .. هذه الحالة تكلفنى مائة وخمسين كالورى ، وأكسب منها خمسين فيتامين د ، اذن فهى حالة خاسرة .. وبهذه العقلية الرقمية ظلت رغم مظهرها الجرىء ، سليمة فى داخلها وفى حقيقتها ..

وكانت شهيرة تعلم أنها جميلة .. وكانت حريصة على أن تكون أجمل وأجمل . وأن ينجح جمالها . ولكنها كانت تعلم أن الجمال هو عنصر واحد من عناصر الحياة .. هناك عناصر أخرى يتطلبها النجاح . الذكاء .. النشاط . اكتساب الناس . الجهد . الجمال ليس الا عنصرا مساعدا ..

وقد نجحت شهيرة فى كل امتحاناتها المدرسية منذ أن كانت فى المدرسة الإنجليزية ثم بعد أن انتقلت الى الجامعة الأمريكية .. وكانت تذاكر وتبذل جهدا فى المذاكرة ، ولكنها كانت تعلم أنه بجانب المذاكرة فان جمالها وعلاقتها الاجتماعية يعتبران عنصرا من عناصر نجاحها فى كل امتحان ..

وكانت لها صداقات مع كثير من الشباب .. زملائها فى
الجامعة الأمريكية .. وفى النادي .. والصداقات التى تكسبها
خلال الصيف على الشاطئ .. واخوة صديقاتها .. وكانت دون
أن تتعمد نضع حدودا لهذه الصداقات تملئها عليها عقليتها الرقمية
.. اكسب كذا واخسر كذا .. وتخرج مع الكثيرين . لترقص ..
وفى رحلات . وفى حفلات خاصة يقيمها الشباب .. رأبوا
وأما لا يعرضان على أن يكون لها كل هذه الصداقات .. ان
العائلة كلها تؤمن بتقاليد المجتمع الأوروبى والأمريكى ، التى تعطى
للفتاة الحق فى أن يكون لها أصدقاء من الشباب الى أن تستقر
على صديق واحد steady . تحبه وترتبط به وتبنى
معه مستقبلها .. ولذلك لم تكن شهيرة تخفى شيئا عن والديها :

— ماما أنا خارجه النهارده مع علاء .. حانسهر فى التمارينا
ومعانا بنفين وحسن ..

— بابا .. محمود حيفوت على بكره الصبح وحانطلع رحله
للفيوم .. تصور فرضوا على انى أنا اللى أعمل السنودتشات ..
لازم أعمل خمسين ساندوتش ..

وكان علاء أو محمود أو عنى أو خليل .. أو أى واحد من
الأصدقاء الكثيرين يمر عليها بسيارته أمام البيت .. ويضغط على
الكلاكس حتى تسمعه كل العمارة وتسمعه شهيرة .. وفى معظم
الأحيان كان الصديق يصعد الى شقة العائلة وتقبله الأم والأب
قبل أن تخرج معه شهيرة ، ويودعانها بقبله وابتسامة حب وثقة
وأمنية بليلة سعيدة ..

وكانت أكثر الليالى التى تحبها شهيرة هى الليالى الراقصة .
انها تحب الرقص .. وتريد أن ترقص كل يوم .. وعلى قدر
حبها للرقص كانت حريصة على أن تنجح فيه .. أن تكون خير من

كانت ترى صورة جمالها فى عين كثير من مدرسى وأساتذة
الجامعة .. وكانت تفرح بهذه الصورة وتعزز بها .. وكثير من
الأساتذة يتقربون اليها ، وبعضهم يعرض عليها أن يساعدها
بدروس خصوصية ، وأحدهم تعود أن يحدثها فى التليفون كل
مساء .. لبست هذه « بصيصه » .. ليس هناك ما يمكن أن
يسمى بصيصه المعنى الذى يقصده الناس .. انه اعجاب
.. واطراء يجب أن تعزز وتفتخر به .. انه نجاح لجمالها ..
والنظرة الحلوة كالكمة الحلوة .. لا أكثر .. كل بنت فى العالم
تتمنى النظرة الحلوة والكمة الحلوة حتى لو كانت من غريب أو
عابر طريق .. والرجل لا يلام على نظراته الحلوة وكلمته الحلوة ،
وبالعكس يجب أن تشكره عليها .. انه لا يعتدى ما دامت مجرد
نظرة ومجرد كلمة . انه يتعبد فى جمال الله .. انه يرضى غرورها .

بل ان بعض الأساتذة كانوا يوجهون الدعوة لشهيرة لتخرج
معهم .. وكانت بسرعة تحرك عقليتها الرقمية وتحسب كل شيء
.. شخصية صاحب الدعوة وثقتها فى تصرفاته .. والمجتمع الذى
تخرج اليه .. والهدف من الدعوة . وكثيرا ما كان ينتهى الحساب
لتخرج مع الأستاذ .. لترقص معه اذا كان الأستاذ شابا ، أو تذهب
معه الى السينما .. أو .. أو .. ودائما لا تخطئ فى حساباتها
الرقمية .. وفى حالات كثيرة كانت هى التى تسعى لصداقة الأستاذ
.. تصادق عائلته اذا كان رب عائلة ، أو تشجعه على صداقة
خاصة وتتصل به بالتليفون اذا كان أعزب .. ولم تكن تعطى شيئا
أكثر من مجرد الصداقة .. وكانت قادرة على تحمل صداقة
الجميع حتى لو اضطرت أن تناق ، أو اضطرت أن تحمل نفسها
ساعات ثقيلة .. انها تؤمن بأن النجاح يتطلب صداقة الناس ..
والنجاح فى امتحانات المدرسة والجامعة يتطلب صداقة الأساتذة .

برقص .. وكانت تتبع الرقصات الجديدة أولا بأول .. وتجربها أمام المرأة قبل أن ترقصها أمام الناس .. وكانت تستطيع عندما ترقص فى محل عام أن تجذب إليها الأنظار حتى يفضل بقيصة الراقصين أن يتركوا لها حلبة الرقص ليتمتعوا بمشاهدتها ترقص وحدها مع زميلها .. وعرفتها جميع المحال الراقصة ، وعرفتها جميع الفرق الموسيقية التى تعزف للرقص .. ولكنها لم تكن تكفى بالرقص فى المحال العامة .. انها تستطيع أن تسهر فى الخارج كل ليلة .. ولكنها تريد أن ترقص كل يوم .. فكانت تنظم رقصات فولكلورية داخل الجامعة الأمريكية .. وكانت تستطيع أن تخلق من كل مكان حلبة للرقص .. استطاعت مرة أن تجذب زملاءها ليرقصوا فى ملعب التنس رقصة يعبرون بها عن لعبة التنس . واستطاعت مرة أن تصنع رقصة فى حمام السباحة .. ولكنها لم تكن ترقص أبدا أمام الناس الرقص البلدى ، وترقص دائما أمام المرأة فى بيتها ، وتبتكر فى حركاته ، وتتبع رقصات ناهد صبرى ونجوى فؤاد ، ولكنها لا ترقص أبدا أمام الناس رغم الحاح أصدقائها وصديقاتها .. وصرخ محمود يوما والثلثة جالسة فى حديقة الجامعة الأمريكية :

— ما ترقصين بلدى ليه .. اشمعنى البلدى .. يعنى ما فبش عيب الا فى البلدى ؟.

وضحكت شهيرة ثم هدأت ضحكتها وأجابت كأنها أستاذة فى الرقص :

— الرقص البلدى مش عيب .. وكل الرقصات الجديدة واخده من رقصنا البلدى .. الجيرك .. والسايكوديليك .. والبوجوار .. كل الرقصات دى واخده من رقصنا البلدى .. واحساسه احساس فردى .. يعنى أنا لما برقص بلدى باحس

.. زى ما أكون باكلم نفسى .. أو باحلم .. وأنا ما حبش أكلم نفسى قدام الناس .. علشان أتمتع بالرقص البلدى وأرقصه كويس .. لآزم أكون لوحدى .. وياريت نقدر نعمل حاجة جديده ونطور الرقص البلدى .. نخليه رقص جماعى .. يعنى نرقصه كلنا مع بعض .. بنات وولاد .. فيه رقص بلدى للأولاد انما ماددش دلوقتى بيرقصه .. نرجعه تانى ونطور حركاته ونطور حركات الرقص البلدى للبنات .. ونرقص فى كل حته .. زى ما برقص الجيرك .. محمود رضا عمل كده فى الاستعراضات اللى بيقدماها انما لسه الاستعراضات دى ما بقتش للناس كلهم ..

وزملاؤها يستمعون إليها فى اعجاب ، ويخفون اعجابهم وراء تحديها فى المناقشة .. وشهيرة تقبل تحديهم بروح مرحة . وتطول المناقشة تتخللها ضحكات كثيرة ، وآراء جادة كثيرة ..

وكانت شهيرة تشعر بغيرة بعض زميلاتنا منها .. ان النجاح يكلف صاحبه غيرة زملائه . ولكنها كانت دائما قادرة على ان تخفف من احساس الغيرة منها ، وتتعمد أن تكسب صداقة اللاتى تنطلق الغيرة فى تصرفاتهن ..

ولكن ما لم تحس به شهيرة أبدا هو نظرة المجتمع الواسع إليها .. رأى الناس الذين لا يعرفونها .. كلام الناس .. كانت تعيش باحساسها وعقليتها داخل مجتمعها المنحصر المنطق .. ام تكن تشعر أن حريتها وجرأتها تجعل لها صورة مشوهة فى أعين الناس البعيدين .. وكانت تعرف أن كثيرات من صديقاتها يعشن فى مجتمع محافظ يؤمن بالتقاليد والمبادئ القديمة .. فلا يسمح لهن بصداقة الشبان .. ولا يسمح لهن بالشخصية الكاملة الحرة .. وقد تطور هذا المجتمع الى حد أن سمح للبنات أن تذهب الى الجامعة وقتضى يومها بين الشباب ، ولكنه ظل متصورا الجامعة

كأنها بيت محافظ .. البنات فى مكان والأولاد فى مكان .. وممنوع
الاختلاط .. ممنوع أن تصادق البنت شابا وتدعوه الى بيتها
كمجرد صديق وزميل .. وممنوع أن ترقص .. وممنوع أن تخرج
بعد مواعيد الجامعة .. ورغم هذا فكل بنات هذا المجتمع يفعلن
ما يردن ، وينطلقن خارج تقاليد وأوامر الأب والأم .. ينطلقن فى
السر ، انها تذكر ما صنعتها صديقتها ليلي .. كانت مدعوة معها فى
حفلة راقصة خاصة .. وجاءت مع صديقتها محمود فى الساعة
السابعة .. وبعد ساعة اضطرت أن تخرج من الحفلة وهى تكاد
تبكي .. وسألتها شهيرة :

— رايحه فين ؟

وأجابت ليلي والزهق والثورة والدموع فى عينيها :

— لازم أرجع البيت .. أنا قلت لهم انى رايحه لدكتور
الأسنان ..

ثم التفتت ليلي الى محمود قائلة فى ثورة :

— اسمع يا محمود .. استناني هنا .. بابا وماما بيناموا
الساعة عشرة .. وأخويا مسافر . الساعة حاكون عندك .
وقد عادت شهيرة ليلتها الى البيت فى الساعة العاشرة ..
أوصلها صديقتها علاء .. وسمعت فى اليوم التالى أن ليلي قد عادت
وأنها بقيت مع محمود حتى الرابعة صباحا .. وقالت لها شهيرة :
— بس انتى مجنونة .. قعدتى تعملى ايه للساعة أربعه ..

وأجابت ليلي ضاحكة :

— أصل بابا ما ببصحاش من النوم قبل خامسه .. وانتى
عارفه أنا ما باشبعش من محمود ..

وشهيرة لا تحب هذه الحياة .. انها لا تحب أن يكون فى حياتها

أسرار .. حتى لو كانت عن أبيها وأمها .. أن الأسرار تدفع الى
الاختباء . والاختباء يحرض على الخطأ .. على الخطيئة .. وينتهى
بالندم .. وهى تذكر أن أباهما قال لها يوما :

— ما فيش حاجة تحمى الواحد الا حريته .. الحرية تخلى
الواحد مسئول عن نفسه .. ويحمى نفسه .. علشان كده أنا
ساييك حره .. علشان تشيلى معايا مسؤولية نفسك ..

انها مؤمنة سعيدة بحياتها وحريتها وقادرة على أن تحمل
مسؤولية نفسها ، ولكنها لم تلتفت الى كلام الناس .. الى نظرة
الناس اليها .. الى تفسير الناس لهذه الحرية التى تعيشها ..
انها لا تدري أن هناك ناسا قد يفسرون حريتها على أنها انحلال ،
ويرونها كأنها متهتكة ، ويتصورون أن كل من يرقص معها ينالها ..
ينال حسدها .. أن الناس يرون ليلي المختبئة التى تعيش حياتها
الخاصة فى السر .. يرونها فى صورة أرقى وأنظف من الصورة
التي يرونها فيها ..

ولكن لا تدري كل هذا ، ولا يخطر على بالها أن تهتم بكلام
الناس ..

الى أن عرغت رؤوف ..

وارتبطت به ..

كسبح صديقتها الوحيد ..

انها تحب ..

وقد ظلت شهورا طويلة تراه من بعيد .. وعندما عرفته اتخذته
مجرد صديق كبقية الأصدقاء .. ولكنها منذ أن رآته لأول مرة وهو
يشدها اليه .. وربما كان أكثر ما يشدها اليه هو أنه يستطيع أن
ينجح فى كل شىء يقوم به .. ينجح فى الرقص .. وينجح فى اللعب
.. وينجح فى الرياضة التى يمارسها .

وقد نجح فى الوصول اليها .. انه يعرف كيف يصل
ببلاسه الى صميم اقتناعها .. ويعرف كيف يصل بتصرفاته الى
شدها بعيدا عن كل أصدقائها .. ولا يبدو أبدا أنه يعتمد هذا
النجاح .. انه نجاح منطلق من طبيعة تكوين شخصيته ..

وهى لا تستطيع أن تنسى أول قبلة جمعت بينها وبينه ..
لقد مرت شهر طويلة وهو لا يحاول أبدا أن يقبلها ، حتى ولو قبلة
من هذه القبلات السريعة التى يسقطها الأصدقاء أحيانا على حدها ،
ولا تفسرها أكثر من التفسير البريء كأنها مجرد تحية .. بل انه
أم يحاول يوما وهو يراقصها أن يعتمد ضمها اليه أو لصق حدها
بخده .. كان يعطى كل نفسه للرقص .. ان الموسيقى تنطلق فيه
كله ، تكاد نحس أن قلبه أصبح يدق على وقع دقات الجاز ..
وكانا ينجحان وهما يرقصان .. كل الناس تلتف حولهما وهما
يرقصان ليشهدا نجاحهما ..

واقتربا أكثر وأكثر .. واصبحت تراه كل يوم .. ويأتى اليها
فى البيت كل يوم تقريبا .. وأما وأبوها بدأ يحسان أن رؤوف
أصبح الصديق الدائم .. أصبح الحب .. وهى فى حديثها معها
تذكر رؤوف كثيرا .. رؤوف قال .. رؤوف يفكر .. رؤوف
يريد ..

كل ذلك وهو لم يقبلها بعد ..

لقد أصبحت هى نفسها تنتظر قبلته .. ولكنها لا تكاد تلقاه
حتى يشغلها بحديث أو مشروع يشغلها عن الاحساس بانتظار
قبلته ..

ثم بدأت تلاحظ أنه أخذ يتباعد عن الرقص .. انه لم يعد
يريد أن يرقص كل ليلة ، ولم يعد يتحدث كثيرا عن الرقصات
الجديدة ولا عن الأسطوانات .. لقد بدأ يهتم بشيء جديد ، لم يكن

يهتم به كل هذا الاهتمام من قبل .. وبدأ يتدرب على لعب الكرة
فى النادي الأهلى .. وكانت تذهب لتجلس بعيدا وهو يلعب ..
انه يستطيع أن ينجح فى الكرة أيضا .. انه يلعب الكرة منذ كان
صغيرا ، ولكنه لم يقرر النجاح فيها الا أخيرا ..

ويعد أن أتم تدريبه ، ركب معها فى سيارة أبيها التى كثيرا
ما كان يسمح لها بقيادةها .. وخلال الطريق كان يبدو متعبا من
طول فترة التمرين التى قضاها فى الملعب ..

والقى رأسه على كنفها وهى تقود السيارة . وقال :

— أنا هلكت النهارده .. لفيت الملعب خمس مرات وبعدين
لعبت .. تسمى لى أنام ..

راوقفت السيارة على جانب طريق هادىء وتقلت ضاحكة :

— أهر انت كده .. ما تعملش حاجه الا وتهلك نفسك فيها ..

ورفع اليها عينيه صامتا كأن عينيه تتوسلان اليها أن يناما فى
عينيه .. وطال لقاء عينيه بعينيه ، فى نظرة هادئة حلوة ، حتى
كادت تحس بعينيه كأنهما عينها .. وقلبها يخفق فى حنان ..
واحساسها يحتضنه كأنها أم تريحه .. وشب برأسه فى هدوء ،
واقترب بشفتيه من شفثيها . والتفت الشفاه ببعضها كما يلتف
المجهد بغطائه .. لم تكن قبلته تعبر عن هذا الانتظار الطويل الذى
قضياه شهورا طويلة .. كانت قبلة كأن كلا منهما ذهب الى مكانه
المخصص له .. طويلة هادئة .. الحب فيها حنان وراحة وأمان
ونعيم هادىء ..

انها لا تنسى أبدا هذه القبلة .. وكانت قد جريت القبلات
من قبل .. ولكن هذه القبلة هى القبلة الاولى التى عرفت بها معنى
القبيل .. وعاشت القبلات معها بعد ذلك .. ولكنها لم تكن أبدا
قبلات مفتعلة متعمدة ، انها قبلات تجمعهما قبل أن يفكرا فيها ..

وعرفت شهيرة برؤوف ..

وعرف رؤوف بشهيرة ..

وكان يمكن أن يلعبنا خطبتهما كما يفعل الآن كل البنات والأولاد حتى ولو لم تنته الخطوبة الى زواج ، انما مجرد تبرير علاقتهما أمام الناس والمجتمع .. ولكن شهيرة لا تريد .. ان الخطوبة هي مقدمة زواج .. ومقدمات الزواج ليست مجرد الحب .. انها القدرة على البناء .. ورؤوف الى اليوم لا يستطيع أن يضع مقدمات البناء .. انه ناجح .. وهى تحب النجاح .. وتحبه لنفسها أيضا .. ولكنها بدأت تكتشف أن رؤوف يختلف عنها فى طريق الوصول الى النجاح .. انه يغير طريقه دائما .. انه ينجح فيما يتطلبه مزاجه الخاص .. لا للنجاح نفسه .. ومزاجه يتغير بين وقت وآخر .. وقد دفعه مزاجه الخاص الى النجاح فى الرقص .. ثم تغير مزاجه واندفع الى النجاح فى لعب الكرة .. ثم تغير مزاجه واندفع الى النجاح فى لعب البلياردو .. وهى تذكر يوما كان مغروضا فيه أن ينام مبكرا حتى يشترك فى مباراة للكرة فى اليوم التالى .. ان النادى يحتاج اليه فى هذه المباراة .. انها مباراة مع الزمالك .. وسألت عنه فى التليفون فى الساعة الثامنة فلم تجده فى البيت ، وكانت تعرف أنه ذهب الى نادى الجزيرة . فخرجت من البيت وذهبت الى النادى لتبحث عنه وتعود به ليلنام استعدادا للمباراة .. وطافت بالنادى كله الى أن وجدته .. وجدته فى صالة البلياردو .. وكان يلعب .. يلعب البلياردو بنفس الحماس والتفانى الذى رآته بهما عندما كان يهوى الرقص ثم عندما أصبح يهوى الكرة .. واقتربت منه وهمست :

— بكره الماتش يا رؤوف .. لازم تستريح ..

ورفع رأسه من فوق البلياردو ، وقال بسرعة وهو ينظر اليها كأنه يلومها لأنها تشغله عن أمر هام :

— اعتذرت للنادى .. خلاص .. شبعت كوره ..

ثم رفع « الأستيكة » بين يديه وانحنى فوقها ليصوبها الى كرة البلياردو .. وكله وراء كرة البلياردو .. ونجح فى البلياردو .. أصبح عضوا هاما فى فريق نادى الجزيرة للبلياردو ، وتقرر أن يسافر مع الفريق الى الخارج للاشتراك فى مباراة دولية ..

وفجأة .. قبل أن يسافر .. انقلب مزاجه واندفع يلعب البريدج ..

وعاشت شهيرة معه فى رحلة البريدج .. انه يقضى الساعات الطويلة جالسا الى مائدة اللعب وكل فكره وكل احساسه ضائع بين أوراق الكوتشينة التى يحملها بين أصابعه فى تهافت كأنه يحمل مستقبله كله ..

وتغير نوع أصدقائه .. انه يلعب ويقضى يومه بين أصدقاء كبار السن .. يتحدثون حديثا لا يهمها وينظرون اليها نظرات لا طعم لها ولا معنى .. كأنهم ينظرون الى تمثال لفتاة جميلة يمرون به دون أن يقفوا أمامه .. وتفكيرهم واهتمامهم وكل ما فيهم منحصر فى البريدج .. وكانت تذهب لتراه وتجلس بجانبه حول المائدة ثم ترهق بعد لحظات ، وتحس كأنها انسانة فاشلة .. فاشلة فى أن تعيش حياة حبيبها .. وهى لا تحتمل الاحساس بالفشل . انها تعيش للنجاح وبالنجاح .. فتقوم من جانبه وتجري وهى لا تدرى الى أين .. وأحيانا كثيرة لا ينتبه الى أنها قامت وجرت من جانبه .. ان كل ما يدريه هو ورق الكوتشينة الذى يحمله بين أصابعه ..

وقالت له :

— رؤوف .. بلاش البريدج ده .. بياخد كل وقتك ، وأنا
ما بدوش ..

وقال ضاحكا :

— تعرفى تشرشل كسب الحرب ليه .. علشان كان لعيب
بريدج .. وتعرفى عمر الشريف بأه على ليه .. علشان لعيب
بريدج .. اللى عايز ينجح لازم يبتدى بالبريدج ..

وكانت تعلم أنه يوما ما سيتغير مزاجه ويترك البريدج .. ولكن
ما أحدثه البريدج فيه أنه أصبح يغار عليها أكثر .. ربما لأنه
أصبح بتركها وحدها أكثر .. وقد كان رؤوف منذ أن ارتبطت به
يغار عليها ، ويبدو كأنه يحبها باحساس جده أو جد جده ..
الفيستان ده قصير قوى يا شهيرة ما أقدرش أستحمل ان كل الناس
تتفرج على لحم حبيبتى .. ما تضحكىش الضحكه دى يا شهيره ،
ده انت زى ما تكونى مركبه ميكروفون . الناس كلها سامعه
ضحكتك .. مش معقول ترقصى بالشكل ده يا شهيره .. صدرك
مكتشوف كله يا شهيره ..

وكانت تشكو لامها من غيرة رؤوف عليها :

— تصورى يا ماما .. ده شويه خايلبسنى برقع ويحطنى
فى شوال .. مع ان اخته بتلبس ميني وشورت وبتعمل كل اللى
هى عايزاه ..

وضحكت أمها قائلة :

— كلهم كده .. الرجل منهم مهما كان مودرن ومتحرر فى
تفكيره ، أول ما يحب ينقلب ويبقى عايش فى أيام جده .. يرجع
لأصله .. يبقى شرقى .. وأبوكى مع أنه عاش فى لندن ومتحرر
كان برضه يقول البسى ما تلبسيش ، واضحكى وما تضحكىش

.. انما بعد شويه .. سنه ولا سنتين .. خلاص .. يهدى ..
ويثق فى مراته ويرجع يعيش فى عصره ..
واحتملت شهيرة عقلية حبيبتها الشرقى ..

ولكن البريدج جعله أكثر غيرة .. انه ينظر اليها كلما رآها
كانه يبحث فيها عن شىء ينهرها عنه ، ويتشاجر معها من أجله ..
وكانت فى أيام كثيرة تقبل دعوة أصدقائها وصديقاتها من زملاء
الكلية الى رحلة أو سهرة راقصة .. وكانت تقبل .. انها
لا تستطيع أن تعيش بلا رقص .. وبلا ناس .. لا تستطيع أن
تعيش كورقة كوتشينة ملقاة بجانب مائدة البريدج ..

وكان يقول :

— لا ..

وتشد أنفاسها تستعين بالله والملائكة وتقول :

— لآليه .. ؟

— دول ناس ما يستهلوش ..

— اذا ما كانوش عاجيبك تعال معايا ..

— آجى أعمل ايه .. ألعب استغمايه .. ولا أرقص زى العميال
.. أنا كبرت يا شهيره ..

— هم اللى يكبروا ما يعملوش حاجه الا البريدج ..

ويستمر النقاش .. وأحيانا يخضع لها ويذهب معها وهى
تحس نضيقه فى كل لحظة .. وأحيانا يتركها تذهب وحدها
مفضلا البريدج ، وهما فى خصام .. ليعود النقاش فى اليوم
التالى الى أن يتصالحا فى قبلة .. قبلته التى تحبها وتضعف
أمامها ..

وفى ليلة قبلت دعوة شلة من الأصدقاء للرقص فى ملهى راقص
جديد .. وذهبت وحدها بعد النقاش والخصام اللذين تعودت
عليهما .. وليلتها رأت أشرف لأول مرة .. ان أشرف هو عازف

جيتار جديد .. انه شاب ربما لا يزال في العشرين من عمره ، ولكنه يبدو وكأنه عاش مع الجيتار مائة عام .. انه يحضن جيتاره الى صدره حانه قطعة منه ، وأصابعه ترقص فوق الأوتار كأنها مجموعة من راقصات الباليه .. ونغماته تسرى في كل أعصابه .. انها تحب الجيتار أكثر مما يحب والدها العود .. ولكن أشرف يضع في الجيتار روحا جديدة .. وكل البنات اللاتي يرقصن يتنهدين لأشرف ، وهي لا تنظر اليه وهي ترقص ولكنها تنظر الى أصابعه فوق الأوتار .. الى مجموعة راقصات الباليه .. وقد شغلتهما أصابعه عن هوايتهما للرقص وتعهدها أن تنجح وتتوقف كلما رقصت .. انها فقط ترقص والجيتار يملأ كل عروقتها ..

ويعجأ ظهر رؤوف ..

انها من المرات القليلة التي يلحقها فيها رؤوف الى مكان .. وفردت عندما رآته .. انها تحب غيرته وتحبها أكثر عندما تتحول الغيرة الى اندفاع كأنه يريد أن يستعيدها من أيدي لصوص البنات ..

ورؤوف غاضب .. مبوز .. ثم دخل الى حلبة الرقص وهو يدفع عنه الراقصين والراقصات .. وأمسك بيدها وهي ترقص مع علاء :

— كفايه كده .. ياللا بينا ..

— ليه يا رؤوف .. ما تخيلينا شويه .. ارقص معايا ..
انا بقالى كثير ما رقصتتش معاك ..

ولكن رؤوف جذبها من يدها وسط الراقصين وخرج بها .. وشلة الأصدقاء نضحك حولها . وتطلق النكات . ورفع بعضهم الأطباق وأخذوا يدقون عليها وهم يغنون ... اتمخترى يا حلوه يا زينه .. وضحك أشرف عازف الجيتار عندما رأى كل ذلك

وهمس في أذن رئيس الفرقة فأوقف عزف اللحن الراقص ، وبدأت الفرقة تعزف لحن الزفاف الكنائسى ..

ركل من في الملهى يضحك ..

وشهيرة سعيدة .. انها تحس بالنجاح .. نجاح حبها .. ان احساسها بالنجاح أقوى دائما من احساسها برأى الناس .. لا يهتمها اذا كان الناس يسخرون منها ومن حبيبها او يحسدونها .. كل ما يهونها هو النجاح ..

وصل بها رؤوف الى باب الملهى ، والتقى بأحد أصدقائه داخلا :

— انت فين يا رؤوف .. عزيز بيه بيدور عليك .. عاملين برتيته الليلة انما يظهر كبيره ..

وهز رؤوف رأسه دون أن يجيبه ..

ثم سحب شهيرة الى السيارة التي جاء بها ، وهي سيارة أحد أصدقائه .. وبدأت المناقشة والمشاجرة بينهما .. ولكن رؤوف لم يكن يناقش بحماس .. لقد خفت غضبته ، وهو يبدو كأن عظه سارح في موضوع بعيد ..
ووصلا الى البيت ..

وأوقف رؤوف السيارة ثم انحنى وقبل شهيرة قبلة سريعة لم تصل الا الى طرف شفيتها ، وقال وهو لا ينظر اليها :

— أنا لازم أرجع العربيه لصاحبها .. زمانه بيشتتم في ..
تصبحى على خير ..

واتسععت عينا شهيرة وهي تنظر اليه في تعجب وسخط .. لم تكن تنتظر أن يقيم كل هذه الضجة لمجرد أن يعيدها الى البيت .. كأنه اطمأن الى وضعها في المخزن .. مخزن البضاعة .. ثم أغلق عليها الباب وانصرف ..

وهي تعلم أين هو ذاهب .. انه لا يتركها ليعيد السيارة
لصاحبها .. ولكنه يتركها ليذهب ويلعب البريدج ..

وتركت السيارة ، وأغلقت بابها ورائها بعنف كأنها تصفعه
بالباب .. ودخلت البيت دون أن تتكلم .. وألقت بنفسها على
فراشها وبكت .. بكت احساسها بالفشل ..

وخف بكأؤها وهي تستعيد كل ذكرياتها مع رؤوف ..
ووجدت صورة عازف الجيتار أشرف تقفز بين ذكرياتها .. انه
ناجح .. وسينجح أكثر وأكثر .. لأنه اختار للنجاح طريقا واحدا
.. أما رؤوف فينتقل بين طرق النجاح قبل أن يصل الى قمة أى
طريق .. ولكن بقى طريق لم يخرج منه رؤوف .. طريق دراسته
.. لقد بقى أمامه عام واحد وبنال بكالوريوس الاقتصاد والعلوم
السياسية .. وهو لم يرستب أبدا فى أى امتحان .. فلتنتظره الى
أن يتم نجاحه .. وبعد هذا تبدأ معه فى بناء مستقبلهما .. انها
تحبه .. وتستطيع أن تنتظره وتتحملة ..

وبقى على الامتحان شهر ..

رؤوف لا يزال متفرغا للعب البريدج ..

وقالت له كأنها تتوسل اليه :

— رؤوف .. مش فاضل الا شهر وكام يوم على الامتحان ..

وانت لسه ما ابتدئتش تذاكر ..

وقال رؤوف ساخرا :

— عايزه الحق .. ماليش نفس للامتحان .

وصرخت :

— ايه اللي بتقوله ده يا رؤوف .. يعنى ايه مالكتش نفس ..

وقال من خلال ابتسامته الساخرة :

— حاتمحن وانجح .. والسنة الجايه أمتحن وانجح ..

وبعدين .. أبقى موظف كبير بسبعناشر جنيه فى الشهر .. ولى
بقيت كبير قوى بيقوا أربعة وعشرين جنيهه .. وبعد عشره
خمسناشر سنه بيقوا أربعين رلا خمسين جنيهه .. تعرفى أنا
باكسب كام فى اليوم من البريدج .. على الأقل عشره جنيهه ..
يعنى على الأقل تلتميت جنيهه فى الشهر ..

وشهقت كأنها ترى رؤوف فى صورة جديدة .. وقالت :

— بس البريدج مش مستقبل .. ما تقدرش تحترف البريدج
.. اذا كان عمر الشريف بيلعب بريدج مابناش مستقبله على
البريدج .. وتشرشل .. وكل اللى بنتكلم عليهم .. و ..
وقاطعها :

— ليه ما يكونش البريدج مستقبل .. اللعب .. لعب الورق
.. انتى عارفه اللى بيشتغلوا فى صالة شيرتون بتاعة اللعب
بيطلعوا بكام .. يمكن ميه ولا متين ..

واستمرت المناقشة .. وهي تعلم أن نوبة البريدج التى
تسيطر على رؤوف هى نوبة لا تلبث أن تختفى كما اختفت نوبات
له من قبل ..

ولكن الامتحان ..

انها لا تستطيع أن تنتظر اختفاء النوبة ..

واستطاعت أن تستغل كل ذكائها وكل حبه لها الى أن أئتمنته
بأن يينا المذاكرة .. وأن يذاكر معها فى بيتها .. هى لامتحان
الجامعة الأمريكية .. وهو يذاكر لامتحان الاقتصاد والعلوم
السياسية .. ورحب أبوها وأمها بالفكرة .. انها يحترمان حبها
.. ويحترمان رؤوف لأنه حبيبها .. وهما يثقان فيها ويؤمنان
بأن الحرية حماية لها .. وبدأ رؤوف يتردد كل يوم على البيت ..
انه يكاد يعيش فيه تقريبا .. وشهيرة تفرح به كلما فتح كتابا

وتفرغ كله له .. بل انها أكثر من ذلك كانت تتصل بالمعيدين الذين يحتاج اليهم فى الدروس الخصوصية ، وتعطيهم رشوة من ابتسامتها وكلماتها الحلوة والأمل ، حتى يساعدوا رؤوف على النجاح ..

— تفنكر يا دكتور رؤوف حاينجح .. لازم ينجح علشان خاطرى . اوعدى انه ينجح ، واوعدى لما ينجح ان احنا نفضل أصدقاء ..

كانت تقول الكلام فى التليفون .. وكانت تسعى الى صداقة عائلات الأساتذة المتزوجين .. كانت تحاول ان تساعد رؤوف على النجاح ، كما تساعد نفسها على النجاح فى الامتحانات .
ولكن رؤوف كان أحيانا يخفى .. ويحتج بأى حجة ليخفى ويبتعد عنها ..

وتعرف أن نوبة البريد قد غلبته ..

وهى أيضا كانت تتابها نوبة .. نوبة الجيتار .. فلا يكاد رؤوف يخفى ليلة ، حتى تتصل بأصدقائها وتتفق معهم على قضاء المساء فى الملهى الراقص .. وفى كل مرة تزداد اعجابا بفن أشرف .. انه يزداد نجاحا .. الناس كلهم يتحدثون عنه .. والصحف بدأت تكتب عنه .. والبنات يتهافتن عليه ، ويتعلقن به .. وهو يستطيع دائما أن يشدهن اليه .. انه يعزف كأنه يدغدغ صدورهن .. وأحيانا كأنه يلعب معهن استغماية .. انه يتكلم ويغازل ويغضب ويفرح بأوتاره .. ولكنها ظلت حريصة على الابتعاد .. انها فقط ترقص وتنظر الى أصابعه لا اليه .. انها لا تحب أن تكون كبقية البنات المتهافتات عليه . ثم انها تخافه . تخاف احساسها به .. انها تعرف ضعفها نحو الموسيقى ونحو النجاح .. وهو موسيقى ناجح .. وتخشى أن يتحول ضعفها الى شخص الموسيقى الناجح .. ولا بد أنه لاحظ تعمدها الابتعاد عنه دون بقية البنات

.. ولا بد أنه تتبعها بعينه على الأقل لأنها جميلة .. أجمل البنات .. وفى مرة لمحتة يبتسم لها وهو يعزف .. وتجاهلت ابتسامته .

وفى ليلة من هذه الليالى اندمجت فى الرقص .. كان اللحن الراقص ينطلق فى أعصابها الى أن نسيت تعمدها التحفظ أمام أشرف .. ورقصت يما تعودت أن ترقص .. ورقصها يتفوق حتى على اللحن الموسيقى .. وتشدد اعجاب كل الناس .. ترقص .. وترقص .. ونزل أشرف من فوق منصبة الفرقة الموسيقية ، واقترب منها وهو يحمل جيتاره .. وأخذ يعزف لها . وتمادى وتفنن فى عزفه كأنه يتحداها أن تصل برقصاتها الى مستوى فنه .. وهى ترقص ، وهو يعزف .. والناس كلهم تركوا لها حلبة الرقص ووقفوا حولها يصرخون ويشهقون اعجابا بها ..
وفجأة ..

رفعت رأسها كأنها لم تكن تدرى بكل هذا .. ورأت أشرف أمامها بالجيتار كأنها لم تكن تعرف أنه معها . وتوقفت عن الرقص .. وأخذت تتلفت حولها فى ذهول .. وأشرف ما يزال يعزف لها كأنه يحرضها على أن تعود للرقص .. ولكنها جرت خارجة خارج حلبة الرقص .. والناس كلهم يصفقون لها .. ينادونها . يهتفون لها .. وهى تجرى الى أن خرجت من الملهى كله ، وألقت نفسها وحدها فى سيارة تاكسى ..

وابتسمت سعيدة ..

انها لم تتعمد ما حدث الليلة ..

ولكن ما حدث حلو .. الفن حلو .. والنجاح حلو .. و .. و .. وأشرف حلو .. لا .. ليس أشرف .. انه الجيتار .. الجيتار حلو ..

ولكنها لن تعود ..

بأن الحب بناء .. أن تبني هي وحببها شيئا .. ولكنها لم تعد
تستطيع أن تجد الشيء الذى تبنيه مع رؤوف .. واهتز حبها ..
لم تعد ملهوفة على لقائه وأخباره ولم تعد تبذل الجهد الذى
تعودت أن تبذله له .. أصبح حبها حبا عاطلا .. حبا بلا عمل ..

وخلال فترة حيرتها كانت تتبع أخبار عازف الجيتار أشرف
.. انه يزداد نجاحا وشهرة ، وقد كون فرقة موسيقية خاصة
به وأصبحت أشهر الفرق الموسيقية الراقصة .. وأصدقائها
وصديقاتها يتحدثون عنه دائما .. عن فنه .. وعن مقامراته
النسائية .. ان أخباره أصبحت من أخبار النجوم .. نجوم الفن
.. وهى تحس بضعف نحوه .. ليس ضعفا عاطفيا .. قطعا انها
لا تحبه .. انها تحب رؤوف .. ولكنها تحس بأشرف كقوة تجذبها
.. قوة النجاح .. قوة الشهرة .. وتحس بهذه القوة كأنها
تجذبها من شعرها .. كأن أصابعه التى تتحكم فى أوتار الجيتار
تتحكم فى خصلات شعرها ..

وسافرت الى الاسكندرية مع والدها وأمها لقضاء الصيف .
ورؤوف لم يتخلص بعد من نوبة البريدج ولكنه أضاف اليها
نوبة سباق الخيل .. وهو يجلس بجانبها على شاطئ عابدة فى
المنتزه بدرس ويذاكر جداول سباق الخيل .. ويختفى بعد الظهر
ليلعب أو ليتردد على اسطبلات الخيل .. انه مصمم على النجاح
فى سباق الخيل كما ينجح فى أى شيء .. وفى المساء يستسلم لنوبة
البريدج ..

وأشرف فى الاسكندرية .. انه يقود الفرقة الموسيقية الراقصة
فى الملهى اللبلى بفندق فلسطين .. وهى لا تزال مترددة فى الذهاب
اليه .. منذ أن عزف لها الجيتار وهى ترقص ، لم تذهب اليه
ولم تره .. ولكن لماذا تستمر فى التردد .. ماذا يمكن أن يكون

يجب ألا تعود ..

انها مسئولة عن شيء أكبر .. مسئولة عن نجاحها فى
الامتحان ونجاح رؤوف ..

وفى الصباح التالى روت كل ما حدث لأبيها وأمها .. ثم روته
لرؤوف وهما يبدآن المذاكرة .. انها لا تحب وليس من طبيعتها
أن تخفى شيئا .. ولم يهتم رؤوف كثيرا ، ولكنه أخذ يروى لها
تفاصيل جلسة البريدج التى سهر فيها ليلة أمس .. تفاصيل
لا تهتمها .. وهو يطيل فى حديثه ..

وتحاول أن توقفه عن الحديث ..

ذاكر يا رؤوف .. كفايه كلام بأه ..

ودخلت شهيرة الامتحان ..

ونجحت ..

لم يبق الا عام واحد وتخرج ..

وامتحن رؤوف ..

ورسب ..

سقط رؤوف فى الامتحان ..

ولم يكن سقوطه فى الامتحان هو كل ما هد شهيرة .. ولكن
هدها أكثر عدم اهتمامه بالسقوط .. وهدها أكثر وأكثر انه كان
قد أخفى عليها أنه لم يتقدم لامتحان معظم المواد .. كان يعرف
أنه ساقط قبل أن يسقط ..

ومنبت أيام وشهيرة حائرة لا تستطيع أن ترسم صورة
لمستقبلها ، ولا تستطيع أن ترى الطريق الذى تندفع فيه .. اهتز
كل شيء فيها حتى حبها لرؤوف .. انها تحبه .. ولكنها تؤمن

قال :

— لازم تكونى نجحتى .. لأنك ضحيتى بكل الرقصات الجديدة
اللى لعبتها ..

واستمر الحديث بينهما .. وكل من معها ملتفون بعيونهم
وآذانهم حوله .. حول أشرف .. لا حولها .. والحديث كله عن
الأغاني الجديدة ، والرقصات الجديدة ، ولكنها تحاول أن تكتشفه
من خلف حديثه ..

انها تجلس اليه لأول مرة بلا جيتار ..

وقام ليعود الى العزف ، وقال وهو يكاد يهمس :

— أى بلاج ؟ .. عايدة ؟ .. ممكن بكره الساعه تلاته ؟
وهزت رأسها موافقة ..

وقضت ليلتها وهي ترسم صورا جديدة للمستقبل ..

وجاءها فى اليوم التالى وهي جالسة تحت الشمسية على
شاطئ عايدة .. وعاد الحديث بينهما ..

انه يقول لها انه لم ينسها أبدا .. وأنه كان ينتظرها كل ليلة
.. وهي تقول له انها معجبة به كعازف جيتار ، وكمغنى للأغاني
الراقصة .. ثم تبادت وقالت له انها عاشت طويلا بين أصابعه .
الأصابع التى ترقص فوق الأوتار .. انها تكاد تقول له أنها تحب
أصابعه ..

ووضع أصابعه أمام عينيها قائلا وهو يضحك :

— خلاص بقوا بتوعك .. وبتوع الجيتار .. انتم الاتنين
ببس ..

وكان يقطع حديثها المعجبات اللاتي يندفعن اليه :

— ممكن تمضى لى فى الأتوجراف يا أشرف ..

— أقدر آخذ صورته معاك يا أشرف ..

أشرف بالنسبة لها سوى عازف جيتار .. أين جراتها .. ان حبها
لرؤوف هو الذى أفقدها جراتها .. وشارت على حبها .. الزهق
والملل والفراغ غلبت حبها .. وذهبت الى هناك مع الشلة ..

وقامت ترقص مع عصام ، وفى هذه المرة لم تركز نظراتها على
أصابع أشرف فوق أوتار الجيتار ، انما ركزت عينيها على وجهه ،
كأنها تتعرف عليه من جديد .. ولحها .. وابتسم لها ابتسامة
كبيرة تحمل علامات المفاجأة كأنه لا يصدق عينيه .. وابتسمت
له وهي تحاول أن تبدو ابتسامتها هادئة ، رغم أنها لو أطلقتها على
حريتها لكأنت ابتسامة صارخة .. وانتهى أشرف من عزف
المقطوعة التى كان يعزفها ، والتفت الى أعضاء فرقته بسرعة كأنه
يختار لهم المقطوعة التالية خلافا للبرنامج الذى وضعه ..

ثم بدأ يعزف لحن أغنية « يا حبيبى أين أنت ؟ .. متى القاك
صدفة » .. ويبسم ويهتز وهو يعزف الجيتار كأنه يرقص ..
وهي تحس أن كل هذا لها ..

وفى الفترة التى تتوقف فيها الفرقة الموسيقية ليحل محلها
التخت الشرقى الذى يقدم الراقصة ناهد صبرى ، جاء أشرف الى
مائدتها ، وصافحها فى بساطة كأنه يعرفها دائما ، وقال وعلى وجهه
درحة :

— انت فين يا شهيرة .. بقالى زمان ما شفتكيش ..

وقالت وهي تسحب يدها التى لا يزال محتفظا بها فى يده :

— كان عندى حالة امتحانات ..

قال وهو يشد مقعدا ويجلس بجانبها :

— نجحت ؟

قالت مبتسمة :

— تقريبا ..

— أشرف .. انت هائل فى غنوة غرباء فى الليل ..

وكانت تبتسم وهى تنظر فى استعلاء الى كل هؤلاء المعجبات .. انها لم تذهب اليه كما يفعلن ولكنه هو الذى جاء اليها .. ولكن ما لفت نظرها أكثر هو احساس أشرف بهؤلاء المعجبات .. انه يفرح بمن كأنه جوعان يستقبل طبقا يشبع به غروره .. وعندما تنقطع وفود المعجبات فترة ، ينظر حوله كأنه يبحث عنهن .. ويبحث فى بعض من يمر منهن امامه كأنه يغريهن بأن يطلبن امضاءه أو صورته .. ثم قام وهو يرجوها أن تسيير معه حتى سيارته .. وقامت معه .. انه يسير كأنه يستعرض نفسه .. والناس تنظر اليه أكثر مما تنظر اليها .. ولكن .. هذا طبيعى .. انه فنان مشهور .. وعليها أن تتحمل ..

وقال وهو يضغط على يدها :

— حاشوفك الليله ..

وقالت وهى تتركة يضغط على يدها :

— أحاول ..

وذهبت ليلتها اليه ، وتعمدت أن تصحب معها أباه وأمها بعد أن استطاعت اقناعها ، وقدمته اليهما .. وكانت كأنها تحمى نفسها بهما منه ..

وجاءها على الشاطيء فى اليوم التالى وقال :

— تعرفى انى لغاية دلوقتى ماكلتش .. جعان .. ياتسيبيني اكلك يا تيجى معايا تغدينى فى أبو قير .. وذهبت معه ..

ويده ممسكة دائما بيدها حتى وهو يقود سيارته .. سيارة سنديبيرد حمراء تجرى كأنها تصرخ .. وفى مكان هادىء تحت شجرة أوقف السيارة ، والنفت اليها وهو يقترب منها ، وذراعه تستقر فوق كتفها :

— شميره .. صدقتينى ولا لسه ..

وقالت وهى حائرة كيف تتصرف :

— مش فاهمه ..

قال وهو يقترب بشفتيه من شفيتها ..

— أفهمك ..

انه سيقبلها .. لم يمض سوى يومين على لقائهما ويحاول أن يقبلها .. ليس كرؤوف الذى مضت عليه شهور قبل أن يحاول .. لا يهم .. ليقبلها .. انها لن تخسر شيئا اذا قبلها .. انها كثيرا ما تركت شفاهها تقبلها كنوع من النفاق الاجتماعى .. وربما تعرفه من قبلته أكثر .. وقبلها .. شفاته تكادان تأكلان شفيتها .. لا .. ليست هذه مجرد قبلة .. انها محاولة استيلاء .. ليست كقبلة رؤوف تحمل كل هذا الحنان .. وكل هذا الهدوء .. وكل هذه الثقة .. ان قبلة رؤوف ليست قبلة جوعان ..

ولم تتأثر بقبلته .. واحتاجت الى كل ارادتها حتى لا تتركه يتهادى فيها .. ورفع شفتيه عن شفيتها وهو ينظر اليها بعينين مبهرتين .. وقال كأنه يلهث :

.. فهمتى ..

وقالت وهى يتبعد عنه وترفع ذراعه عن كتفها :

— اللى عايزنى أفهمه ما يتفهمش بيوسه ، ولا فى يوم واحد ، ولا فى شهر و .. ده علم صعب .. وامتحانه أصعب ..

وقال :

— أنا ما كنتش فاكر انك ممكن تعقدى الحاجات دى بالشكل ..

— وفيه حاجه كمان .. مش كفايه انى أفهم ولا أعرف .. لازم أصدق ..

زبقت معه فى أبى غير حتى انتهى من غذائه ، وعرض عليها أن تصحبه الى بيته لتحضر البرونات التى تجريها الفرقة قبل أن تذهب الى الملهى .. ولكنها اعتذرت .. اعتذرت حتى لا تعرض نفسها الى قبلة أخرى ..

ولكنها تزداد ارتباطا به .. انها تذهب كل ليلة لترقص على موسيقاه .. وتراه كل يوم بعد الظهر لأنه ينام طول الصباح ، ويستحم فى البحر معا أو يذهبان فى سيارته الى أى مكان .. وتركته بقلها .. ولكنها لم تكن تعطيه أكثر من القبل .. ودعنه كثيرا الى البيت ليختلط بأبيها وأمها .. أصبح من العائلة ..

وانتشرت حكايتها معه .. أشرف وشهيرة .. وهى مزهوه بهذه الحكاية .. وزهوها يغلب حقيقة عواطفها .. انها لا تدرى اذا كانت تحبه ، ولكنها تراه بعقليتها الرقمية .. عقلية الأرقام .. ناجح .. مشهور .. يربح كثيرا .. وتزهو به .. وقد يتزوج .. لماذا لا يتزوج .. من يدري ..

وكان آخر من علم بحكايتها معه رؤوف .. ووقف أمامها محتفظا بكبريائه كأنه يرفض أن يذله أحد ، وقال :

— ايه حكايتك مع أشرف ..
وردت ساخرة :

— زى حكايتك مع البريدج ..
قال :

— أنا سمعت كلام كثير .. واحب أقولك البريدج مش زى أشرف ..

— أبدا .. زى بعض .. انت بتلعب كوتشينة وأنا بارقص .
قال :

— ارقصى فى حقة ثانية ..
قالت :

— وانت العب .. لعبة ثانية ..
قال :

— يعنى مش حتبطلى أشرف ..
قالت :

— لما تبطل بريدج .. لما تسيب الكوتشينة .. لما أنا وانت
يقالنا مستقبل ..
قال وكأنه يتحداها :

— انت كل اللى يهملك تعرفى واحد من الفنانين المشهورين ..
أحب أقولك ان أسهل حاجة انك تعرفى فنان مشهور .. دول سهل ..
كلهم سهل .. وأنا حابث لك ..
وكانت تعرف أن من طبيعة رؤوف التحدى .. ولكنها لم تستطع أن تتصور كيف يفكر فى تحديها ..
ومر يومان ..

وفى اليوم الثالث .. بالليل .. كانت فى الملهى الراقص ترقص مع أصابع أشرف .. ولاحظت تلفت الناس حول الباب وهمسات .. والتفتت .. فرأت النجمة السينمائية المشهورة كوكب رمزى داخله فى ثيابها التى عرف أنها تستوردها من لندن .. وشهقت .
فقد كانت تضع ذراعها فى ذراع رؤوف ..
واغتازت .. الغيظ يأكلها ..
لقد عرف كيف يتحداها ..

والجرسونات يجرون حول الفنانة كوكب .. ومدير الفندق جاء بنفسه ليعد لها المائدة .. والبنات والشبان يجرون اليها ..
تسمى يا مدام كوكب تمضى لى فى الأوتوجراف .. ممكن آخذ

صورة .. حتى أشرف وفرقته الموسيقية اهتزوا لدخولها ، كان أوتار الجيتار فوجئت بها ...

وقام رؤوف يرقص مع الفنانة كوكب .. وهى ترقص في تعال وقنزحة وتنظر الى الراقصين من حولها بابتسامة مصنوعة توزعها عليهم ..

وجنت شهيرة ..

وقبلت التحدى ..

وسحبت عصام من يده وقامت ترقص وقد قررت أن تشد كل الأنظار إليها بعيدا عن الفنانة كوكب .. ورقصت .. ورقصت .. انها تعطى كل ما عندها .. واكتشف أشرف الموقف .. انه يعرف قصة شهيرة مع رؤوف ، وهى الآن تتحداه .. وأراد أن يساعدها في تحديه .. فنزل من منصة الفرقة الموسيقية واقترب منها يعزف لها على الجيتار .. وكوكب من الناحية الأخرى تبذل جهدا .. والناس ابتعدوا عن حلقة الرقص ليشاهدوا صراعا في فن الرقص ..

ولم تستطع كوكب أن تستمر في الرقص أمام شهيرة .. تركت الحلقة وابتعدت وهى تخفى غضبها وراء تعاليها وقنزحتها .. وصفق الناس لشهيرة .. انها لا تزال ترقص .. فى جنون الى أن اسكت أشرف الجيتار .. وهمس :

— مبروك .. مسحتها ..

وانتصرت شهيرة ..

ولكنها ليست سعيدة بهذا النصر ..

وجرت خارج الملهى .. وركنت رأسها على شجرة .. وبكت

.. بكت بكل دموعها .. كأنها تغسل رقصاتها بدموعها ..

ولم تر رؤوف بعد ذلك ..

اختفى ..

لا تدرى أين ..

ربما عاد الى القاهرة ..

وازدادت شهيرة ارتباطا بأشرف .. وأصبحت تذهب الى بيته الذى يعيش فيه وحيدا وتراعى الا تذهب الا فى مواعيد البروفات عندما ينون معه بقية أفراد الفرقة ..

وكانت تراه يعيش بكل كيانه فى البروفة .. فى الألحان التى يعزفها ... والأغاني التى يغنيها .. يكاد لا يشعر بوجودها ..

ولكن البروفة تنتهى ، وينصرف أفراد الفرقة ... وتجد نفسها وحيدة معه .. ويقبأها .. هذه القبلات الجائعة التى تريد ان تأكلها

كلها .. وقد تعودت على قبلاته .. ربما أصبحت تتطلبها . ولكن

تصر وتعاقد حتى لا يكون بينهما أكثر من القبلات .. وهو عندما

بيأس فى كل مرة .. يهز كتفيه بلابالاة ، كأنه واثق أنها يوما

سترضخ ..

ولكنها لم تعد تحتمل المعجيات .. انهن يأخذنه منها .. وهى

لا تحبه بينهن .. انه بينهن شخصية أخرى .. شخصية يرسمها

لهن .. يفتعل الضحك .. ويفتعل النكتة والكلمة .. ويفتعل

الحركة .. وقد أجاد الافتعال حتى لم يعد يحس هو شخصا بأنه

يفتعل .. أصبح الافتعال هو شخصيته الثانية .. وهو يفتح

تليفونه وبيته لكل المعجيات .. ويذهب الى دعوات خاصة لارضاء

المعجيات .. وبهمه كثيرا لو كانت هذه المعجبة أو تلك من

عائلة معروفة أو ابنة كبير من الكبراء .. انه يكاد يسقط تحت

قدميها ..

وقد حادثته مرات حول ضعفه أمام المعجيات :

— أنا ساعات أحس انى واحدة منهم .. أنا كمان واحدة

معجبة ..

ويقول وهو يبذل جهدا ليكون صادقا :

– ما تقوليش كده يا شهيرة .. انتى حبيبتى .. يعنى معقول
أحب الف واحدة .. انما أنا مضطر .. الفنان ملك الناس ..
واترد فى غيظ :

– فنك اللى ملك الناس .. انما انت مش ملك حد .. المعجبة
بيك تسمعك وتتفضل تيجى ترقص على الجيتار .. انما مش من
حقها تكلمك فى التليفون وتجري وراك .. وانت مش مسئول انك
ترضيها ..

ويقول وهو يحاول ان يهدئها :

– ما فيش فرق بين الفن والفنان ..
وتصرخ :

– لا .. فيه .. ما حدش يعرفك كشخص .. كلهم يعرفوا
فك بس .. حتى بابا وماما لغاية داوقتى ما يعرفوش الا فك ..
ما حدش عارفك بعيد عن فك الا أنا .. أنا اللى أعرفك من غير
الجيتار .. يوم ما تبقى من غير جيتار مش حاتلاقى جنبك الا أنا
وقال ساخرا :

– يوم ما أبقي من غير جيتار انتحر .. أموت ..

ثم اقترب منها واستعارد وهو يلفها بذراعيه :

– ويمكن عاشان عرفتينى قوى يا شهيرة بتبخلى على ..
أنا محروم منك يا شهيرة .. أنت بتعاقبينى مش بتحبينى ..
وجرت منه ..

ولكن مع الأيام بدأت تقنع نفسها انها لو اعطته أكثر فربما
أراحها من غيرتها من المعجبات .. وابتعد عن كل البنات .. ولا
يعود يغيب هذه الغيبات التى تحدث أحيانا من الساعة الثالثة بعد
الظهر حتى موعد البروفة الساعة السابعة .. انها تكاد تؤكده أنه

يذهب فى هذه الغيبات الى معجبة تعطيه نفسها .. ولكن لماذا لا
يتزوج .. يتزوجها ..

وقال وهو ملتف بأعصابه الهادئة :

– أنا متجوز .. متجوز واحدة اسمها جيتار .. من يوم
ما فتحت عينى وأنا متجوزها .. واو اتجوزت عليها تسيبنى ..
ولو سابتنى أموت .. يا شهيرة اعلمى معروف ماتنسيش انى
فنان .. والفنان مش بتاع نفسه .. بتاع كل الناس .. والناس
بتسمعنى بغنى الحب والعب الحان الحب ، تحس بى أزاى
وتصدقنى اذا عرفت انى متجوز .. فيه واحد متجوز بيحب ..
وقالت وهى تكتم غيظها من غروره :

– عبد الوهاب متجوز .. وفرانك سيناترا متجوز .. وأم
كثوم متجوزة .. وفردى كان متجوز .. وكلهم بيغنوا للحب ..
وقال :

– أنا حاجة تانية .. أنا جمهورى كله شباب ولازم يحسوا بى
ويشوفونى عايش زيهم ..
وقال :

– الأربعة بتوع البيتاز متجوزين .. وكل جمهورهم شباب.
قال :

– من يوم ما اتجوزوا راحت عليهم .. وبعدين فيه حاجة
تانية .. أنا عرفت وشفت ستات متجوزة كثير .. وشفت يقدرُوا
يعملوا ايه .. ومش عايز اتجوز واحدة تعمل فى اللى بيعملواه فى
أجوازهم ..
قالت :

– أنا فاهمة عايز تقول ايه .. انما مش كل المتجوزات ..
قال وهو ينظر اليها كأنه يعدها بالأمل :

– لك حق .. مش كلهم .. ومين عارف يمكن تحصل لى
حادثة والاقى نفسى متجوز .. وانتي عارفة مين اللي ممكن تحصل
لى معاها حادثة ..

وهزت كتبها بلا مبالاة وهى لا تصدق نظرتة ..

وارتبطت به أكثر .. وأصبحت تعيش فى فنه وتحتمل
شخصه .. وقد أصبح يدرّبها على الرقصات الجديدة قبل أن
تصل الى الناس .. ثم يجعلها ترقصها كمفاجأة لجمهوره وبعد أن
يقدمها فى الميكروفون .. ويصفق لها الناس بعد أن ترقص ..
ولم يكن معنى ذلك أنها احترفت الرقص .. أنها ترقص كما
ترقص فى الجامعة .. فى الحفلات الخاصة .. فى النوادى الليلية .
كل ما هنالك أنها غيرت الشلة التى ترقص معها .. أصححت شلة
أشرف ..

وفاجأها أشرف بأن بدأ يدرّبها على الغناء .. أنها ستغنى
لفرقته الموسيقية .. وهى تغنى طول حياتها ، ولكن عندما بدأ
أشرف يدرّبها أحست كأنها تبدأ من جديد .. وهو يصبح انسانا
آخر وهو يدرّبها .. ينسى كل شيء الا فنه .. قاس ، يشحط ،
ويصرخ ، وتكاد تحس أنه سيصفعها عندما تتردد مقطعا لا يعجبه .
وغنت أمام الجمهور وهى واقفة وسط فرقة أشرف ..
ودوى التصفيق ..

نجحت .. نجاحا أكبر مما كان ينتظره أشرف نفسه ..
وامام الجمهور جرت الى أشرف وهو واقف محتضن الجيتار ،
واحتضنته مع الجيتار ، وقبلته .. انها تريد أن تقول للناس
بقبلتها أن هذا الرجل هو الذى صنع لها هذا النجاح ..
وخرجت معه بعد انتهاء السهرة يسهران فى حدائق قصر
المنتزه قبل أن يعود كل منهما الى بيته .. وهو متعب .. وهى

متعبة .. تعب الفرحة .. وتحت شجرة القى نفسه على حشائش
الأرض وهو يتحدث عن فرقته وما ينقصها وأخطاء كل فرد من
أفرادها أثناء العزف الليلة .. ووقدت بجانبه تستمع اليه ..
وأدار اليها وجهه .. ونظر اليها نظرة طويلة .. ثم قبلها .. قبله
سريعة .. هادئة .. كأنه يهنئها بها على نجاحها .. ولكن القبلة
تكررت الى أن وصلت الى حد قبلته التى يكاد يأكلها بها ..
وتركنه يأكلها ..
لم تعد عذراء ..

وعادت الى بيتها وقد نسيت فرحة نجاحها .. ووقدت فى
فراشها ودموع صامئة مستسلمة تزحف على خديها .. ولكن ماذا
يهم .. لم تعد هذه مشكلة فى المجتمع الحديث .. لم يعد هناك
عذراء ولا عذرية .. ان حبوب منع الحمل حلت هذه المشكلة ..
كانت الفتاة تحرص على أن تكون عذراء حتى لا تحبل ، أما اليوم
فهى تستطيع الا تحمل حتى لو لم تكن عذراء .. أن المساواة بين
الرجل والمرأة وصلت الى هذا الحد .. كان الرجل حرا فى حياته
الجنسية لأنه لا شيء يتغير فيه ، وأصبحت المرأة حرة مثله لأنه لم
يعد هناك شيء يتغير فيها .. وهى تعرف أن كثيرات من زميلاتنا
يحتفظن بحبوب منع الحمل حتى يزاوئن حريتهن .. وهى ليست
غريبة عن هذا المجتمع .. فلماذا تبكى .. لماذا تحمل كل هذا
الهم .. ولكن .. هل تناولت حبوب منع الحمل ؟

وابتسمت لنفسها ابتسامة رثاء .. تراثى نفسها وشبابها ..
انها يجب أن تعود منذ الآن على شراء وتجميع حبوب منع الحمل .
وفى الصباح صرحت لأمها بما حدث ..
والأم المتحررة التى تؤمن بالحرية تؤمن بالانطلاق فى المجتمع
الحديث ، ذهلت ، وامتنع وجهها .. كأنها تسمع خبر وفاة عزيز

عليها .. وقالت وصوتها يرتعش كأنها تكتم ضجيجا في صدرها :
- خدى بالك من نفسك يا شهيرة .. خدى بالك ..
ولاول مرة تخفى شهيري وأمها سرا على الأب ..
انه لا يعلم ..
لا يعلم أن حرية البنت لا تحميها دائما ، كما كان يتصور
ويؤمن ..

واشتهرت شهيرة كمطربة أغاني أجنبية مع الموسيقى الراقصة .
انها أول مصرية تشتهر بهذا الفن ..
انها تسير مع أشرف فينظر اليها الناس أكثر مما ينظرون
اليه ..
والمعجيات والمعجبون يتهافتون عليها لتوقيع الأوتوجراف
والتقاط الصور ..

والصحف بدأت تكتب عنها وتنشر صورتها ..
والعائلات الكبيرة يدعونها كفرحة يقدمونها لبناتهم وأولادهم .
وهي تحب شهرتها ..
أنها أقصى ما كانت تتمناه من أمل ..
وأصبحت تحب أشرف .. انه الحب الذي أعطاها النجاح
والشهرة .. انه حب بناء .. وطول عمرها كانت تؤمن بأن الحب
هو ان يجتمع اثنان للبناء ..
ولكن أشرف بدأ يتغير ..

انه يقلل من ظهوره معها أمام الناس .. ثم أصبح يرفض
الدعوات التي تجمعها معه .. بل حتى في الملهى الذى يعملون فيه
كان يتعمد أن يتقرب الى بنات أخريات خصوصا بنات العائلات
المشهورة .. وكان كأنه يبحث ويحاول أن يفتعل قصة حب جديدة

تعرف للناس وتجمع اسمه باسم فتاة أخرى .. ووسط كل هذا
كان يتسلل اليها ليأخذها وينال جسدها .. في الخفاء .. ويقسم
لها أنه يحبها .. هى وحدها التى يحبها ..

حتى لو كان صادقا في حبه فهو يريد أن يخفى هذا الحب
ويبقيه سرا .. انها أنانية الفنان وقسوته التى تدفعه أن يحرص
على صورته أمام الناس حتى الوضحى بأعز الناس اليه .. ان كل
فنان تتغلب شخصيته الثانية التى يبدو بها أمام الناس على
شخصيته الأولى .. شخصيته الحقيقية ..

وأشرف يريد أن يخفيها ، ويريدها أن تعيش معه في السر ..
كأنها مومس .. حتى يظل محتفظا بصورته أمام البنات المعجبات .
وبدأت تصرخ في وجهه ..
المشاجرات بينهما لا تنتهى-

وقد جربت أن تحرمه من نفسها .. جربت الا تعطيه نفسها
الا اذا أعلن حبه للناس .. وقد جن من حرمانه منها .. انها تحس
أن مركز ضعفه نحوها هو جسدها .. بل أنه في ليلة حاول أن
يقنعها أن تبقى له بعد انتهاء السهرة وادعت الموافقة ، ثم هربت
منه ، وأسرعت عائدة الى بيتها .. وفوجئت قبل أن تنام بدقات
خافتة على الباب ، فقامت اليه وسمعت صوته قبل أن تفتح ..
انه يرجوها أن تفتح .. ولكنها لن تفتح .. أبدا لن تفتح له الباب
يجب أن يجرب عذاب الحرمان لعله يفيق من أنانيته .. وسمعته
يبكى من خلف الباب .. ايه يبكى .. لم تسمعه من قبل يبكى ..
كان غزوره دائما أقوى من البكاء .. وهمت أن تفتح الباب .. ونامت ..
لن تفتح .. ورفدت على الأرض بجانب الباب .. ونامت ..
نامت فعلا .. واستيقظت فجأة فى الساعة الخامسة وتنبهت .

واعتقدت أن أشرف لا بد أنه غادر بابها .. وفتحت الباب كي تتأكد .. وفوجئت وهى تراه نائما على بلاط عتبة الباب ..
- أشرف .. أشرف .. قوم روح ..
ولم يتغير أشرف .. ظل على أنانيته مصرا على أن يبقى حبه لها فى السر ، حتى يحتفظ بمغامرات المعجبات وصورته كساحر نساء ..

وحاولت أن تثير غيرته عليها ..
كانت تعتمد أن تشجع الشبان عليها داخل الملهى وعلى شاطئء عابدة ، وكانت تقبل دعوات كثيرة بمفردها .. ولكنه لا يفار عليها . بالعكس . يبدو أنه يشجعها ويفرح بعلاقاتها بالرجال الآخرين .. انه يريدنا أن تساعدنا على نفى صورة حبا من أذهان الناس ، حتى يظل كل منهما محتفظا بشخصيته الثانية . شخصية الفنان . انه لا يفار عليها ..

ولكنها بدأت تكتشف انه يفار منها ..
يفار من شهرتها ..
يفار من اسمها الذى أصبح على السنة الناس كاسمه ..
يفار من انتظار الناس لها لتغنى ..
ربما كان يخاف أن تصبح أقوى منه .. أن يصبح هو بجانبها عازف جيتار ..

وبدأ يضيق من مجالها الفنى .. كانت كل ليلة تغنى مع الفرقة عشر أغاني ، فجعلها ست أغاني ، ثم جعلها أربع أغاني ، ثم جعلها تغنى أغنيتين فقط ، وهو يتولى وحدة بقية أغاني السهرة ..
وكان فى الأول حريصا على أن يلفنها الأغاني الجديدة ، ولكنه أصبح يحتفظ بالأغاني الجديدة لنفسه ، ويترك لها الأغاني القديمة التى مل الجمهور ترديدها ..

كل ذلك وهو يسعى ليظل محتفظا بمتعة جسدها ..
انه لا يريد أن يترك لها قيمة بالنسبة له الا قيمة جسدها ..
وثارت ..
وتكررت المناقشات الحادة والمشاجرات بينهما ...
ولا أمل ..
انه لا يتغير .. ان انانيته .. انانية الفنان لا يمكن أن يفلها شىء .

ووصلت الى الانفعال بالتحدى .. ستتحداه بنفس سلاحه . ستفرض أنانيته كما يفرض أنانيته .. حتى لو قضت عليه كفنان كما يحاول أن يقضى عليها كفنانه ..
وكان موسم الاسكندرية قد قارب الانتهاء ..
وقررت أن تبدأ فى القاهرة بداية جديدة ..
قررت أن تكون فرقة موسيقية خاصة بها وتغنى بها ، تقف فى وجه فرقة أشرف ..

وفى القاهرة بدأت شهيرة حياة جديدة ..
ان كل ما فى رأسها وكل ما تنبض به أعصابها هو تكوين فرقتها الموسيقية .

واتصلت بأصدقائها وزملائها فى الجامعة الأمريكية الذين يجيدون هواية العزف على الآلات الموسيقية ، والذين يجيدون الرقصات .. وتحمسوا كلهم للفكرة وقرروا أن يتعاونوا جميعا فى رأس المال الذى يحتاجون اليه لاستيراد آلات جديدة .. واستيراد الألحان بمجرد ظهورها فى الخارج .. كل واحد يساهم بما يستطيعه ..

وقد عرف والد شهيرة بالمشروع وتحمس له واعطاها اكثر مما طلبته من مال لتساعدهم به في التمويل ، وساعدها أيضا .. ان كليهما فرح بها عندما أصبحت فنانة ، ويزهوان بها اكثر وهى تقدم على مشروعات فنية اكبر ..

واختارت الشيلة من بينها مديرا ماليا ، واختارت قائدا للأوركسترا .. وشهيرة ستكون المطربة ، والراقصة الاولى .. وبدأت الأفكار الجديدة التى تعبر عن أحلام الشيلة تأخذ طريقها للتنفيذ ..

قرروا أن يضموا للفرقة ستة من الراقصين والراقصات ليتولوا عرض الرقصات الجديدة وتعليمها للجمهور .. فما دامت الفرقة للموسيقى الراقصة ، فلا يكفى أن تكون كل مهمتها العزف بل يجب أن تتولى أيضا تقديم الرقصات ..

وقرروا أن يقدموا المشروع الذى كانوا يتحدثون عنه كثيرا في الجامعة ، وهو تطوير الرقص البلدى بحيث يصبح رقصا جماعيا يرقصه الرجال والنساء في حلبات الرقص بالنوادي الليلية كما يرقصون الروك أند رول .. والبوجولو .. واستطاعوا أن يقنعوا الفنان محمود عاصم المتخصص في فن الرقص أن ينضم اليهم ويضع خطوات الرقص البلدى الجماعى .. وكان المشروع الذى وضعه عاصم يرسم الرقصة بأن يرقص الرجل وفي يده عصاه كما هى صورة رقصات الرجال البلدى المعروفة ، وان يحرك قدميه نفس الحركات القديمة ، في حين أنه رسم رقصة الفتاة بخليط من حركات الرقص البدوى الذى يعتمد على تحركات القدمين ، والرقص البلدى المعروف الذى يعتمد على هزات الوسط ، كما

طور موسيقى الرقصة بحيث حررها من الايقاع البطيء وجعلها موسيقى سريعة تحمل طابع الشباب والعصر الحديث .. وكثير من المشروعات الفنية ..

وهم يتدربون على الأغاني والرقصات ويتناقشون طول النهار والليل .. وشهيرة تحس أنها وضعت كل حياتها في مشروعها .. تموت لو فشلت ..

وانتشر خبر الاعداد للفرقة في الوسط الفنى .. وتقدم اثنان من فرقة أشرف يريدان الانضمام اليها ، بلا أجر ، ولكن بنصيب من الأرباح .. وقبلتهما الشيلة .. وجن أشرف ..

وجاء يحاول اقناع شهيرة بالعودة الى فرقته .. انه يعتذر عن كل اخطائه .. سيحقق لها كل ما تريده .. سيترك لها كل الأغاني الجديدة .. وسيتركها تغنى وحدها طول السهرة ..

ولكن لا .. لا تقبل .. ان الاحساس بالتحدى يملؤها .. واكن الحب .. الحب يا شهيرة .. حبك لأشرف .. أين ذهب .. لا تدرى .. لا تدرى أين ذهب حبها لأشرف ، ولا أين ذهب حبهما لرؤوف .. لا تدرى .. كل ما تدريه أن الحب بناء .. وقد فشلت في بناء أى شىء مع رؤوف .. وتوقف البناء مع أشرف وكاد ينتاب الى هدم .. انها تحب البناء .. وهى الآن تحب كل الشيلة التى كونت منها الفرقة .. ربما .. ربما تحب نفسها ..

وهز أشرف كتفيه في غرور .. ان هذه الفرقة الجديدة لن تنجح .. لن تستطيع أن تقف أمامه .. وذهب وهو يفكر من جديد كيف يحطم شهيرة ..

تصفيق لا يكف كلما انتهت الرقصة ، ليستعيدوها ..
وصيحات بلدى .. بلدى ..
وانتهت الليلة وأفراد الفرقة يقبلون بعضهم بعضا ..
كل هذا النجاح ..
النجاح حلو .. النجاح نعمة ..

واستمر النجاح .. وكل الفرق الموسيقية أصبحت تعزف
الرقصة التي أصبحت معروفة باسم « بلدى » .. وكل الناس
يرقصونها .. لم يعد الرقص البلدى عيبا ، ولا مقصورا على
المحترفات .. أصبح الجيل الجديد يرقص بلدى .. والصحف
العالمية تحدثت عن الرقصة الجديدة .. النيوزويك .. وبارى
ماتش .. و .. ومحطات التلفزيون الأجنبية نقلت الرقصة ،
وأصبح العالم يرقصها ويطلق عليها نفس الاسم Bouda ..
انضمت الى رقصة الجيرك والروك أند رول وبقيت الرقصات ..
وشهيرة تزداد نجاحا وشهرة ..
نجمة فرقة موسيقية ..
ونجمة تليفزيونية ..
ثم أصبحت نجمة سينمائية أيضا ..

وتغيرت شهرة .. أصيبت بعقدة ازدواج الشخصية ..
الشخصية التي تواجه بها الناس كفنانة ، والشخصية التي تخلو
بها الى نفسها .. وأصبح فيها كل ما كانت تشكو منه في شخصية
أشرف .. أنها تسير وهي تدعو بعينها المعجبين والمعجبات ..
وهي تتعمد أن توقع كل الناس في غرامها .. وتناقض كل من
تحتاج اليه في فنها .. تنافق أصحاب الملاهى الراقصة التي تلعب
فيها فرقتها وتناقض رجال التلفزيون ورجال السينما ، وتناقض

واستطاعت الفرقة أن تتفق على تقديم نفسها على ملهى ليلي
كبير . وقبل صاحب الملهى الاتفاق لأنهم شباب ، ولأن شهرة
أصبحت معروفة ، ولأنهم تساهلوا له في الأسعار ..
وبدأت الفرقة وفوق المنصة مجموعة كبيرة من العصى البلدى
موضوعة على جانب ، والناس تتساءل عن سرها ..
وانطلقت الموسيقى فيها كل جمال وروعة وحماس الشباب ..
وانطلقت شهرة تغنى الأغاني الجديدة وهى تكاد تدوب مع
صوتها ..

وفي منتصف الليل تماما - كما كان الاتفاق - همست شهيرة
في الميكرفون :

وردد أفراد الفرقة وراءها :

- بلدى ..

- بلدى .. بلدى .. بلدى .. والأصوات ترتفع أكثر ..

بلدى .. بلدى .. بلدى ..

ثم بدأت الفرقة تعزف لحن « بلدى الجديد » ..

وقفز راقصو الفرقة وشد الرجال فيهم كل منهم عصاه من

العصى المجموعة ..

وبدأت رقصة « بلدى » ..

والجمهور يهلل ..

ثم أخذ راقصو الفرقة يشدون النساء والرجال بين جمهور

الحاضرين ويدربونهم على رقصة بلدى ..

الكل يرقصها .. كل واحد يشد عصاه من فوق المنصة

ويرقص بها أمام فتاة ..

نجاح ..

أكثر رجال الصحافة .. انها مضطرة ان تقبل دعوة الأستاذ -
رشاد المحرر الفنئ للغداء فى نادى الجزيرة حتى يزهو ويتعايق
بها أمام الناس .. ومضطرة ان تقبل دعوة الأستاذ - أيوب رئيس
التحرير الى العشاء .. ومضطرة ان تقبل كل حديث تليفونى من
صحفى .. وتناقى بابتسامة .. وكلمة .. ونفاق .. نفاق ..
بل انها تضطر أحيانا أن تصل فى نفاقها الى حد الغزل وترك أيدى
خشنة تقززها تلمس جسدها .

وعندما تخلو الى نفسها قبل أن تنام تحس كأنها وحيدة
مجهولة .. لا أحد يعرفها .. لا أحد يعرف شهيرة الحقيقية ..
شهيرة من داخلها .. ليس لها أحد يحبها هى .. ليس لها أحد
يرأها كما لا يرأها الناس .. تعود الى أيامها الأولى عندما كانت
تحب رؤوف .. وعندما كانت كل أمنياتها أن ينجح رؤوف
ويتزوجا وتعيش له ولبيتها ولأولادها ولنفسها .. أين رؤوف
الآن .. ربما لو عاد إليها لعادت الى حبه .. وتركت كل هذا
النجاح لتبحث معه عن نجاح هادئ حلو .

ورأت رؤوف .. جاء الى الملهى مع شئلة من الأصدقاء
والصديقات واهتز قلبها عندما رأته ، وبدأت تغنى كأنها تستعيد
أحلى ذكرياتها ، وتختار الأغانى الهادئة التى تصعد بها الى سماء
ناعمة .. سماء ذكرياتها .. سماء الحب .. وأسرت اليه بعد أن
انتهت من الغناء .. لم يكن يههما من معه ، هل معه فتاة يحبها .
لم يكن يههما الا أن تعود اليه .. واستقبلها رؤوف فى فرحة ،
وأحست وهو يقدم لها أصدقاءه وصديقاته بنفس الاحساس الذى
تحس به نحو واحد من الجمهور .. جمهور الفنان .. انه يزهو
ويتفاخر لانها جاءت اليه .. ويحدثها بمديح عن أغنياتها وفنها .
ثم شد الورقة التى تحمل قائمة المشروبات والأطعمة ورجاها أن

توقع له عليها حتى يحتفظ بها .. انه لا يرأها كشهيرة .. ولكنه
يرأها كما يرأها كل الناس .. شهيرة الفنانة .. يا حبيبى لا ترانى
بعيون الناس ..

وقامت من جانبها يائسة .. فقدت حلاوة كل ذكرياتها ..
وهى تريد الحب ..

ولكن يبدو أن الفنان ليس من حقه أن يحب ، وليس من حقه
أن يجد انسانا يحبه لذاته .. كل المخلوقات تحب فنه .. حتى
كلبتها الصغيرة التى تربيتها منذ سنوات ربما لا تحبها الا لأنها أحيانا
تغنى لها ..

ان النجاح والشهرة ثمنهما أن يضحي الانسان بذاته .. أن
يصبح شيئاً عاما .. كالأوتوبيس ..

ودخلت مرحلة جديدة من حياتها حاولت فيها أن تغلب على
الحرمان الذى تعانىه ..

لم تعد تبحث عن الحب ..

أصبح يكفيها « الاستلطاف » ..

كانت « تستلطف » شابا من المعجبين المتهافتين عليها .. ربما
يشدها اليه شكله ، أو خفة دمه ، أو حيويته .. وتشجعه ..
وتذهب معه .. تعطيه وتأخذ منه .. وهو معها يرأها كما يرأها
الناس .. شهيرة المشهورة .. يتكلم معها كلاما لا يقال الا الى
مشهورة .. ويتصرف لأنه فى حضرة مشهورة .. لا أحد يحاول
أن يرأها كما لا يرأها الناس . لا أحد يحاول أن يكتشف شخصيتها
الخاصة .. وفى اليوم التالى تهمله .. كأنه لم يحدث بينهما شئ
.. ولم يجتمعا فوق فراش .. ولكنها تراعى فى اهمالها له الا
تفقدته الأمل ، حتى لا تقلبه الى عدو ، وحتى لا تعانى من الحاجة ،

وان كانت تحرص دائما على ألا تختار للياليتها ، الا شبابا من مستوى اجتماعى يؤمن بحرية « الاستلطاف » .. ودفعتها هذه المرحلة الى أن يكون لها شقة خاصة أعطتها لصديقتها زيزى لتقيم فيها ، وأصبح من حقها أن تتردد عليها في حالات الاستلطاف ..

وبدأت الكلمات تدور حولها .. وبدأت تذل جهدا لصد الكلمات والاشاعات .. انها تحرص على أن تستغل الصحف والاعلانات عند ذكر اسمها لقب « آنسة » .. وتضحك .. ها .. ها .. آنسة .. ان لقب آنسة أصبح كلقب ملاك .. أو شيخة .. أو قديسة .. وأصبحت تحرص على أن تشترك في نشاط الجمعيات الخيرية ، والجمعيات النسائية ، وتزور المستشفيات .. وهى فى كل مكان تستقبل كفنانة محترمة .. انها محتاجة أن تستتر وراء هذا الاحترام .. محتاجة أن تضيف الى صورتها أمام الناس خطوطا تبرزها كفتاة من عائلة كبيرة هوت الغناء والرقص فأصبحت فنانة .. ولكنها بدأت تتعب ..

كل هذه الحياة لا تريدها ولم تكن تريدها ..

انها لم تكن أبدا تريد هذه الشهرة .. لم تكن تريد أن تكون لكل الناس .. كانت تريد أن تكون حياتها لها وحدها .. وأن تكون لرجل واحد .. وان تجد رجلا لها وحدها .. رجلا يراها بعينيه وباحساسه لا كما يراها كل الناس .. انها لم تبحث عن الشهرة ولكنها بحثت عن النجاح .. والنجاح الذى وجدته أدى بها الى الشهرة .. والشهرة رخيصة ، سهلة ، متعبة .. انها شهوة عندما تتحكم فى انسان يمكن أن تفرض عليه كل المساوىء ، وتصبح شهوة الشهرة هى أساس كل تصرفاته فوق الفن ، وفوق العمل الجدى ، وفوق النتائج التى يصل اليها .. أن الخط اشتهر

بعد أول جريمة قتل ، ولأنه أحب شهرته ارتكب عشرات جرائم القتل حتى يظل محتفظا بشهرته .. وربما كان على حق فى جريمته الأولى ، ولكنه ليس على حق فى كل جرائمه التالية لأنه لم يكن محتاجا اليها ، ولكنه كان محتاجا الى الشهرة ..

واحساسها بالشهرة الذى تمكن منها أصبح يدفعها الى مزيد من الجرائم .. جرائم فى الفن .. وجرائم فى نفسها .. وبدأت تنتابها حالات عصبية .. أصبحت تكره الوقوف امام الناس لتغنى .. وأصبحت تكره الذين يلتفون حولها ويطلبون توقيعها وصورتها ..

وأصبحت تكره صورتها فى الصحف .. وبدأت تنقطع عن فرقها الموسيقية فترات متكررة ، حتى اضطرت الفرقة ان تبحث عن مغنية أخرى .. وتنقطع عن مواعيد العمل فى التلفزيون واستديوهات السينما .. وترفع سماعة التليفون حتى لا تتحدث الى أحد .. لم تعد تطيق الا أن تجلس مع نفسها .. مع شهرة التى لا يعرفها أحد ..

وحاول أبوها وامها أن يعرضها على طبيب نفسانى .. ولكنها ترفض .. انها تعرف تماما ما تعانیه .. وطلبت منهما أن يسافروا الى الخارج .. بعيدا عن هنا .. بعيدا عن شهرتها .. ربما وجدت هناك انسانا لا يراها بعيون الناس ..

وفى استكهولم التقت شهيرة بالدكتور عاطف محيى الدين .. لقد مضى على عاطف خمسة عشر عاما وهو فى استكهولم .. تلقى دراسته هناك .. ولتفوقه عمل هناك .. انه طبيب فى المستشفى الرئيسى ، وله عيادة خاصة .. وهو لم يسمع عن شهيرة

كلمة

كنت قد أعددت قصة « أبى فوق الشجرة » لنشرها كقصة مسلسلة في « روز اليوسف » ولكنى لظروف خاصة - وكما ذكرت في مقدمة هذه المجموعة - توقفت عن العمل في روز اليوسف وبالتالي توقفت عن النشر ، ثم توقفت عن اتمام القصة كعمل أدبي مجرد ، واعدت كتابتها كقصة سينمائية ..

ورغم انى قمت بنفسى باعداد السيناريو والحوار ، الا انى أكتفى بنشر القصة كما كتبتها قبل السيناريو ، حتى أعرض الفرق الكبير بين مراحل العمل السينمائى ..

فكتابة القصة السينمائية أو المعالجة السينمائية التى يسميها السينمائيون « تريتمنت » هى المرحلة الأولى ، وبمد ذلك تتعرض هذه المرحلة لتغييرات وتطورات كثيرة الى أن تصبح « سيناريو » أو الصورة السينمائية التى يشاهدها الجمهور ..

والذين شاعدوا فيلم « أبى فوق الشجرة » سيكتشفون هذا الفرق الكبير بين المرحلة الأولى ، والمرحلة الثانية .. وربما اكتشفوا ايضا الوقت الطويل ، والجهد ، والمتاعب التى تبذل فى اعداد العمل السينمائى ..

احسان ..

ولم يرها من قبل .. وقد مضت اسابيع بعد أن عرفته وهو يراها بعينه لا بعيون الناس .. وعندما قصت عليه قصتها وقالت له انها فنانة مشهورة لم يتأثر بهذه الشهرة لانه لم يعيش فيها .. لم يعرفها وهى مشهورة .. ولم يرها كما يراها الآخرون .. انه لا يراها الا بعينه واحساسه .. ويراها من داخلها .. يرى شخصيتها لا صورتها ...

وعاشت معه ..

تزوجته ..

وتلقت دروسا فى اتمريض لتكون ممرضة فى عيادة زوجها الدكتور - عاطف محيى الدين ..

وهى سعيدة ..

لقد وجدت نفسها .. استردت نفسها من الناس ..

وهى لا تزال تمشى فى فنائها .. انها ترقص وتغنى .. كل الناس يرقصون ويغنون .. كل البيوت السميدة مليئة بالرقص والغناء .. وبيتها مزدحم بأخر الاسطوانات ، ومراتها تشاهد منها آخر الرقصات .. وزوجها يصحبها فى ليلة الاجازة الأسبوعية ليرقصا فى ملهى .. ان الفن فى ذاتها .. وكل ما كان يتعبها ، ليس الفن . ولكن تجارة الفن .. لم تمد تتاجر بفننها .. ولم يعد الناس يرونها بعيون ترى فننها ولا ترى حقيقتها .. ان الناس الآن يرون شهيرة .. وحبيبها .. زوجها .. لا يراها بعيون الناس ولكن بعينه ..

مبهورة برجولته ، وجماله ، وذكائه ، وقوته ، رغم مضى اثنين وعشرين عاما على زواجها منه .. عالمها هو بيتها الصغير . وتعتقد أن ازواجها عالما آخر لا تعرفه وليس من حقها أن تتدخل فيه ..

الابن .. عادل عبد الحميد .. في العشرين من عمره .. طالب في السنة الثانية بكلية الهندسة .. صورة رائعة لشباب الجيل الجديد .. وسيم .. ذكى .. مرح .. عاطفى .. ناجح دائما .. يحب الناس كلهم ، والناس يحبونه .. وهو أمل كبير لكل البنات ، ولكن علاقته بالبنات كلها علاقات نقية صافية .. لا يحاول أن يتباهى باعجابهن به .. ولا يحاول أن يفعل علاقة خاصة باحداهن .. وهو يحب آمال ، شقيقة زميل له تعود أن يستذكر دروسه معه .. وهى من عائلة فى مستوى أعلى قليلا من مستوى عائلته .. وحبها بلا مشاكل .. ينمو فى جو عائلى نظيف .. وهو يذهب مع آمال الى السينما برفقة شقيقها أو عائلتها .. ويخرج معها فى رحلات جماعية .. ويرقص معها فى الحفلات العائلية .. وكلاهما ينتظر يوم يتخرج ليتزوجا ، وان كانا لم يتحدثا أبدا عن الزواج .. وكل عيب عادل ، انه كبير الثقة بنفسه .. وسيطر عليه حب الاستطلاع ، يريد أن يعرف كل شيء .. وثقته فى نفسه تزوده بالجرأة على الاندفاع ، فى كل مجال يصادفه .. وهو يحترم أباه ، ويعبد أمه وشقيقته .. ويهوى الغناء ، ولكنه كآبئه لا يعترف بهوايته كفن ..

الابنة .. أحلام .. فى السادسة عشرة من عمرها .. طالبة فى التوجيهية .. ذكية .. مرحة .. خفيفة الدم .. تحب أخاها ، وتعرف قصة حبه لآمال .. وقد تعود أن يطلعها على أسراره .. وقد تعود الاب أن يسمح لابنه بالسفر الى الاسكندرية كل عام كمكافأة له على نجاحه ، اذا لم تصيف العائلة كلها ..

أبى فوق الشجرة

عائلة متوسطة تقيم فى حى الروضة ..

الأب .. السيد كمال عبد الحميد .. فى الثانية والخمسين من عمره .. محتفظ بكل رجولته ، ويعتنى اعتناء خاصا بمظهره .. شاربه الصغير مهندس .. ولا يزال سواد شعره يقاب على بياضه .. ويثق ثقة كبيرة فى ذكائه الى حد الغرور .. ويتكلم كثيرا عن مغامراته أيام شبابه ويعتبر الجيل الجديد جيلا ضعيفا ليس فيه رجولة الجيل الماضى .. وهو خريج مدرسة التجارة المتوسطة، ولكنه استطاع بذكائه أن يصل الى منصب وكيل الحسابات فى الشركة .. مرتبه خمسة وستون جنيها .. ولكنه يستطيع دائما أن يزيد من دخله .. وسيطر على البيت سيطرة تامة ، ويعامل زوجته كأنه ربها الأعلى ، ويعامل أولاده بحزم .. ولكن دون تزمت .. فهو متبسط مرح طيب القلب ، وان كان لا يخلو من الانانية . يضاف الى هذا أنه يهوى العزف على العود . ويجتمع بأصدقائه أحيانا فى البيت فى جلسات لا تشترك فيها الزوجات .. ويعزف لأصدقائه .. ولكنه لا يؤمن بهوايته كفن ولا يتركها تسيطر عليه ويعتبرها نوعا من التسلية .

الزوجة .. صفية .. سيدة طيبة ، فيها كل حنان الأم ، وكل طاعة الزوجة .. تعبد أولادها وتعبد زوجها ، وتنظر اليه دائما

ولعادل زميل في الجامعة من أهل الاسكندرية يمتلك كابين خشبي منقى بعيدا في صحراء سينى بشر ، ويبعد عن الشاطئ حوالى نصف ساعة سيرا على الأقدام .. وقد تعود الصديق أن يترك الكابين لعادل ، يقيم فيه ، كلما جاء الى الاسكندرية ، وبذلك يوفر عليه أجر السكن .. وتعود عادل أن يغدوم نفسه طول مدة اقامته .. يطبخ لنفسه .. ويكنس .. ويفسل .. حتى يوفر من مصروفاته ..

والعائلة كلها تستمد في الصباح الباكر لسفر عادل بعد نجاحه هذا العام ..

الأخت أحلام تجد في حجرة أخيها عادل مجموعة خطابات .. خطابات معنونة باسم أبيها « الوالد العزيز الأستاذ كمال عبد الحميد » .. وخطابات معنونة باسمها « الأخت العزيزة الأنسة أحلام عبد الحميد » .. وتمسك الخطابات في يدها بدهشة وتساءله :

– ايه دول ؟

ويقول عادل :

– دول جوابات حا أبعثهم لكم من الاسكندرية .

وتقول أحلام :

– وكتبتهم قبل ما تسافر ؟

ويقول عادل :

– يا عبيطة .. ما هو بدل ما أضيع وقتى في الاسكندرية في

كتابة جوابات .. أكتبهم من هنا وأنا فاضى وأبعثهم من هناك ..

جواب ورأ جواب ..

وتقول أحلام :

– يعنى بتكتب كلام ما انتش حاسس بيه .. كلام والسلام .

مش تستنى لغاية ما نوحشك وتبقى تكتب .

ويقول عادل ضاحكا :

– انتم واحشنى من دلوقتى .. والمسألة مسألة تنظيم ..

تنظيم عمل ..

وتقول أحلام :

– طبعا ما تقدرش تضيع عشر دقائق من لمبك وتنطيطك على

البلاج ، علشان تكتب لنا جواب .. و ..

والأم تروح وتفعدو وترتب حقيبة عادل ، وتحاول أن تخفى

لوعتها لفراقه تحت أبتسامتها ، ثم تقول له :

– تحب أحط لك علبه القراقيش في الشنطة ولا تاخذها

في ايدك ؟

ويقول عادل في حنان :

– يا ماما ما بلاش القراقيش دى .. انتى عارفة انى

ما باحبهمش .. والسنة اللي فاتت القراقيش اللي اديتهم لى

اكلهم النمل .. وخايف أروح السنة دى مالمقيش نمل .. يبقى

أعمل ايه ..

وترد أخته في غيظ :

– ابعت للنمل جواب قوله القراقيش وصلت ..

ثم تستطرد في غيظ :

– أنا مش عارفة اشمنى حضرتك تروح تصيف ، وأنا أزرع

هنا .. ما أنا نجحت أنا كمان ..

ويرد عادل :

– علشان أنا كبير .. وانتى لسه عيلة صغيرة ..

وتقول أحلام :

– كلام فاضى .. لازم تعرف ان البنيت بتسبق الراجل فى نموها بعشر سنين .. يعنى انا دلوقتى اذا كان عندى ستاشر سنة ، اساوى راجل عنده ستة وعشرين .. يعنى أبى أكبر منك بست سنين ..

ويقول عادل فى مرح :

– ياه .. يعنى انتى دلوقتى اتخرجتى ، وأخذتى البكالوريوس واشتغلتى ، واتجوزتى ، وخلفتى .. مش كده يا ابله ؟

وترد أحلام :

– مش مهم التخرج .. ولا الجواز .. المهم العقل .. العقل يا سى عادل ..

ويرد عادل :

– سلامة عقلك .. يا حبيبتى ..

وتضع أحلام مجموعة من قمصان عادل فى حقيبته ، فى عنف وهى تتمتم :

– انانية .. انانية الرجال .. غدا سنتحرر .. سنتحرر كل

النساء .. وأذهب الى الاسكندرية .. الى ميامى ..

ويضحك عادل ..

ويطل الأب برأسه ينادى عادل الى غرفته ، ويعطيه عشرة جنيهات .. وهو يقول له :

– أنا كنت أحب أديك أكثر من كده .. وانت تستاهل أكثر

من كده .. انما انت عارف انى السنة دى عملت تأمين لكم .. وعلشان كده ما قدرناش نصيف السنة دى ولا السنة اللى فاتت.

ويقول عادل :

– متشكر يا بابا .. ده كثير ..

ويقول الأب :

– فيه حاجة واحدة اوصيك بيها .. اوعى تستلف .. اول ما تخلص الفلوس ترجع على طول .. يوم ما أعرف انك استلفت ، يوم ما حافقد ثقتى بيك .. وأنا عمرى ما فقدت ثقتى بيك .. وتقطع تذكرة القطر رايح جاى .. علشان تضمن رجوعك ساعة ما تفلس ..

ويقول عادل ضاحكا :

– اظن يا بابا .. أنا ناوى أرجع محوش ..

ويرد الأب فى غرور الآباء :

– انت بتقول فيها .. أنا فضلت لغاية ما اتوظفت وعمرى ما شفت الورقة أم عشرة جنيه .. أكبر مبالغ دخل جيبى كان عشرة صاغ .. وكنت باحوش برضه .. انما ايه .. عمرى ما حرمت نفسى من حاجة .. اصل يا ابنى اللى يتمتع ، ما بيتمتعش بفلوسه ، انما بيتمتع بذكائه .. بالعقل ..

ويقول عادل :

– ده صحيح يا بابا .. انما ..

ويقاطعه الأب قائلا :

– تعرف أنا كنت بادخل السينما ازاي .. كنت لما أحب اشوف فيلم ارواح اشتغل فى بوفيه السينما ، وأول الفيلم ما يخلص اسيب الشغل ..

ويضحك الأب معجبا بذكائه .

ويقول عادل :

– دى حاجة ..

ويقاطعه الأب :

– انتم أصلكم جيل مدلع .. طلعتم لقيتم كل حاجة سهلة .

انما احنا على ايماننا كانت كل حاجة بالذراع .. بالمخ .. الشغل
بالمخ .. واللعب بالمخ ..

وعادل متمجل ، يتحمل كلمات ابيه بلا تبرم ..

ثم يحين موعد خروجه من البيت .. ويقبل أفراد العائلة
واحدًا واحدًا .. وتدس أمه في يده اثنين جنيه .. ويقول عادل :
- بابا ادانى كفاية ..

وتقول الام :

- معلش يا حبيبى .. اذا ما صرفتهمش ابقى هات لى بيهم
حاجة ..

وتهمس أخته في أذنه :

- سلم على ميمى ..

ويهمس في أذنها :

- الله يسلمك ..

وتعود تهمس في أذنه :

- ما تغيبيش كثير علشان ما اتفطش كثير ..

ويهمس في أذنها وهو يقبلها :

- اتفاظى يا أختى يا حبيبتى ..

ويخرج عادل مرتديا القميص والبنطلون وهو يحمل حقيبته ،

ولفافة وضعت له أمه فيها الشاي والسكر والقرايش ..

ويركب الأوتوبيس الى المحطة ..

ويركب القطار درجة الثالثة ..

والقطار مزدحم .. ويجلس عادل على الحقيبة في ممر عربة

القطار ، ويخرج ورقة وقلما .. ويبدأ في وضع ميزانية وهو

يتمتم ، ١٥٢ قرش تذكرة قطر رايع جاى .. يبقى فاضل من

العشرة جنيه ٨٧٥ قرش .. واثنين جنيه احتياطي من أمى ..

واحسب كمان يا سيدى ، ٨٧٥ على خمستاشر يوم يبقى اليوم
ب ٥٨ قرش ونص .. أكل وشرب بخمسة وعشرين .. والباقي
شبرقة .. كويس .. نعمة ..

ويصل القطار الى محطة سيدى جابر ...

ويكون في انتظار عادل صديقه ياقوت صاحب الكابين الذى
سيقيم فيه ..

ويتعانق الصديقان ..

ويحاول ياقوت أن يحمل الحقيبة ، ولكن عادل يصر على حملها ،
قائلًا :

- خلىنى أتعود على الشقا من دلوقتى ..

ويعطيه اللفافة ليحملها ..

ثم يعرض ياقوت على عادل ان يركب تاكسى ، ولكن عادل يقول
ضاحكا :

- اعمل معروف ، ما تعودنيش على التاكسيات ..

ويقول ياقوت :

- ده أنا عازمك ..

ويرد عادل :

- ولو ..

ثم يركبان ترام الرمل وهما يضحكان في مرج ، ويقول عادل
ضاحكا :

- تعرف انا نقدر نركب ببلاش ..

ويرد ياقوت :

- ازى بأه .. نتشعبط على الشمال بعنى ..

ويقول عادل :

– لا .. نشتغل كمسارية ، وأول ما نوصل سيدى بشر نستقبل ..

ويضحك ياقوت ..

ويستطرد عادل ضاحكا :

– دى نصيحة من نصايح بابا ..

ويصلان الى سيدى بشر .. ثم يركبان الأوتوبيس الذى يخترق شارع سيدى بشر .. ثم ينزلان عند شارع الجيش .. ويحمل عادل الحقيبة وياقوت للفاقة ، ويسيران فى الرمال .. مسافة طويلة .. طويلة .. ويتعدان عن العمران .. وهما لا يزالان يسيران .. ويتبادلان حمل الحقيبة .. ويستريحان بين الحين والحين .. ويهجم عليهما كلب ينبح .. ويقول عادل :

– انا عارف الكلب ده من السنة اللى فاتت ..

ويقترب الكلب منهما ويكف عن النباح ، ويهز ذيله ، ويقول له عادل وهو منهمك :

– أزيك يا كلب ..

ثم يقول بصوت يقطر تعباً :

– يا بنى ما فيش حد فى الحتة دى الا احنا والكلاب ..

ويسير الكلب بجانبهما ..

وأخيراً يلوح لهما الكابيين ، وبعيدا عنه قليلا « خيش » مما يقيم فيه عرب الصحراء ..

– والنبي انا مظالموم .. الناس فاكرة انى با اصيف فى اسكندرية .. مع انى با اصيف فى الواحات ..

ويقول ياقوت :

– أصل أبويا نظره بعيد أكثر من اللازم .. بعيد قوى ..

رى حتة الأرض دى بجنيه المتر علشان بعد خمستاشر سنة ..

ويقول عادل وهو يلتقط انفاسه :

– يا سلام .. مشروع هايل ..

ثم يقع ممددا على الرمل بجانب الكابيين .. ويرقد ياقوت ..

.. ويقبع الكلب بجانبهما ..

الكابيين صغير .. من خشب قديم متآكل .. ونوافذه يطيرها .. وهو مكون من صالة صغيرة ، وحجرة للنوم لا تكاد .. وسبع للسريير ، ومطبخ ، ودورة مياه .. وفوق سطحها خزان ..

.. صغير للمياه .. ويقفز عادل من رقدته وهو يصيح :

– ياللا على الشغل ..

ثم يدس يده فى اللفافة التى يحملها ، ويخرج قطعة من ..

تقراقيش يلقى بها للكلب ، وهو يقول :

– ماما بتسلم عليك ، وبتقولك كل سنة وأنت طيب ..

ويهز الكلب ذيله ..

ثم يفتح باب الكابيين .. ويفاجأ بأكوام من الأتربة ، وقطع الأثاث البسيطة ملقاة فى فوضى .. ويفتح فمه فى دهشة صائحا :

– انت عملت ايه فى الكابيين يا ياقوت .. ده أنا نساييه لك ..

السنة اللى فاتت زى الغل ..

ويرد ياقوت ضاحكا :

– أصل من يومها مالمقتش حد نظيف زيك ..

ويقول عادل :

– بآه ده اسمه كلام ..

ثم يخلع قميصه ، ويمسك بالمقشنة ويبدأ فى تنظيف الكابيين ..

و .. و .. وهو سعيد .. يصفى .. ويفنى .. ويضحك بينه
وبين نفسه .. ويداعب الكلب ..

ويقبل رجل أعرابي ، من « الخيشة » المنصوبة قريبا من
الكابين .. ويهلل عادل لمرآه ، صائحا :

– ازيك يا شيخ العرب ..

ويقول شيخ العرب وهو يعانقه :

– ازيك يا عادل .. كل سنة وانت طيب .. بعودة الأيام ..

ويتبدو الحب والالفة بين شيخ العرب .. وعادل .. ثم يقول

عادل :

– عايزين صفيحتين ميه يا شيخ العرب .. وماتقيش عندك

شوية مسامير وشاكوش ، ولا حتة زلطة ثقيلة .

ويحضر شيخ العرب المسامير وقطعة من الزلط ، ويبدأ عادل

في اصلاح شبابيك الكابين ، والباب . ثم يقفز فوق سطح الكابين ،

ويغسل خزان المياه ، ويملاؤه بالمياه التي أتت بها بنتان أعرابيتان

من بنات الشيخ عمران .. وتبدو الالفة بين عادل والبنتين ،

ويصيح مهللا لمرآهما :

– السنة دى حانغنى كثير ..

وترد احدى البنتين في حياء :

– ونحجل ..

ويقول عادل :

– ونحجل قوى .. حانعمل حفلة كبيرة ..

وينتهى عادل من عمله .. ويفتح حقيبته ، ويلحق بدلتته

الوحيدة على مسمار فوق السرير ، ويضع قمصانه وثيابه الداخلية

في أدراج نملية المطبخ ، لأنها الدولاب الوحيد .. وتبدو الكابين

نظيفة رائعة .. كأنها صنعت من جديد ..

وياقوت يحاول أن يساعده ، ولكنه لا يفعل شيئا ، ثم يقول .

– نفسي بنات الكلية بيجوز يشوفوك وانت بتكنس وتمسح ..

علشان يعرفوا ان استقبالك مضمون ..

ويقول عادل ضاحكا :

– بنات الكلية مش حايشفونى الا وانا قالع ولايس المايوه

والناس لما بتقلع بتقى كلها زى بعض .. اللى بيكنس ويمسح زى

اللى رئيس مجلس الادارة .. واللى ساكن فى حجر زى اللى ساكن

فى قصر ..

ويضحك ياقوت صائحا :

– يا واد يا فيلسوف ..

ويستطرد عادل قائلا :

– واسمع .. يا تشتغل وانت ساكت ، يا تورينى عرض

اكتافك ..

ويقول ياقوت :

– لا .. انا لا أقدر اشتغل ولا أقدر اسكت .. وزمان الجماعة

اتلموا على البلاج ...

ويخرج ياقوت .. ثم يطل على عادل من شباك الكابين قائلا :

– أقول لآمال وأخوها انك وصلت ..

ويقدفه عادل بالوسادة فى وجهه :

– لا .. قول لست والدتك تبعتلى شوية ملايات وأكياس

مخدات نظيفة ..

ويبتعد ياقوت ..

ويقبل عادل على تنظيف الكابين ، وترتيبها .. يكنس ..

وينفض .. ويمسح .. وينظف الحلل .. ويلمع وابور الجاز ..

ويبدأ عادل حياته اليومية .. مرحا .. منطلقا .. يبيض بالشباب الحلو ، والقلب البريء .. ويستيقظ من النوم مبكرا ، ويذهب الى السوق ، يشتري الخضار ، والقوطة ، واللحم ، والسمن .. ثم يعود ويطنخ طبخا ساذجا .. ويضع كل شئ فوق بعضه ويتركه على النار الى أن يستوى وأحيانا يحترق .. ثم يذهب الى الشاطيء في الحادية عشرة ، ويلعب مع الاولاد والبنات .. حياته كلها نشاط .. ومرح .. وحب .. كل البنات والاولاد يحبونه .. ويعود في الثالثة الى الكابين ليأكل الطعام الذى طبخه بشهية ، حتى لو كان محروقا .. ثم يشرب الشاي مع شيخ العرب عمران ..

ويعود الى أصدقائه ليقضى المساء يتمشى معهم على الكورنيش، أو يذهب معهم الى سينما صيفى ، أو يجتمعون في كابين أحدهم . ثم يجمع من أصدقائه نقودا ويقيمون حفلة عرب في الهواء الطلق حول خيشة الشيخ عمران .. اولاد وبنات . يغنون . ويرقصون رقصا عربيا .. وكل منهم يلقى ما عنده .. ضحك .. حب .. شباب ..

ويذهب يوما الى السوق في الصباح الباكر وهو يحمل وابور الجاز ليصلحه ، ويشتري طعامه ، ويفاجأ بقاء فتاة من بنات البلاج ، مغرورة ، « طالعه فيها » فيخفى وابور الجاز خلف ظهره ، ويقف يحادثها وهو يحمل قرطاس القوطة والخضار في يده الأخرى .. وتلمح الفتاة وابور الجاز ، فتقول له :

– ايه ده ..

ويرد مرتبكا :

– ده .. ده .. أصلى باعمل تجارب علمية عن الاشعاع الإلكتروني ..

وتقول ساخرة :

– بتعمل تجربة على وابور جاز .. ويرد مدعيا هيئة العلماء :

– طبعا .. دلوقتى الذرة بتستخدم من أجل السلام .. ووابور الجاز من أجهزة السلام .. وأنا بأحاول أكتشف طريقة لتشغيل وابور الجاز بالذرة .. وتصدقته الفتاة ..

وتدعوه آمال لتناول طعام الغداء عندهم ..

ويرد عادل ضاحكا :

– ماقدرش .. أصلى امبارح طبخت حلة بطاطس ، أكلت نصها ، والنهارده ، حاكل النص التانى .. وبكره انغدى عنديكم . وتضحك آمال ..

وينظر عادل في عينيها قائلا :

– أنا زهقت من الطبخ يا ميمى .. نفسى حد يطبخ لى ..

وتقول آمال فى دلال :

– قصدك مامتك ..

ويقول عادل :

– ماما بتطبخ البابا واولادها .. ما بتطبخيليش .. انتى مش تعرفى تطبخى ..

وتهز آمال رأسها فى صمت ..

ويقول عادل فى حب :

– خلاص .. كلها سنتين وآخد البكالوريوس ، وتطبخيلى .

ورغم حب عادل لآمال ، فهو يأخذ هذا الحب ببساطة ..
ويدفعه غروره بنفسه وبذكائه الى اهمال آمال ، ويفضل أن يكون
مع أصدقائه الشبان ، على أن يبقى بجانبها طول اليوم ..
فحبه لا يأخذ الا جانبا صغيرا من وقته .. وباقي يومه يشارك
فيه أصدقاءه الشبان لهوهم ، ورياضتهم .. وهو ما يسبب
خناقات كثيرة بينه وبينها .. خناقات لا تقطع الحب ولكنها تشعله
.. والثقة في النفس التي تصل الى حد الغرور ، تدفع عادل الى
كثير من المجازفات ، تطبع كل تصرفاته .. وقد أوشك أحد
المستحمين على الفرق فصمم على انقاذه ، رغم أنه ليس بطلا في
السباحة ، ونزل البحر فكاد يفرق هو الآخر ..
حوادث كثيرة تدل على ثقته في نفسه التي تصل الى حد
الغرور ، وتدل على حبه الكبير للاستطلاع الذي يدفعه الى كثير من
المجازفات ..
ولكن غروره ليس تعاليا ، ولكنه زهو الشباب بنفسه أكثر منه
غرورا .. وحبه الاستطلاع ليس صفاقة ولكنه تطلع الى التجربة
والى المعرفة ..
وفي يوم يلتقى عادل على الشاطئ بثلاثة من زملائه في الكلية ،
أكبر منه سنا ، ورغم ذلك فهم معه في نفس السنة الدراسية ..
أحدهم سمين جدا .. والثاني رفيع وطويل .. والثالث قصير
جدا .. والثلاثة يرتدون بذلات كاملة ليسوا كباقي شبان الشاطئ
.. وهم لا يترددون على هذا الشاطئ كثيرا ، انما جاءوا عابرين
.. وجلسوا في البوفيه يشربون البيرة ..
ويحييهم عادل مهللا .. ثم يجلس معهم .. ويأخذ في الكلام
بحماس وانطلاق .. ويسأله الصديق السمين ، وهو يبدو أغنى
الثلاثة مالا :

– تشرب ايه يا عادل ..
ويرد عادل بسرعة :
– ببسى ..
ويقول السمين :
– يا أخى أكبر بقى .. ببسى ايه ؟
ويقول الرفيع :
– أصله لسه بيرضع .. العيال اليومين دول بيرضعوا ببسى .
ويقول السمين :
– ما تشرب بيره زينا ..
ثم يصفق بيديه طالبا زجاجة بيره ..
ويتردد عادل قليلا ، ثم يقبله غروره ، ويقول :
– وماله .. نشرب بيره ..
ويشرب البيره وهو يخفى تقززه من طعمها .. وينطلق مع
أصدقائه يضحك ويحاول أن يشترك في حديث زملائه ، حديثا من
نوع آخر يعبر عن فئة أخرى من الشبان غير الفئة التي يصادقها
عادل من شبان الشاطئ ..
ثم يسأله السمين :
– حاتسهر فين يا عادل الليلة ..
ويقول في مرح :
– حاقعد على سور الكورنيش وأدلدل رجلى ..
ويقول السمين :
– لا .. الليلة بلاش دلدة .. تسهر معنا ..
ويقول عادل :
– وماله .. نسهر معاكم ..
ويتفقون أن يمرؤا عليه بالسيارة الساعة التاسعة في مكان

وعادل يضحك ضحكات عصبية ، ويحاول أن يندمج معهم ، بل انه يشاركهم في شتيمة الناس المارين ، ولكن يبدو عليه دائما الافتعال ..

وأخيرا يذهبون الى بار .. ويحتسون الويسكى .. ويلحون على عادل حتى يشرب .. ولكنه لا يشرب الا كأسا واحدة .. بتقزز .. الكأس الأولى في حياته .. ويلج عليه الشاب القصير ان يشرب الكأس الثانية .. ولكن السمين يقول له :

— سييه على راحتته .. شوية شوية .. الواحد ما بيكبرش مرة واحدة .. هو يدوبك دلوقتي في ثانية روضة .. ويرد الرفيع ..

— ثانية ويسكى ..

ها .. ها .. ها ..

وبعد أن ينتهوا من البار .. يركبون السيارة ، ويقودونها أكثر جنونا .. وبعد أن يطوفوا بالكورنيش من أوله الى آخره .. يذهبون الى كباريه مونت كارلو ..

وهي المرة الأولى التي يدخل فيها عادل كباريه ..

وتصيبه رهبة ، ودهشة ، وتمتلىء عيناه بالتطلع المثير .. ولكنه يحاول أن يخفي رهبته ودهشته .. يحاول أن يبدو شابا كبيرا .. ويسير وراء زملائه يحاول أن يقلدهم .. في مشيتهم .. وفي مداعباتهم .. وفي ضحكاتهم ..

ويرحب الجارسونات والراقصات بالشباب السمين ترحيبا كبيرا .. ثم يجاسون حول مائدة ، وتلتف حولهم الراقصات .. وتفتح زجاجات الويسكى والشمبانيا .. وصخب .. وضحك مخمور ..

ويحاول عادل أن يندمج في هذا الجو الجديد .. ولكنه يتعب

معين على الكورنيش .. ويعود عادل الى الكابين فتلطشه البيرة التي شربها وينام ولا يذهب الى الشاطيء بعد الغداء كعادته .. ويقوم عادل من النوم في المساء متعجبا كيف نام طول هذا الوقت ..

يرتدى عادل حلته الكاملة .. ويكتشف أن وزنه زاد واكتنزت عنقه بحيث ضاقت عليها ياقة القميص .. ورغم ذلك يتحمل الضغط ويربط الكرافتة حول عنقه وهو متضايق ..

ويقابل على الكورنيش صديقه ياقوت ، ويسأله أين هو ذاهب ، وعندما يعلم انه سيسهر مع شلة السمين يقول له :

— دول عيال سفلة ، سيبك منهم ..

ويقول عادل :

— دول دمهم خفيف .. ما يبطلوش نكت ..

ويقول ياقوت :

— ايه اللي حشرك فيهم دول ..

ويقول عادل :

— ما هو الواحد لازم يجرب كل حاجة .. يجرب السافل ، يجرب الخيابين الى زينا ..

ثم يترك صديقه ، ويقف في انتظار الشلة .. وينتظر طويلا حتى يكاد يئأس .. هذا الانتظار يضعف مقاومته ..

ثم تأتي الشلة في سيارة يقودها الرفيع الطويل ، بسرعة جنونية ، وينطلق بها نحو عادل حتى كاد يدهسه ..

وتضحك الشلة لارتباك عادل ..

ثم يركب معهم ، ويقود السيارة بسرعة ، وهو يعاكس باقي السيارات ، ويعاكس البنات ، وزملاؤه يشتمون الناس المارين في الطريق ، كما يفعل الشباب المستهتر ..

من محاولته .. ويكتفى بالتفرج .. ثم يبدأ الضيق يملأ صدره .. وياقة قميصه تزداد ضغطاً على عنقه .. في انتظار أن تنتهى الليلة .. وقد انصرف عنه زملاؤه الى لهوهم مع الراقصات .. نسوه ..

وكانت هناك راقصة ترقبه منذ رآته .. ترقبه عندما كان يحاول أن يندمج مع أصدقائه .. وترقبه عندما بدأ يكتفى بالتفرج عليهم .. وترقبه عندما بدأ الضيق يزحف عليه .. انها فردوس ..

راقصة فى الخامسة والثلاثين من عمرها .. أكبر من عادل كثيراً .. وأطول منه فى جسدها .. ويبدو عليها أنهم .. عينها نهمتان .. شفهاها نهمتان .. وتبدو قوية فى شخصيتها بين زميلاتها .. ذكية ذكاء خطراً ..

وفجأة تقوم فردوس من مكانها ، وتقترب من عادل ، وتقول له ببساطة وفى لهجة حازمة كأنها تعرف كيف تعامل الشبان السذج :

– تعال ..

ويرفع اليها عادل عينيه متسائلاً .. فتعود تردد :

– تعال معاً ..

ويقول عادل فى سداجة بعد أن تعب من ادعاء أنه يعرف هذا الجو :

– فين ؟

وتقول فردوس وهى تسير كأنها واثقة أنه سيسير وراءها :

– تعال بس .. مالكش دعوة ..

ويقوم عادل وراءها وهو يهز كتفيه ..

ويلمحه صديقه الرفيع الطويل فيصيح وراءه :

– حلال عليك يا عم ..

ثم تتركه الشلة كلها مندفعة فى لهوها .. وتفقد فردوس عادل الى مائدة منعزلة ، ويجلس عادل قبالها .. ويندفع اليها الجارسون بسرعة ، فترفع اليه فردوس رأسها وتقول ببساطة :

– كوب ..

ثم تسأل عادل فى حنان مفتعل :

– انت فيه حاجة مضايك ؟

ويقول عادل :

– ايوه .. الكرافة .. الياقة حتخنقنى ..

وتقول فردوس :

– ومستننى ايه .. ماتقلعها .. فك الياقة ..

ويقول عادل :

– صحيح ، انا مستننى ايه ..

وتقول فردوس :

– هات انا أفك لك الياقة ..

ثم تميل عليه ، وتترك شعرها ينسدل على عينيه ، وأنفاسها تلمح وجهه .. وتفك ياقة قميصه .. وتنبهر أنفاس عادل ، ويحتقن وجهه .. ويقول وفردوس تعود الى جلستها :

– يظهر انى لازم اقلع الجاكته كمان ..

وتقول فردوس ضاحكة :

– وماله .. اقلع ..

ويهم عادل بأن يخلع الجاكته ، ولكنه يعود ويعدل عن خلعها . وتكتشف فردوس بذكائها أنها هذه أول مرة يدخل فيها الى كباره .. تكتشف سداجته .. ثم تختار له الحديث الذى يستطيع أن يندفع فيه .. حديث الكلية .. والرياضة . ونوأدره

مع أصدقائه .. وتعرض عليه أن يشرب ويسكى ، ولكنه يرفض ،
فلا تلح عليه .. ويندفع عادل في الحديث بكل حماسة ، دون أن
يلاحظ أن فردوس تطالب من الجرسون كل بضع دقائق « كوب »
ولا يلاحظ أن بائع الفستق وضع أمامه عدة أطباق .. وبائع
السجائر وضع أمام فردوس علبة .. وبائع الشيكولاتة .. واللبن
.. و .. و ..

وينتهي الليل ..

تشطيب ..

ويتقدم الجرسون بالحساب الى عادل .. ثمانية جنيهات .
وينظر عادل في الفاتورة بغياء .. ويسأل الجرسون :

– ايه ده لأ ..

ويقول الجرسون :

– الحساب ..

ويقول عادل في هلع :

– بس أنا ما طلبتش حاجة ..

ويقول الجرسون :

– الست طلبت ..

ويقول عادل وهو يكاد يبكي :

– وأنا مالي .. أنا ما أعرفش ..

ويستعد الجرسون للمعركة ، ولكن فردوس توقعه ، وتهمس
لعادل :

– انت ما معكش فلوس ؟ ..

ويقول عادل :

– معايا زيال ..

وتقول فردوس :

– ما تقدرش تطلب من أصحابك ؟

ويقول عادل :

– ما أقدرش .. دي أول مرة أسهر معاهم .. مش أصحابي
قوى ..

وتقول فردوس وهى تقوم من على مقعدها :

– طيب استناني هنا ..

وتقوم ، وتجمع من على المائدة علبة السجائر ، والشيكولاته ،
واللعبة .. ثم تأخذ الجرسون بعيدا وتهمس في أذنه :

– قيد الحساب على ..

ثم تلتفت الى عادل وتقول :

– اوعى تقوم .. خليك قاعد ما تتحركش ..

ويهرع عادل رأسه مستسلما ..

وتبتعد فردوس ، وفي طريقها تعيد علبة السجائر الى بائع
السجائر ، وعلبة الشيكولاته الى بائعها ، واللعبة الى بائعها ..

وتهمس لبائع الفستق أن يطالبها بحسابه ..

ثم تلتقى ببقية الشلة وهم خارجون من الكباريه ومعهم
مجموعة من الراقصات ..

ويسألها السمين :

– فين عادل ..

وتقول فردوس :

– روحوا انتم ..

ويفهمه الرفيع :

– حلال عليكى .. والله الواد علق ..

ويقول السمين :

– خدى بالك منه ده لسه بخيره ..

وتدخل فردوس الى غرفة اللبس ، وتغير ملابسها .. ثم تعود ..
والصالة قد أفرغت زبائنها .. والجرسونات يجمعون الكراسي ..
وعادل جالس وحيدا على مائدته كأنه سمر في مكانه .. ضائع ..
حائر .. حزين ..

وتقترب منه فردوس وتقول له في حزم ، أقرب الى الأمر ،
تخفيه تحت ابتسامتها ..
- تعال ..

وتسير في خطوات قوية .. ويسير وراءها في خطوات مرتبكة .
ويخرجان من الكباريه ..
وتهم فردوس بركوب سيارتها الصغيرة ، ويقف عادل مترددا
ثم يقول :

- عن اذنك .. مع السلامة .. تصبحى على خير ..
وتنظر اليه فردوس في دهشة كأنها لم تكن تتصور أنه ساذج
الى هذا الحد ، ثم تقول له وهي تنظر في عينيه :

- اركب ..
ويقول عادل متلعثما :
- بس أنا لازم أروح ..
وتقول فردوس بتهكم :
- خايف من ماما ؟
ويرفع عادل رأسه كأنه يدافع عن رجولته ، ويقول :
- أنا قاعد لوحدى ..
وتقول فردوس :

- طيب اركب .. اركب .. احنا لسا ماتحاسبناش ..
ويركب عادل بجانبها في السيارة ، ويقول :
- احنا رايجين فين ؟

وتقول فردوس وهي تلتصق به وتضع يدها على ساقه :

- على البيت ..
ويصلان الى بيت فردوس . شقة في احدى عمارات الشاطبي
.. وتفتح فردوس الشقة بمفتاحها .. وتجلس مع عادل في
الصالون ، قائلة :

- اشرب ويسكى ؟
ويقول عادل في ارتباك ، وهو ينظر حوله نظرات خجولة
مبهورة :

- لا .. متشكر ..
وتقول فردوس :
- احسن ..
وتدخل سيدة عجوز تفرك عينيها لتزيح عنهما النوم ، وتقول
لفردوس :

- ستى .. وكيل صاحب العمارة جه النهارده وعازب الأجرة
.. وبيقول ..

وتقاطعها فردوس قائلة :
- مش وقته .. روحى انتى نامى ..
وتعود أم نبوية تقول :
- ده احنا متأخرين على الأجرة شهرين يا ستى .. والراجل
له حق .. ولو ندفع له أجرة شهر . تمتاشر جنيه بس ..

وتشغل فيها فردوس :
- بقولك مش وقته ..
وتخرج أم نبوية ..
ثم لا تلبث أن تعود وتقف عند باب الصالون قائلة :
- ستى .. والنبي قبل ما تنامى تسبيلى خمسة جنيه علشان

— أبدا مش ممكن أسيبك .. بس لازم أروح الكابين علشان
 تير هدومي .. و ..
 وتقاطعه فردوس :
 — أروح معاك .. ونجيب هدومك هنا ..
 ويقول عادل :
 — وأقعد هنا على طول ؟
 وترد فردوس وهي تدعى الأسي :
 — احنا مش اتفقنا على كده .. أنا قاعدة لوحدي .. ولا
 نستعر انك تقعد مع واحدة رقاصة ؟
 ويقول عادل :
 — أبدا .. أبدا ..
 ويخرج عادل من حجرة النوم في الساعة الواحدة بعد الظهر ،
 ويفاجأ برجل طويل رفيع ممصوص الوجه أصفر اللون ، يرتدى
 جلباب من السكروتة ، جالسا في الصالة ..
 وينظر اليه عادل في هلع ، وتسرع فردوس قائلة :
 — ده أخويا خميس .. قاعد يومين عندي يصيف ..
 ثم تستطرد في قسوة :
 — أصله عيان .. عنده القلب ..
 ويهز عادل رأسه ويحيى خميس في صمت ..
 ويقول خميس دون أن يتحرك من مكانه :
 — صباح الخير يافردوس .. صباح الخير ياسيدنا الافندى .
 ويظل عادل واقفا مرتبكا ينقل عينيه بين فردوس وخميس .
 وتقول فردوس :
 — ولا يهملك منه ..

أقوم الصبح بدرى أذفع حساب الجزار ، وبتاع اللبن ، والمكوجى
 .. و ..

وتقاطعها فردوس صارخة :
 — بأقولك مش وقته ..
 فتخرج أم نبوية .. وتلتفت فردوس الى عادل قائلة :
 — الولية دى مجننانى .. انما أعمل ايه هى الحاجة الوحيدة
 اللى ورثتها من بابا ..
 وعادل لا يزال جالسا مرتبكا ..

وتبدأ فردوس تقص عليه قصتها .. قصة مختلفة .. وكيف
 أنها كانت طالبة في المدرسة الثانوية ، وماتت أمها وهي صغيرة ..
 وأحبت رجلا أكبر منها بكثير .. وخدعها .. ولم يتزوجها .. ثم
 هربت من بيتها ، ومات أبوها حسرة عليها .. واضطرت أن
 تحترف الرقص .. وانها وحيدة ، ليس لها أحد في الدنيا ..
 ويصدقها عادل .. ويخفق قلبه حسرة عليها .. ثم تقترب
 منه .. ودموع كاذبه في عينيها .. ويربت عليها .. ثم تقبله .
 ويرتبك عادل في قلبها .. ثم ينطلق ..
 وكانت فردوس هي أول امرأة في حياة عادل ..

ويقوم عادل في الصباح سعيدا بالعالم الجديد الذى اكتشفه
 .. منطلقا فيه بكل شبابه البكر .. وفردوس سعيدة باقباله عليها ،
 تشبع به نهمها ..

ثم يتذكر عادل أنه يجب أن يعود الى الكابين ، وتقول فردوس
 وهي لا تزال معه في الفراش :

— حاتسبنى .. أنا عارفة أنك حاتسبنى زى بقية الرجالة .
 ويقول لها عادل :

ثم تشير له على الحمام ..

ويخرج عادل من الحمام ويرتدى ثيابه ويجلس يتناول طعام الافطار ، هو وفردوس وحدهما ، وخميس جالس في مكانه يطل عليهما ..

وتصر فردوس أن يأكل عادل كثيرا ، وأن يشرب اللبن ..
- اشرب .. ده كويس علشانك ..

ثم يقومان ويخرجان سويا .. ويذهبان الى الكراج .. وتقول فردوس لعادل :
- سوق انت ..

ويقول عادل فرحا بالسيارة :

- أنا عمري ما كان عندي عربية .. انما اتعلمت على عربيات أصحابي ..

وتقول فردوس وهي تنظر اليه كأنها عرفت كيف تشده أكثر اليها :

- طيب وريني بتسوق ازاي علشان أطمئن ..

ويجلس في مقعد القيادة ، وتجلس بجانبه ، ويقود السيارة الصغيرة على طريق الكورنيش وهو يكاد يطير من الفرح .. ويقول لفردوس :

- ده لو ياقوت ولا سامي شافوني دلوقتى ، حايطمقوا من الغيظ ..

وعندما يصلان الى سيدى بشر ، يلمحه ياقوت فعلا ، ولكن عادل لا يلمحه .. ويقف ياقوت مندهشا ..

وتذهب فردوس وعادل الى الكابين .. وتصر فردوس على أن يجمع كل ثيابه وتضعها بنفسها في حقيبته ، ثم يحملها الى

.. ويلحق بهما شيخ العرب عمران .. ويسأله وهو ينظر الى فردوس في استنكار :

- على فين يا عادل .. مسافر ولا فيه ؟
ويقول عادل :

- لا .. دى رحلة صغيرة .. وراجع ..
ثم ينطلق بالسيارة ..

وتخرج من « الخيشة » بنتا الحاج عمران ، وتجريان وراء السيارة ، وهما تصيحان :

- عادل .. عادل ..
ولكن عادل لا يقف ..

ويعود مع فردوس الى بيتها ..
وفي المساء تقول فردوس لعادل :

- أنا نازلة الشغل .. وانت ابقى انزل على مهلك ، وحصلنى على الصالة ..

ثم تفتح حقيبتها وتعطيه خمسة جنيهات .. ويحمر وجه عادل .. ويقول في تردد :

- ايه دول ..
وترد فردوس :

- يمكن تعوز حاجة .. وبعدين نتحاسب ..
ويقول عادل :

- لا .. أنا معايا فلوس ..
وتقول فردوس :

- ما تبقاش عبيط .. ما انت حاتيجى الصالة ، وتفتحلى .
وتدفع من الخمسة جنيه .. وآخر الليل باخدمهم من صاحب الصالة تانى ..

وهكذا الى ان تنتهى الليلة .. ويعود معها الى البيت ، وهو يقود السيارة ..

ويندفع عادل فى حياته مع فردوس .. مفرورا بشبابه .. مزهوا بالعالم الجديد الذى اكتشفه .. معتقدا أنه قد كبر وأصبح رجلا .. ومعتقدا أنه يأخذ من فردوس أكثر مما تأخذه منه .. فرحا بالسيارة التى يقودها .. وفى كل مساء تعطيه خمسة جنيهات ، يخسر منها اثنين لخميس .. ويدخن معه سيجارة .. ويذهب الى الصالة ليعود بفردوس ..

وبعد أربعة أيام يفاجأ عادل بدخول ياقوت الى الصالة .. ويقول له وهو متجهم الوجه :

– انت فين .. كل يوم أفوت عليك فى الكابين مالقكش .. ويقول له عادل فى فرح :

– اسكت يا بنى .. أما وقعت حته وقعة ..

ويبدأ عادل يروى لياقوت علاقته بفردوس ، مزهوا ، فرحا ، وياقوت متجهم الوجه .. ينظر اليه فى احتقار ، ثم يقول :

– الناس كلها عارفة حكايتك يا عادل .. وبيتكأموا عليك .. ويقول عادل :

– يقولوا ايه ؟

ويقول ياقوت :

– يقولوا ان واحدة رقاصة ضحكت عليك ..

ويقول عادل :

– ضحكت عليه ليه .. واحدة زى دى تعرفنى ليه .. علشان

فلوسى ؟ .. ولا علشان أبويا باشا ؟ .. ولا علشان رقاصة ؟ .. دى

أشرف من أى واحدة .. أنا مكنتش مصدق أن فيه واحدة تحب

للدرجة دى ..

ويقول عادل :

– ولازم أفتح لك ؟ ..

وتقول فردوس :

– الأصول ..

وتخرج فردوس .. ويبقى عادل فى البيت مع خميس .. ويقترح عليه خميس أن يلعبا كوتشينة ، ويوافق عادل .. ويلعبان الكومى .. ويخسر عادل .. ويلاحظ عادل أن خميس يغش فى اللعب .. ولكنه لا يتكلم خوفا .. ويظل عادل يخسر حتى تبلغ خسارته جنيهين يدفعهما من الخمسة الجنيهات التى أخذها من فردوس ...

وأثناء اللعب يقدم خميس لعادل سيجارة يلاحظ أنها غريبة ، ويقول عادل :

– ايه ده ..

ويقول خميس :

– اشرب .. انت خلاص دخلت فى الجو ..

ويشرب عادل محرجا أمام خميس ..

وعندما يذهب عادل الى الصالة يجد فردوس جالسة مع بعض

الزبائن .. فيجلس الى البار .. ويشرب كأسا من الويسكى ..

ثم تترك فردوس زبائنها وتأتى اليه .. وتطلب كوب .. ويقول

عادل :

– ما تطليش كثير ، أحسن خسرت لأخوكى فى الكوتشينة

اتنين جنيه من الخمسة ..

وتضحك فردوس قائلة :

– ولا يهمك ..

وتجلس معه قليلا ثم تعود الى زبائنها .. ثم تذهب اليه ..

ويقول ياقوت في هدوء :

– وآمال بتسأل عليك ..

ويسكت عادل فجأة .. ثم يقول كأنه يقنع نفسه :

– آمال لسه صغيرة .. ما تنفعلش الا للجواز .. وأنا ما

أقدرش أستنى لغاية ما أتجوز .. وهى ما تقدرش تستنى لغاية
ما أقدر أتجوزها ..

وينظر اليه ياقوت في شفقة ويقول :

– انت مش بتاع الجو ده يا عادل .. تسمح تقول لى مين

عايش فى الصالات ؟

ويقاطعه عادل فى عصبية :

– أنا مش عايش فى الصالة .. مابجيش أصرف فلوسى وأسكر

.. انما فيه واحدة حبتنى .. ولو كانت حبتك انت كان زمانك

بتعمل زىي .. انما للأسف انها ما بتحبكش انت .. ولا بتحبش

واحد تانى من الشلة .. بتحبنى أنا .. وكلكم حاسدنى .. كلكم

غير انين منى ..

ويسكت ياقوت ، ويخرج من جيبه خطابا يعطيه لعادل :

– ده جواب جالك من ثلاث أيام .. وكنت بادور عليك عاشان

أديه لك ..

ويأخذ عادل الخطاب ويضعه على مائدة البار ..

وكل ذلك ، وعينا فردوس ترقبان عادل وياقوت ، وهى

جالسة مع بعض الزبائن ، ثم تقوم فجأة كأنها أحست بالخطر أن

يضيع منها عادل ، ثم تقترب منهما .. ويقدمها عادل لياقوت ..

ويهز ياقوت رأسه لها دون أن يصافحها .. ثم يقوم واقفا :

– عن اذنك .. أنا ماشى بقى ..

ويقول عادل :

– استنى لما تشرب كاس ..

ويقول ياقوت وهو ينظر اليه فى احتقار :

– انت عارف انى ماباشربش .. واللى أعرفه ان ما معكش

حق الكاس ..

وينصرف ..

ويقول عادل لفردوس :

– ده واحد صاحبى دمه ثقيل .. عامل نفسه جد ..

ولكن عادل يصبح فى حالة عصبية .. ويشرب .. ويشرب ..

لأول مرة يشرب الى حد السكر .. حتى تضطر فردوس أن تسنده

وهما خارجان ..

ويكون الخطاب قد وقع من فوق البار على الأرض ، تدوسه

الأقدام ..

عائلة عادل فى القاهرة ..

أفراد العائلة فى حالة قلق لانقطاع أخبار عادل ..

الأم تقول :

– ده بقاله خمس أيام مابعتش جواب .. ولا رد علينا ..

دى مش عادته .. أنا مش مطمئة .. يكون عيان ولا جرى له حاجة .

والأخت تقول :

– تسمحنى تقولى لى بيعت لنا ليه .. واحد بيتفسح ، ونازل

تنطيط على البلاج .. ايه اللى يخليه يفكر فى الغلابة اللى قاعدن

فى جهنم اللى اسمها مصر ..

ويقول الأب وهو يفتعل ضحكة :

– أنا مطمئن .. ما دام ما بعشش ببقى فلوسه ما خلصتتش ..

وتقول الأم :

– أنا مش مطمئة .. مش قادرة أطمئن ..

ويرد الأب :

— يا شيخه .. تلاقيه يمكن طلع رحلة لمرسى مطروح ولا حاجة .. ده أنا لما كنت فى سنه ، ما كنتش أقعد فى الأجازة فى حتة واحدة أبدا .. وهو مزما عدل ، حاييجى ايه فى اللى عملته أنا .. ده أنا كنت أبقي عايش مع أبويا فى بيت واحد .. وماشفوش الا فى الجمعة مرة .. من شقاوتى ..

وعادل منطلق الى آخره فى حياته مع فردوس ..

وقد بدأ يشعر بالانهاك .. والانهاك يضطره الى أن يقبل على الخمر .. وبدأ يطلب من خميس السجائر الفريية قبل أن يقدمها اليه .. وبدأت تنتابه لحظات حزن وزهق ..

وفى يوم قالت له فردوس انها دعت أحد أصدقائها الى الغداء عندها .. وأكدت له أنه رجل كبير فى السن .. يقدم لها خدمات كثيرة .. وينظر اليها عادل فى ذهول ، ويقول :

— يعنى أطلع أنا من البيت ولا ايه ؟ ..

وتقول له :

— بالعكس .. لازم تفضل قاعد علشان تصدق ان ما فيش

بينى وبينه حاجة .. واذا كنت مش عايز بلاش نعزمه خالص ..

انت الراجل روانت حر فى البيت .. بس والنبي ده راجل خدمنى

كثير ، ويحبنى زى بنته .. أصله يعرفنا من أيام بابا ..

ويرضى عادل ..

ويأتى الرجل .. رجل كبير فى السن .. متصابى .. من رواد

الصلوات .. وتستقبله فردوس فى الصالون ، ثم يدخل اليها عادل

.. مرتبكا .. حائرا .. عيناه مليئتان بالشكوك ..

وتقدمه فردوس للرجل :

— صلاح .. أخويا الصغير ..

ويذهل عادل ولكنه يسكت ..

ويقول الرجل :

— مفهوم .. ده شبهك تمام .. سبحان الخالق الناطق ..

وتدخل أم نبوية لتقول :

— ستى .. وكيل صاحب العمارة عايز الأجرة .. يقول ان.

ويقول الرجل المتصابى كأنه تعود على هذه الحركات :

— أما راجل قليل الذوق صحيح .. حد يطلب أجرة من

فردوس .. والأجرة دى تبقى كام ..

وترد أم نبوية :

— تمتاشر جنيه .. وله شهرين متأخرين ..

وتقول فردوس :

— يا ولية بلاش فضائح ..

ويضع الرجل المتصابى يده فى جيبه ويخرج عشرين جنيها ،

ويعطياها لأم نبوية قائلا :

— خدى دول سكتيه بيهم ..

وتأخذ أم نبوية الفلوس ، وفردوس تقول :

— والنبي أنا مكسوفة منك قوى يا حامد بيه ..

ثم تدخل أم نبوية وتقول :

— ستى .. البقال عايز الحساب .. خمسة جنيه بس ..

ويخرج الرجل المعجوز اثنين جنيه ، صامتا .. يعطيهم لنبوية

وهو ساكت ..

وعادل يرقب كل هذا ..

ويسكت ..

وبدأ يفهم حياة فردوس .. بدأ يستقبل معها زبائن الصالة

ساعة الغداء .. وكل منهم يدفع أيجار الشقة وحساب البقال

بنفس الطريقة .. ولكن فردوس كانت حريصة فعلا على الا يكون بينها وبين أحد منهم علاقة أكثر من تناول الغداء ، والخمر ، ولعب الورق ..

وعادل ساكت ..

وعرف أيضا أن أم نبوية هي أم فردوس .. وأن فردوس هي نبوية ذاتها ..

ولكن الانهالك بدأ يتغلب عليه .. وفردوس تغذيه بالمقويات .. تفاح مغموس في كوب اللبن في الصباح .. وفراخ مهموكة في الظهر .. و .. و .. ويسكر .. ويدخن الحشيش .. وتزداد فترات حزنه .. وفترات يثور فيها على نفسه .. وفترات يثور فيها على فردوس .. وضربها مرة .. واستسلمت فردوس لضرباته .. رغم أنها أقوى منه .. وأما تفرح لأنه يضربها ، تقول له :

— تسلم ايدك ..

وبدأ عادل يقاوم ضعفه ليهرب من هذا البيت .. وتشاجر مرة مع شقيق فردوس بعد أن ذهبت الى الصالة .. وخرج من البيت صارخا بأنه لن يعود .. ويدور في شوارع الاسكندرية .. ثم يدخل حانة ويخرج منها ليدخل حانة أخرى .. وفي آخر الليل يكون ضعفه قد غلبه ، فيذهب الى الصالة ليعود مع فردوس .. ويعود الى البيت الذى أحس فيه برجولة زائفة .. البيت الملوث الذى أقنعتة فردوس انه سيده ..

وهو كلما أزداد ضعفا ، وازداد احساسا بفداحة الثمن الذى يدفعه الفردوس من شبابه ومن مستقبله ، ازداد حنينا الى حياته قبل أن يعرف فردوس .. الى أصدقائه .. الى آمال حبيبته .. الى انطلاقه ..

وفي يوم يخرج من البيت في الظهر مع فردوس ، ويوصلها

بالسيارة الى الصالة لتتشارك في البروفة ، ثم يقود السيارة الى ساطيء ميامى .. ويلمح ثلاثة من أصدقائه واقفين على الكورنيش ، ويلمحه أصدقاؤه ولكنهم يرتظاهرون بأنهم لم يروه ..

ويوقف عادل السيارة قريبا منهم ، وينزل منها ، ثم يتقدم اليهم ماذا يده وبين شفثيه ابتسامة كبيرة .. ويكف الأصدقاء عن حديثهم مرة واحدة ، ويصافحونه في برود ، ثم يقفون دون أن يوجه اليه أحدهم كلمة واحدة .. ثم يقول واحد منهم :

— عن أذنكم .. أنا ماشى بقى ..

ويقول الثانى :

— خدنى معاك ..

ويقول الثالث :

— عن أذنك يا عادل .. استنوا يا جماعة ..

ويفهم عادل أن أصدقاءه يهربون منه ..

ويهب كتفيه كأنه لا يبالي ، ثم ينزل الى الشاطيء وكلما مر بأحد أصدقائه تشاغل الصديق عنه ، ثم يقف امام اثنين من أصدقائه يلعبان « الراكب » ويقول لأحدهم وهو يفتعل ضحكة :

— انت لسه بتلعب وحش زى ما كنت .. هات أوريك اللعب

يبقى ازاي .

ويلقى له الصديق المضرب على الأرض ..

ويلتقطه عادل ، ويهم بأن يلعب الزميل الآخر .. ويقذف ا

الزميل بالكرة ، فيعجز عادل عن التقاطها ويقع من ضعفه وهزا

على الأرض .. فيلقى الزميل مضربه ، وينظر الى عادل في احتقار

ثم يقول :

— آسف مش حاقدر اللعب .. تعبت ..

ويترك عادل واقعا على الأرض ..

ويقوم عادل وهو ينظر الى صديقه في حقد وغيظ .. ثم يسير على الشاطئء باحثا عن آمال .. ويجدها ويقف امامها ينظر اليها وبين شفثيه ابتسامه مرتعشة .. وتتنظر اليه طويلا كأنها تحاول أن تتعرف عليه من جديد .. ثم تدير ظهرها له وتبتعد .. ويلحقها .. وهو يناديها في استجداء .. وبعد أن تسير طويلا ، تلتفت اليه فجأة ، قائلة وهي ترتعش: - أظن ما بقاش فيه كلام بينى وبينك .. ويقول عادل وعيناه تستغيثان بها : - ليه يا آمال .. وترد عليه بعصبية : - مش عارف ليه .. البلاج كله عارف حكايتهك .. ويقول عادل : - أنا ماليش حكاية .. ما عملتش أكثر من اللى بيعمله أى شاب .. وتقول آمال وهي لا تزال ترتعش وكأنها تصفعه : - مش كل شاب يرضى أنه يعيش مع واحدة رقاصة .. ويقول عادل : - اللى بتديه لى الرقاصة ما تقدريش انت تديه لى .. وتصرخ آمال : - اللى ماقدرش أديه لك ، مايصحش تأخذه من واحدة ثانية حتى لو كانت رقاصة .. ثم تنهمر دموعها ، وتجرى من أمامه .. ويقف عادل واجما .. عيناه حزيتان .. شفثاه حزيتان ترتعشان بدموع محبوسة صامتة .. ثم يسير منهارا الى أن يلتقى بياقوت ، فيقف قبالة قائلا :

- انت كمان مقاطعنى ؟
ويقول ياقوت :
- انا مش مقاطعك بس كل واحد فينا ماشى فى ناحية ..
ويقول عادل :
- يعنى ايه ؟
ويقول ياقوت :
- يعنى أنا ناوى اطلع مهندس .. وانت ناوى تشتغل فى كباره ..
ويصرخ عادل :
- انا مش ناوى اشتغل فى كباره .. انتم كلكم غايرانين منى .. و ..
ويرد عليه ياقوت فى هدوء :
- اللى اتصرف عليه واحدة رقاصة يبقى يشتغل فى كباره .
ويصرخ عادل :
- بتصرف عليه يعنى ايه .. يعنى كنت عايزنى أبقى مغفل أنا اللى أصرف عليها ..
- انت مسكين يا عادل .. ماكنتش فاكر انك تتغير للدرجة دى ..
ثم يتركه ويتبعد ..
ويجرى عادل فى عصبية ويركب سيارة فردوس ، وينطلق الى أقرب بار ويشرب .. الى أن يسكر .. ويكون موعد انتهاء البروفة قد فات ، فلا يعود لمصاحبة فردوس بل يذهب الى البيت مباشرة ، تستقبله فردوس وهو يترنح امامها ، وتقول فى حزم :
- كنت فين ؟
ويقول عادل ولسانه يترنح بين شفثيه :

– كنت مع أصحابي بتوع زمان ..
وتقول فردوس :

– وأصحابك هم اللي سكروك وبهدلوك بالشكل ده ..
ويقول عادل وهو يضحك ضحكة مخمورة :
– أصحابي بيقولوا انك بتصرفى على ..
وتقول فردوس فى جزع :

– أنا مابصرفش عليك يا عادل .. اللي معايا معاك .. وبكره
تتخرج وتبقى مهندس وتجبب دهب ، وكل اللي تجيبه يبقى بتاعنا
احنا الاثنين ..

ويضحك عادل ضحكة هستيرية مجنونة .. فتجذبه فردوس
من يده فى رفق وترفده بجانبها على السرير وتقول له وهى تربت
عليه فى حنو :

– انت عارف يا عادل انى باحبك .. ومن يوم ما عرفتك
ما فيش حد حط ايده على .. باحبك يا عادل ..
.. و .. و ..

وتكون الخمرة قد تقلبت على عادل فنام دون أن يعى كلام
فردوس .. وتنحنى عليه وتقبله فى حنان .. وتغطيه ، وتتركه
نائما ..

ويستيقظ عادل من النوم فى المساء .. صامتا .. تائها ..
وفردوس تهم بمفادرة البيت الى الصالة ، وتقول له :
– حاجتى الصالة ؟

ويبهز عادل رأسه بالايجاب ..
وتقول :

– أسيب لك العربية ..
ويقول :

– لا .. خديها أنتى ..

وتخرج فردوس .. ويقوم عادل ويدخل الحمام ويقف تحت
الدوش وهو واجم .. ثم يخرج ويرتدى ثيابه .. ويضع يده فى
جيب الجاكتة فيجد أن فردوس قد تركت له خمسة جنيهات ..
فيهز كتفه فى قرف .. ثم يجلس مع أخيها يلعبه الكوتشينة
ويخسر له اثنين جنيهه ، ويشرب معه سيجارة حشيش .. ثم يلقي
له بالاثنين جنيهه قبل أن يتم اللعب ..

– خد .. بدل ما تتعبنى ..

ثم يخرج من البيت ، ويذهب الى حانة فى محطة الرمل تعود
أن يتردد عليها .. ويسكر .. ومعه بعض الشبان ممن تعودوا
التردد على صالة فردوس .. وعادل يسكر فى حزنه .. ويقول فى
سكره كلاما يعبر عن ثورته على نفسه ، وعلى الوضع الذى يعيش
فيه .. وفى آخر الليل يخرج من الحانة ويركب سيارة أحد هؤلاء
الشبان ، ويسأله الشاب ..

– مش رايح لفردوس ..؟

ويقول عادل وهو يترشح :

– لا .. رايح بيتنا ..

ويقول الشاب :

– بيتكم فين ؟

ويقول عادل :

– فى مصر .. أنا مسافر مصر .. دالوقتى حالا .. ودينى
على المحطة ..

ويقول الصديق :

– بس القطارات خلصت .. ما فيش قطر الا بكره الصبح .

ويقول عادل :

— أنا اتأخرت قوى على بابا .. ده كان لازم أرجع من عشرين

..

وتقول فردوس وهى تنظر أمامها :

— ابعث له جواب قول له انك حتشأخر كمان ..

ويقول عادل كأنه يحادث نفسه :

— مهما تأخرت لازم أرجع له ..

وتقول فردوس فى ثقة :

— لا .. مش لازم .. انت بقيت راجل ..

ويقول عادل كأنه يرد على شبح يحادثه :

— والكلية ؟

وتقول فردوس :

— وماله .. تروح الكلية وانت برضه معايا .. كل اللي انت

محتاج اله يتعمل ..

وفى البيت .. يجلس عادل ليكتب خطابا ..

وتقول فردوس وهى راقدة فى الفراش :

— بتعمل ايه ..؟

ويقول عادل :

— باكتب جواب لبابا ..

ويكتب « والدى العزيز » .. ثم يلقي بالقلم قائلا :

— ولا بلاش .. مالوش لازمة ..

ثم يلقي بنفسه بين أحضان فردوس ، وهو يقول :

— أنا خلاص اتسمت .. اتسمت بيكى ..

وتأخذه فردوس بين ذراعيها فى نهم ..

ودينى المحطة استنى لبكره الصبح ..

ويعجز الشاب عن أن يثنى عادل عن عزمه فيحمله الى محطة
السكة الحديد ، ويتركه هناك ، ثم يذهب الى الصالة ..

وقبل التشطيب تكون فردوس فى قلق وهى منتظرة عادل ..
ثم تسأل عنه الشاب صاحب السيارة ، فيقول لها انه أوصله الى
المحطة وانه سمعه يقول انه سينتظر هناك الى أن يركب أول قطار
الى مصر ..

وتجربى فردوس خارج الصالة ، وتركب سيارتها ، وتذهب
الى المحطة ، وتبحث عن عادل وهى كالمجنونة الى أن تجده نائما على
دكة خشبية من دكك المحطة .. فتهدأ .. وتسترد قوة شخصيتها
.. ثم تهزه بيدها فى رفق لتوقظه من النوم ..

— عادل .. عادل ..

ويفتح عادل عينيه ، وينظر اليها :

— انتى ..؟

ثم يحاول أن يغمض عينيه مرة أخرى .. ولكنها تعود وتوقظه،
وهى تقول فى حزم :

— قوم روح على البيت ..

ويفتح عادل عينيه مرة ثانية .. وتدوب شخصيته أمام قوة
شخصيتها ، والتعب والارهاق يبدوان فى عينيه ، ويقول وهو
نصف سكران :

— أنا بيتى فى مصر ..

وتقول فردوس :

— انت مالكش الا بيت واحد .. بيتنا احنا الاتنين ..

ويستسلم لها .. وفى الطريق يقول كأنه يحادث نفسه :

بيت عائلة عادل في القاهرة ..

زوجة الأب تبكى وتقول ان محمود ابن جارتهم زينب هانم ،
عاد من الاسكندرية وقال ان عادل اختفى عن الأنظار وأنه يعيش
في بيت احدى الراقصات ..

احلام .. الأخت .. ملتاعة .. خائفة على أخيها ..

الأب .. السيد كمال عبد الحميد .. يتكلم كثيرا كعادته
ويتباهى بأيام شبابه ، ويحاول أن يهدىء من لوعة زوجته وابنته
ويقول :

رقاصة ايه .. وهى الرقاصة تاخذ من واد مفعوص زى ده
ايه .. الرقاصات بيدوروا على رجالة مش على عيال .. تلاقيه
سافر مرسى مطروح .. ولا رشيد .. ويمكن بعث جواب وضاع
في البوسطة .. ولكن لوعة الزوجة والابنة لا تهدا .. وتستمران
في الولوجة ..

وأخيرا يقول السيد كمال :

— أنا بعث جواب لصاحبه ياقوت ولا ردش عليه ..

ثم يستطرد قائلا :

— خلاص .. أنا حاروح أدور عليه واجيبه ..

وتنظر اليه الأم في دهشة :

— حاتدور عليه فين ؟

ويقول الأب كأنه يتهمها بالغباء :

— في اسكندرية طبعاً .. أنا أعرف اسكندرية حته حته ..

ياما كان لى أيام هناك .. وبالمره أشم شوية هوا ..

وتقول زوجته :

— ما فيش طريقة تانية ..؟

ويقول الأب :

— ما فيش .. الا انا نقعد ساكتين ونبطل الندب ..

وتنظر اليه زوجته وفى عينيها ارتياح ، وتقول :

— أنا مش مطمئه .. مش مطمئه أبدا ..

ويقول الأب :

— انى طول عمرك كده .. عمرك ما اطمننى ..

الأب فى الاسكندرية .. يسير على شاطئء ميامى يبحث عن
عادل .. ويتتبع فى الوقت نفسه أجساد النساء اللاتى يملأن
الشاطئء .. ويسير متباهيا برجولته .. الى أن يلتقى بياقوت ،
ويحاول ياقوت أن يتجاهله ، ولكن السيد كمال يناديه .. ويقف
ياقوت أمامه مرتبكا .. وبعد أن يسأله كمال عن العائلة ، يسأله
عن عادل .. ويرد ياقوت فى تلغثم :

— والله بقى لى كثير ما شفتوش .. أظن انه طلع رحله مع
جماعه أصحابه ..

ويسأله الأب :

— رحله فين ؟

ويقول ياقوت :

— مش عارف .. ما قاليش ..

ويقول الأب :

— ما قالكش ازاي .. انتم مش أصحاب يا أخى ..

ويقول ياقوت :

— أصله سافر فجأة .. أظن انه راح مرسى مطروح .. كنت

باسمعهم بيتكلموا عن مرسى مطروح ..

ويقول الأب فى حيرة :

— بس ده كان لازم يرجع مصر من عشر أيام .. وما بعثش

ولا جواب ..

ويقول ياقوت :

— مش ممكن يا عمى . . لازم جواباته ما بتوصلش ، أصل
مرسى مطروح بعيدة . . وضرورى عادل حايرجع . . أنا عارف
عادل كويس . . ومتأكد انه حايرجع . . مهما أتأخر ، لازم حايرجع
. . عن اذك يا عمى . .

ويجرى ياقوت من أمام الأب . . ثم تضع حيرته عندما
تصطدم عيابه بساقي فتاة تسير على الشاطيء ، ويتهد السيد كمال
فى حيرة ريتجه ويجلس فى بوفيه الشاطيء . .

ويأتى أسامة شقيق آمال وزميل عادل الذى يستذكر معه
دروسه ، ليحدث أباه الذى يجلس على مائدة قريبة من المائدة التى
جلس عليها السيد كمال . .

ويلمحه كمال فيناديه فى لهفة :

— أسامة . . عادل فين . .

ويرتبك أسامة كما ارتبك ياقوت ، ويقول :

— والله ما اعرفش . . بقالى كثير ما شفتوش . . انه ياتلى
انه نزل مصر . . عن اذك يا عمى . .

ويجرى أسامة من أمامه ، والسيد كمال يتبعه فى دهشة ،
ثم يتجه الى المائدة التى يجلس عليها والد أسامة . .

— حنرتك والد أسامة ؟

— أيره . .

— أنا والد عادل . .

ويقف والد أسامة محييا وهو يقول :

— أهلا وسهلا . . أنا باحب عادل زى ابنى . . بس . .

ويقطع كلامه ويدعو السيد كمال الى الجلوس . . ويبدأ السيد

آمال يروى قصة عادل وانشفاله عليه . . وكيف أنه لاحظ أن
استدعاء ابنه يخفون عنه الحقيقة . . ويقول والد أسامة :

— ماحدث فيهم حايقولك الحقيقة . . أصلهم فاكرين انهم
يقدروا يحلوا مشاكلهم بنفسهم . . وأنا ما اعرفش الحقيقة كلها
. . انما أتوكل على اللى سمعته . . سمعت ان عادل بيعرف واحده
رقاصه وعایش معاها فى بيتها . .

ويتجهم وجه الأب ويهز رأسه :

— والله عال يا سى عادل . . دهيه بأه اللى بتصرف عليه
ولا ايه ؟

ويقول والد أسامة وهو يحنى رأسه حتى لا يواجهه :

— والله ما اعرفش . .

ويقول السيد كمال :

— ما تعرفش اسمها ايه انرقاصه دى ولا بتشغل فين ؟

ويقول والد أسامة :

— لا . . ويمكن اللى سمعته مش صحيح . . انما اللى بيتقال . .

ويقول السيد كمال :

— على كل حال دول ثلاث اربع صالات فى اسكندرية كلها ،
الواحد يدور عليه فيهم . . والله عال يا سى عادل . . الغرابه الجيل
ده طالع جيل مدب . . جيل خرع . . وليه رقصه زى دى تضحك
على الواد وتنسيه عيلته وأصحابه ومستقبله . . ده أنا لما كنت
فى سنه الورع ميت رقصه . .

ويأخذ الاثنان فى المقارنة بين جيلهم والجيل الجديد ، وكيف
ان جيلهم كان أقوى وأمتن . . جيل مبادئ . . وأخلاق . .
ورجولة . . والجيل الجديد جيل مستهتر . . لا هم له الا الرقص
والغناء . . ر . . و . .

وفى النساء يبدأ السيد كمال فى الطواف بصالات الرقص باحثا

أذنهما بضع كلمات وهى تشير لها على السيد كمال الذى يكون قد
اتجه الى البار ..

ثم تسرع فردوس الى البواب الذى يقف على باب الصالة
وتقول له :

— اذا جه عادل قول له ما يخشش .. يسبقنى على البيت
وأنا حاصله .. اوعى تخلية يخش .. وقول له انى حا أحكيه
على كل حاجه فى البيت .. خذ بالك كويس .. اوعى تخلية يعتب
جوه الصاله .. وحلاوتك عندى ..

وفى هذه الأثناء تتجه محاسن الى البار وتقف بجانب الأب ،
وتقول له وهى تدعى البراءة :

— حَضْرَتِكَ بِتَسْأَلِ عَنْ عَادِلٍ ..

— أَيُوهُ ..

— زَمَانُهُ جَائٍ ..

وتهم بالابتعاد ولكنه يمسك بها من ذراعها وقد زادت نشوته
من الخمر :

— هُوَ بِيَجِى هُنَا كُلَّ لَيْلَةٍ .. ؟

— تَقْرِيْبًا ..

— بِيَقُولُوا أَنَّهُ عَائِشٌ مَعَ وَاحِدَةٍ بِتَشْتَقِلُ هُنَا .. يَا تَرَى
تَعْرِفِيهَا .. ؟

— أَيْدَا .. لَا عَائِشٌ مَعَ وَاحِدَةٍ وَلَا حَاجَةٌ .. دَه لَسَهُ عَيْلٌ
صَغِيرٌ .. مَيِّنُ تَرْضَى تَعِيشَ مَعَاهُ .. أَهْوُ بَسْ بِيَلْعَبُ .. أَيْمَانَا
الوَاحِدَةُ مَنَا لَوْ حَبْتِ وَرَضِيْتِ تَعِيشَ مَعَ وَاحِدَةٍ ، مَا تَحْبِشِ الْإِرَاجِلُ
.. وَمَا تَعِيشِ الْإِمْرَأَةَ رَاجِلٌ ..

ويعجب السيد كمال بحديث محاسن .. ويستطرد فيه ..

عن ابنه .. وهو يدخل كل صالة كأنه خبير بهذا العالم يعرف
حيله ، ولا يمكن أن تجوز عليه .. ويشرب فى كل صالة كأسا
ويقترب منه بائع الفستق ليضع أمامه طبقا ، فيقول له :

— شَيْلِ يَا أُخْوِيَا .. بَلَّاشِ أُمُورٍ نَصَبِ ..

وتقترب منه راقصة فيسألها هل تعرف شابا اسمه عادل
عبد الحميد ، فتجيب بالنفى ، وعندما تحاول أن تلتصق به لتشرب
كأسا على حسابه ، يهز رأسه ساخرا :

— لَا يَا سَتِي .. أَنَا مَشَى مِنْ دَوْلِ ..

وفى كل صالة يشرب كأسا .. ويسأل عن ابنه .. ويظهر
خبرته القديمة بهذا العالم ، وإن كانت الراقات يملأن عينيه
بانتلاقات رجولته ..

وأخيرا يصل الى الصالة التى تعمل فيها فردوس .. ويكون
قد انتشى بالخمير .. وتصطدم به فردوس شخصيا ، فيسألها
وهو ينظر الى كتفها العاريتين :

— قَوْلِي لِي مِنْ فَضْلِكَ .. مَا تَعْرِفِي شَابَ اسْمِهِ عَادِلٍ ..
عَادِلُ عَبْدِ الْحَمِيدِ .. شَابٌ صَغِيرٌ .. رَفِيعٌ .. مَا بِيَجِيشُ هُنَا ؟

وتقول فردوس وهى تنظر إليه فى تمعن :

— حَضْرَتِكَ صَاحِبُهُ .. ؟

ويقول كمال :

— لَا .. أَنَا وَالِدُهُ ..

وترتبك فردوس ، قائلة :

— أَنَا سَمِعْتُ الْإِسْمَ دَه قَبْلَ كَدِهِ .. أَسْتَنِي يَمَكُنْ صَاحِبَتِي
تَعْرِفُهُ ..

وتتركه فردوس ، وتجرى الى زميلتها محاسن وتهمس فى

ويبدأ فى التباهى برجولته ومغامراته السابقة .. ويطل عليه وجه البارمان .. وتقول له محاسن وهى تدعى التعفف :

— لا .. مش عايزه حاجه ..

ويقول السيد كمال فى عنجهية :

— ودى تيجى .. لازم تاخدى حاجه .. ده انا عطلتك عن شغلك .. هات واحد ويسكى .

وتقول محاسن وكأنها تأتمنه على سر :

— خساره .. دول بيحبيو لنا شاي ، مش ويسكى ..

ويقول السيد كمال ضاحكا :

— ما انا عارف .. انما خللى الناس تسترزق ..

وهكذا يندب السيد كمال .. ويطلب لمحاسن كأسا اخرى .. وأخرى .. ويطلق كل حرمانه الطويل .. وينسى كل مسؤولياته .. وينتقل هو ومحاسن ويجلسان على المائدة ، ويشترى لها طبق الفستق .. وعلبة السجائر .. وعلبة الشيكولاتة .. واللعبة .. وهى فى كل هذا تتمتع وتدعى أنها تنصحه حتى لا يخسر نقوده ..

وفى هذه الأثناء يكون عادل قد وصل الى الصلاة ، وأخبره البواب أن فردوس ترجوه ألا يدخل لسبب هام جدا .. وأن ينتظرها فى البيت .. ويحاول عادل أن يعرف السبب من البواب .. ولكن البواب لا يعرف شيئا غير أن فردوس أكدت عليه ألا يدخل .. ويتردد عادل قليلا ، ثم ينصرف ..

وينتهى موعد العمل فى الصلاة والسيد كمال جالس مع محاسن يقدم لها كؤوس الويسكى ، ثم يقول لها وهو مخمور :

— يعنى عادل ما جاش ؟

وتقول محاسن :

— أقول لك تعال معايا البيت .. نقعد هناك واضرب تليفونات لكل صاحباتى لغاية ما اعرف لك هو فين ..

ويقول السيد كمال وهو ينظر الى محاسن نظرة اعجاب مخمور :

— حاضر ..

وتقول محاسن :

— دقيقه واحده .. لما أغير هدومى ..

ويأتى الجرسون .. ويطل السيد كمال فى ورقة الحساب .. عشرين جنيها .. ويحاول أن يراجع الحساب ويحاول مع الجرسون .. ولكنه أخيرا يدفع وهو يضحك ..

— بسيطة ..

ويذهب مع محاسن الى بيتها وهى تحمل الهدايا التى اشترتها لها .. ولا يكاد يجلس معها حتى تدخل خادمتها قائلة :

— ستى .. صاحب البيت باعت عايز أجره الشقة .. وعمل لنا النهارده غاره ..

— مش وقته ..

— ولو يا ستى تسيلنا عشره جنيه أدفعهم له بكره الصبح .. وتنتظر محاسن الى السيد كمال .. ولكنه يتغابى .. فتقول لخادمتها :

— طيب روجى خدى من الشنطه ..

وتعود الخادمة بعد قليل :

— ما لقيتش فى الشنطه الا خمسه جنيه يا ستى ..

وتنتظر محاسن الى السيد كمال قائلة :

— معكش خمسه جنيه لغاية بكره الصبح يا كمال بيه .. أصلى لسه ما حاسبتش فى الصاله ..

عارفين انى باحبك ومش ممكن أطلع مع حد تانى ، وعلشان كده
ما بيفتحوش لى ..

— وقتلى له ايه ؟

— ولا حاجة .. أقول له ايه .. راجل قلبه حجر زى ده
حاي فهم ايه .. اضطريت أسكت .. وكده برضه أحسن ..

— ليه .. ؟

— لأن عينك ابتدت تزوغ .. أظن فاكرنى عبيطه .. مش
شايفاك وانت كل ليله نازل مساييره وضحك مع محاسن ..

ويصدقها عادل ..

وينقضى أسبوع ..

والسيد كمال يذهب كل ليلة الى الصلاة ويجلس مع محاسن
وينفق عليها ، ثم يعود معها الى البيت ، وهو يفنع نفسه أنه يبحث
عن عادل .. ثم بدأ يستريح الى حياته الجديدة ، وأصبح عادل
لا يشغل سوى حيز من تفكيره .. ولكنه يردد كلما سكر كأنه يغرى
نفسه ..

— مش حاجتي بيلى عادل يا محاسن .. ؟

واضطر أن يقترض من أحد أصدقائه فى الاسكندرية ..
واقترض من صديق آخر .. حتى يغطى مطالب محاسن ..

وفى ليلة ذهب عادل الى الصلاة ووقف على الباب وطلب من
البواب أن ينادى فردوس .. ودخل البواب ليناديها .. وأطل
عادل برأسه من وراء الباب ليتزود بنظرة الى الصلاة .. فيصدم
برؤية أبيه جالسا على مائدة محاسن وأمامها زجاجة خمر ..

ويرند رأسه كأنه صعق .. ويحتقن وجهه .. وتزوغ عيناه
.. ويعود البواب ، فيسأله وهو يشير الى أبيه من وراء الباب :

— الراجل ده قاعد هنا من امتى ؟

ويضع كمال يده فى جيبه ويخرج خمسة جنيهات ، وهو يتنهد
مترنحا :

— وادى خمسة جنيهه ..

وتتكرر نفس المناظر التى رآها عادل فى بيت فردوس ..
ومحاسن تشكو شقاءها وكدها .. وتؤلف قصة عن احترافها
الرقص .. وكمال يدفع ..

ثم تقوم محاسن وتدعى أنها تتكلم فى التليفون .. تدير خمسة
أرقام ثم تضع أصبعها على موضع السماع لتقتل السكة ..
وتدعى أنها تسأل المتحدثه عن عادل ..

ثم تترك التليفون ، وتجلس بجانب كمال وهى تقول :

— ماحدثش عارف راح فىن الليلة .

ويقول كمال :

— مش مهم .. بزياده ليله ..

ثم يلف ذراعه حول كتف محاسن ، وهو يقول :

— لولا خاطر عادل ما كنتش جيت هنا أبدا ..

وتقول محاسن :

— وخاطرى أنا ..

ويقول كمال وهو يلتصق بها :

— خاطر ك انت بالدنيا كلها ..

ويقبلها ..

ويقضى ليلة معها ..

وتكون فردوس قد عادت الى بيتها واستقبلها عادل متسائلا
عن سبب منعه من دخول الصلاة ، فتقول له :

— أصل صاحب الصلاة هددنى بالطرد ان شافك فى الصلاة

تانى .. فاهم انك بتشغلنى عن شغلى وبيقول ان كل الزبائن

ثم يقفز الى خياله صور زبائن فردوس الذين تضحك عليهم
وتأخذ منهم ايجار الشقة وحساب البقال .. و .. و .. ويتصور
أباء مكان كل واحد منهم ..

وتخرج فردوس من الصالة للقاء عادل .. وتنظر فى وجهه ..
قائلة :

— مالك يا عادل .. جرى ايه .. ايه اللى حصل .. ؟

— تعالى معايا ..

— بس ايه اللى حصل .. أخويا جرى له حاجه .. ؟

— يا ريت يا شيخه .. تعالى معايا .. تعالى وانت تعرفى

.. تعرفى حاجات كثير ..

— طيب استنى لما ..

— ما استناش ..

ويجذبها من يدها .. فتستسلم له .. ويركبان سيارتها
ويعودان الى البيت .. وهو متجههم صامت ، محتقن الوجه ، زائغ
العينين ..

وبمجرد أن يدخل البيت ، يلتفت اليها ويصرخ فى حدة :

— ما قتلش ليه أن أبويا بيحى الصالة .. ؟

وتفزع فردوس ، ثم تتمالك نفسها وتقول :

— أبوك مين .. وأنا ايش عرفنى بأبوك ..

ويمسك عادل بأنيّة زهر ويحطمها على الأرض . ثم يقول :

— لو ما تكلمتيش حاكسر البيت كله .. ومش حتقدرى تعملى

حاجه .. اتكلمى .. انت عارفه كويس انه أبويا ..

وتقول فردوس فى تردد :

— بس أنا حا اعرف أبوك مين ..

ويرد البواب وهو يضحك ساخرا :

— من أسبوع .. ده مدب كبير .. ممتع البت محاسن ..
ويصرف عليها دم قلبه ..

ويتمتم عادل :

— من أسبوع ..

ثم يلتفت الى البواب يسأله فى حدة :

— انت متأكد انه بيحى هنا من أسبوع ..

— كل ليلة واللى خلقتك .. وكل ليلة يناولنى خمسين قرش
.. باقولك مدب كبير ..

ويتمتم عادل بينه وبين نفسه :

— من أسبوع .. يعنى من يوم ما منعنى فردوس من دخول
الصاله ..

ويقول البواب :

— بالضبط ..

ويصرخ عادل فى وجهه :

— فين فردوس ..

ويقول البواب :

— مالك يا ملى عادل .. حيلك .. ست فردوس على المسرح .

ويقول عادل :

— طيب حاستناها هنا لغاية ما تخلص رقصتها .. خش

سيب لها خير انى مستنيها .. مسأله مهمه .. مهمه قوى ..

ويدخل البواب ..

ويعود عادل يتمتم بينه وبين نفسه :

— مدب .. أبويا مدب ..

ويمسك عادل بمجموعة من زجاجات البارغان الثمينة ويرفعها
بين يديه ويهم بأن يحطمها على الأرض .. فتصرخ فردوس :
— أيوه أبوك ..

ويقول عادل وهو يضع زجاجات البارغان :
— وكان جاي يدور على في الصاله ..
— أيوه ..

— ويومها قتليني ما ادخلش علشان أبويا .. ما يشفنيشي
.. مش كده .. ؟

— أمال كنت عايزنى أسيبه ياخذك منى .. اسلمك له بأديه
.. أنت ناسى انى بحبك .. بأحديك .. ما اقدرش أعيش من
غيرك .

وتقترب منه تحاول أن تغريه بنفسها لتنسيه ثورته ، ولكنه
يبعدها عنه بعنف ، ويعود يصرخ :

— ومحاسن .. ايه حكايته مع محاسن .. ؟
— ما اعرفش ..

— انتى اللى سلطيتها عليه ..

— أسلطاها عليه ليه .. هو صغير .. ده راجل كبير ويعرف
هو بيعمل ايه ..

— أنا اللى عارف انتى تقدرى تعملى ايه .. انت ناسيه انى
عايش معاكى .. ناسيه انك علمتبنى كل بلاويكى .. وأنا تلميذ
كويس .. طول عمرى بانجح .. واقدر أعرفك انك انتى اللى
سلطى محاسن على أبويا علشان تخمه ، وينسى ابنه .. وينسى
يدور على وينتقدنى منك ..

ثم يندفع الى الداخل .. ويلتقط حقيبته التى أتى بها ، ويجمع
فيها ثيابه .. وفردوس تصرخ :
— بتعمل ايه يا عادل ..

ويقول عادل :

— مش كفايه كنتى عايزه تضيعى مستقبلى .. عايزه كمان
تخربى بيتى .. تخربى بيت أبويا ..

وتقترب منه تحاول أن تمنعه من جمع ثيابه ، ولكنه يزيحها
عنه .. ثم يغلق حقيبته ويندفع خارجا ، وهى تصرخ :
— عادل .. رايح فين .. عادل ..

ويقول عادل وهو يخرج :

— رايح الحق أبويا ..

ثم يجرى فى الشارع الى أن يجد سيارة أجرة فيركبها عائدا
الى الصالة .. ويضع حقيبته عند البواب ثم يقف برهة يلتقط
فيها أنفاسه ، ويسوى شعره وثيابه ، ويحاول أن يتمالك أعصابه
.. ثم يدخل الى الصالة .. ويقترب من المائدة التى يجلس اليها
والده هو ومحاسن .. يقترب فى خطأ زاحفة مترددة .. ثم يقف
قبالته ويقول فى صوت محشرج وبين شفثيه ابتسامة مترددة :

— أنا جيت يا بابا ..

ويرفع السيد كمال رأسه ويرتبك عندما تقع عيناه على عادل ،
ويبهس :

— عادل ...

وينحنى عادل ويقبل وجنتى أبيه .. ويحاول الأب أن يسترد
شخصيته ويقول فى صوت أجش :

— انت كنت فين ؟

وينظر عادل الى محاسن نظرة غاضبه ..

ويعود الأب يردد :

— كنت فين حضرتك .

ويقول عادل لمحاسن :

— تسمى تسيينا شويه ..

وتنظر محاسن الى السيد كمال ، فيهب رأسه صاغرا ..
وتقوم محاسن .. ويجلس عادل مكانها .. ويزيح من أمامه كأس
الويسكى الذى تركته ..

ويتنحج السيد كمال ليسترد شخصيته كأب ، ثم يقول فى
لهجة غاضبة :

— اتكلم .. كنت فىن ..

ويقول عادل فى رقة وهو يبتسم لأبيه :

— أنا كنت غلطان .. سامحنى ..

ويقول الأب :

— وعرفت امتى انك كنت غلطان ؟

ويقول عادل :

— الليلة بس .. بعد ما عرفت ان حضرتك بتدور على ..

ويقول الأب فى حزم :

— ما دام عرفت انك غلطان .. يبقى بكره تاخذ اول قطر

وتنزل على مصر ، تطمن والدتك وأختك ..

ويقول عادل وهو يحاول أن يكون رقيقا :

— و حضرتك ؟

ويقول الأب :

— أنا .. أنا حافعد شويه ..

ويقول عادل مبتسما :

— مش حضرتك جيت الاسكندريه علشان تدور على ..

أدى انت لاقيتنى .. نرجع سوا باه ..

ويقول الأب صارخا :

— انت فاهم ان ما ليش شغلته غيرك .. ما ليش حق اتفسح
زى حضرتك ما اتفسحت .. ما ليش حق استريح من همك ..
ويقول عادل :

— بس يا بابا الحتت اللى زى دى مش من مقامك ..

ويقول الأب :

— ومين اللى جانبى الحتت دى الا حضرتك وهمك .. ومش
انت اللى تنصحنى .. ما تنساش انى أبوك .. ولازم تعرف انى
أحق منك بأنى أعيش على مزاجى .. أنا قعدت عشرين سنه أتستغل
وأحرق دمنى علشان أربيك وأربى أختك .. ودلوقتى من حقى انى
أستريح من همك شويه ..

ويقول عادل وهو مأخوذ بثورة أبيه :

— بس يا بابا ..

ويتقاطع الأب :

— تسمح تقولى عايز تقول ايه .. ناقصك حاجه .. قصرت
فى حقك ولا فى حق بيتى .. ورايا امتحان زى حضرتك وخايف
لاسقط فيه .. لسه ما عملتش مستقبلى وخايف لأضيعة ..
اسمع يا ولد .. ما تتكلمش ولا كلمه اتفضل ..

ويقول عادل وهو يكاد يبكى :

— بس يا بابا دول كل اللى هنا نصابين ، بيضحكوا على الناس

وياخدوا فلوسهم .. و ..

ويصرخ الأب :

— انت فاكرنى با ولد عيل زيك .. فاكرنى مراهق .. أنا
عارف كويس أنا باعمل ايه .. اتفضل غور من وشى .. وبكره
الصبح تاخذ اول قطر على مصر .. فاهم ..

ويرفع عادل رأسه فيجد كل راقصات المسالة وكل

الجرسونات ينظرون اليه والى أبيه بعيون محدقة .. فيقف على قدميه ، وهو يقول :

— أنا مش راجع مصر الا معاك ..

ثم يترك أباه دون أن يصفحه ، ويسير بين الموائد صارخا .. وتعود محاسن الى مكانها . ويقول لها الأب وهو يزفر أنفاسه :

— لعب عيال ..

ثم يضع رأسه فوق كفه كأنه يهم بالبكاء ..

وتقول محاسن فى خبث :

— والنبي عادل شاب كويس .. ومتربى .. أمال لو شفت العيال التانيين تقول ايه اشرب .. وتقدم له الكأس ..

ويتردد قليلا ، ثم يتنهد ويشرب ، وهو يقول :

— أنا عشت نزلادى كثير .. دلوقتى من حتى أعيش لنفسى .

ويكون عادل قد خرج من الصالة وحمل حقييته التى تركها عند البواب ، ولا يكاد يخرج الى الشارع حتى تقابله فردوس عائدة من بيتها ، وتناديه :

— عادل ..

ويصرح فيها :

— ابعدى عنى .. مش عايز أشوف وشك بعد كده ..

ثم يقفز فى سيارة تاكسى ويغلق الباب فى وجهها ، وتندفع السيارة ، وفردوس تصرخ :

— عادل .. عادل ..

ويتخيل عادل وهو جالس فى سيارة التاكسى ، صورة أبيه وهو يسكر ، ومحاسن تستنزف نفوده ، وتسخر منه ، ثم يتصور أباه

وهو يقترض من أصدقائه .. ثم وهو يأخذ مصاغ زوجته ويبيعه .. ثم وهو يختلس من الشركة .. ثم وهو سجين .. ويتخيل محاسن وهى تضحك .. ضحكة مخيفة مسمومة .. وتنهز دموع عادل على وجنتيه .. وينزل من التاكسى فى سيدى بشر .. ويسير فى رمال الصحراء حاملا حقييته متعبا .. يكاد يقع فى كل خطوة . ولا يكاد يصل الى الكابين حتى يقع أمام بابها ، وينام على الرمل . ويفغض عينيه على دموعه ..

وفى الصباح يوظفه الشيخ عمران وابنتاه .. ويفتحون الكابين .. ويساهمون فى تنظيفها ، والبنتان فرحتان بعودة عادل ، ويقول شيخ العرب .

— انت كنت مسافر ولا ايه يا عادل ..

ويقول عادل :

— أيوه .. سافرت .. سافرت بعيد قوى ..

وتسأله البنتان :

— مش حانعمل ليله ، ونحجل .. ؟

ويبتسم عادل ابتسامة مسكينة ، ويقول :

— باذن الله ..

وبعد أن يغسل وجهه يترك الكابين ويذهب الى منزل صديقه ياقوت الذى يقيم مع عائلته فى فيلا بسيدى بشر .. ويستقبله ياقوت فى جفاء ، ولكن عادل يقول له :

— خلاص يا ياقوت أنا رجعت ..

ويقول ياقوت :

— رجعت لعقلك .. ؟

ويرد عادل :

— رجعت لحياتي ..

ويقول ياقوت :

— سببت الرقاصه .. ؟

ويرد عادل :

— سببتها ..

ويروى عادل قصته مع فردوس لياقوت ، ويقول انه كان دائما يحس بخطئه وضعفه ، وكان يحاول أن يقاوم ولكن فردوس كانت دائما أقوى منه .. ربما لأنها أول امرأة فى حياته ، واستطاعت أن تسيطر عليه عندما ملكت شبابه المبكر ..

ويقول ياقوت :

— أنت لازم ترجع مصر . ده والدك كان هنا الاسبوع اللي فات وكان بيدور عليك والشله كلها اتفتت انها ماتقولوش على الحقيقه .

ويقول عادل :

— ما اقدرش أرجع مصر ..

ويقول ياقوت :

— ليه ؟

ويقول عادل :

— أبويا .. ولازم أنقذه ..

ثم يروى لياقوت قصة أبيه .. وأنه يخشى عليه ان استمر فى علاقته بمحاسن أن يختلس ويدخل السجن ..

ويقول ياقوت :

— تعرف الحكايه دى بتشبه لى زى ما يكون طلع وراك فوق الشجره علشان ينزلك .. ونزلت أنت وهو ما عرفش ينزل ..

ويقول عادل :

— لازم ينزل ..

— ازاي ؟

— نفكر ..

ويقول ياقوت :

— بس لغاية ما نفكر .. تسبب الكابين وتيجى تقعد معايا هنا .. أحسن ست فردوس بتاعتك ترجع تطلعك فوق الشجره والمره دى ما تعرفش تنزل ..

ويقول عادل فى استسلام :

— حاضر ..

وينتقل عادل ليقيم مع ياقوت وسط عائلته ..

ويذبح ياقوت خبر عودة عادل وسط شلة الأصدقاء ، ويلتفون حوله ضاحكين له ، ويداعبونه بقصته مع فردوس ولكنه يقول لهم انها قصة مريرة ..

ثم يستطيع عادل أن يصالح حبيبته آمال ويتعهد لها بأن لا يلقى بنفسه فى تجربة أخرى ، وأنها تجربة معرض لها أى شاب فى سنه ، وتتول آمال :

— وأضمنك ازاي ؟

ويقول عادل :

— جربينى .. جربينى الخمسين سنه اللي جاين ..

وتجتمع الشلة فى كابين أحدهم على الشاطيء .. أولاد وبنات .. ليضعوا خطة لانقاذ والد عادل من الراقصة محاسن ..

ويقول مدحت ، وهو شاب مقتول العضل :

— أحسن طريقه نروح نكسر الصاله ..

ويقول وسيم :

— أقولك .. أروح أشتغل على البت محاسن دى .. والفها ..

.. أقلب مخها .. وأشترط عليها أنها تسبب عمى كمال ..

ليه رأيكم ..

وتقول : رفعت :

— أنا عندى فكره .. أعمل نفسى مرات أبو عادل .. وأخذ
معايا أختى الصغيره ، وأعمل انها بنتى .. والبس فقرى . وأروح
للرقاصه وأقولها ان جوزى سابنى بسببها .. وانى أنا وبنتى
حانوت من الجوع .. أصعب عليها ، وتسيب أبو عادل .. زى
ما حصل فى رواية عادة الكاميليا ..

وتتوالى الاقتراحات ، وهم يناقشون كل اقتراح بجديه ..
وصخب .. وكثير من التعليقات .. ثم يقول ياقوت :

— أنا عندى اقتراح ..

وقبل أن يقول اقتراحه ، يدخل والد صاحب الكابين ، فيكفون
جميعا عن الكلام .. ثم يبدأ ياقوت بعد أن يبتعد الأب ، يهمس
بأقتراحه ..

وفى هذه الأثناء تمر فردوس على الشاطيء وهى تلتفت حولها
بحثا عن عادل . ويلمحاها ياقوت ، فيقول لعادل :

— مش دى فردوس بتاعتك ؟

ويرتبك عادل . وتنظر اليها آمال فى غيظ ، ثم تنظر الى عادل
فى حيرة ، ثم تقول :

— ياي .. شنيعه .. دى أد تينا ..

ويقول حسام :

— بس .. وقعت بنفسها .. بينا يا رجاله ..

ويقوم أفراد الشلة من الأولاد ما عدا ياقوت وعادل ..
ويسيرن منجمعين وراء فردوس .. وتلاحظهم فردوس ، وتبدي
ضيقها .. وتسرع فى خطاها فيسرعون وراءها .. وتقف ويقفون
.. وعيونهم كلها مركزة عليها ، ووجوههم صامته .. ثم تلتفت
اليهم فردوس وهى تدعى الرقة ، وتسال أحدهم :

— من فضلك ما تعرفش عادل .. عادل عبد الحميد ..

وتلتفت حولها الشلة فى دائرة ، ويقرب منها وسيم وهو يسير
المانكان قائلا وهو يصنع :

— وأنا ما انفعش .. ؟

ثم يقرب حسام قائلا :

— أنا عادل ..

ويقرب الثانى قائلا :

— أنا عادل ..

كل منهم يدخل الحلقة قائلا :

— أنا عادل ..

وتتيقن فردوس أنها وقعت فى فخ لتهزيئها ، فتثور ، وتشتم ،
وهم يضحكون لثورتها ، وتحاول أن تخرج من الحلقة التى تلتف
حولها فيمنعونها ، فتضرب واحدا منهم بالشنطة .. وتجرى ..
ويجرون وراءها والشاطيء كله يتفرج عليها ..

وفى هذه الأثناء يقول عادل لياقوت وهما جالسان فى الكابين :

— أنا من رأيى اننا نحاول نستخدم فردوس فى انقاذ أبويا ..

— ازاي ..

— هى عايزانى أرجع لها .. نشترط عليها انى ما رجعتش

الا اذا محاسن سابت أبويا ورجع بيته .. وبعدين مارجعتش
لها ..

وتصرخ آمال :

— يا سلام يا سى عادل .. يظهر انك ابتديت تحن تانى ..

ويقول عادل :

— أحلفلك .. وحياتك .. انى ما بفكرش الا فى أبويا ..

ويقول ياقوت :

— ونضمن بنين انك مش حاترجع لها .

ويقول عادل :

— خليك معايا .. رجلك على رجلى .. ما تسبنيش
ولا لحظة .

— واذا رجعت ..

ويقول عادل :

— ما تعرفنيش تانى .. ناطعونى كلكم .. أنا خلاص فقت
يا ياقوت ..

وتعترض آمال وتثور .. ولكن ياقوت يطمئنها ويتعهد لها ..
وتضطر آمال أن توافق مرغمة .. وتترك الكابين وتخرج وفى عينيها
دموع ..

ويخرج عادل وياقوت من الكابين ويقفان على الشاطيء ..
وهما ينظران الى فردوس وهى تجرى وأفراد الشلة يجرون
خلفها .

وترى فردوس عادل فتهرع اليه وترتمى فى صدره وهى تقول :
— الحقنى يا عادل .. دول وحوش ..

ويهدئها عادل ، ثم يأخذها هو وياقوت داخل الكابين ، ويشير-
ياقوت الى بقية أفراد الشلة ليبعدوا .. وفردوس تشكو ما فعله
أفراد الشلة بها ، وياقوت يقول لها :
— ماترعليش .. أصلهم عيال ..

وتسترد فردوس هدوءها ، ثم تقول لعادل وهى تحاول أن
تفرض عليه كل شخصيتها :
— حانرجع امتى ؟

ويقول عادل فى هدوء :

— دلوقتى ..

وتنظر اليه فردوس بدهشة ، ثم تجذب حقيبتها وتهم بالقيام
وتقول :

— طيب .. ياللابينا ..

ويقول عادل :

— بس بشرط ..

وتقول فردوس :

— شرط ايه كمان .. مش كفايه مرمطنى وراك ..

ويقول ياقوت :

— بشرط ان عمى كمال يسبب محاسن ..

وتلقى فردوس حقيبتها وتعود تجلس وهى تقول :

— وأنا مالى ومال محاسن ..

ويقول عادل :

— انتى اللى سلطيتها على ابويا .. مافيش لازمه انك تخبى
دلوقتى .. خلينا نتكلم بصراحة ..

وتبتسم فردوس ابتسامة ساخرة ، وتقول :

— انتم لسه عيال .. مش فاهمين الدنيا .. تفنكر انى مهما
سلطتها عليه ، كان ممكن تاخذ منه حاجه الا اذا كان عايز هو
يديها .. أنا كل اللى طلبته منها انها تشغله عشر دقائق لغاية
ما اقدر أتصل ببيك وأقولك ما تدخلش الصاله .. العشر دقائق
بقوا أيام .. والكأس بقى ميه .. ومش محاسن هى المسؤولة ،
هو المسؤل .. بيت راجل بيخس الصاله كل ليله ، وبنشتغل عليهم
كلهم .. انما ما حدش بيعق الا اللى عايز يقع ..

ويتبادل عادل وياقوت نظرات مذهولة كأنها اكتشفا حقيقة من
حقائق الحياة ..

ويقول ياقوت لفردوس :

— والعمل .. ؟

وتقول فردوس كأنها تلتقى عليهم درسا :

كانها بيت محافظ .. البنات فى مكان والأولاد فى مكان .. وممنوع
الاختلاط .. ممنوع أن تصادق البنات شبابا وتدعوه الى بيتها
كمجرد صديق وزميل .. وممنوع أن ترقص .. وممنوع أن تخرج
بعد مواعيد الجامعة .. ورغم هذا فكل بنات هذا المجتمع يفعلن
ما يردن ، وينطلقن خارج تقاليد وأوامر الأب والأم .. ينطلقن فى
السر ، انها تذكر ما صنعتها صديقتها ليلي .. كانت مدعوة معها فى
حفلة راقصة خاصة .. وجاءت مع صديقتها محمود فى الساعة
السابعة .. وبعد ساعة اضطرت أن تخرج من الحفلة وهى تكاد
تبكى .. وسألتها شهيرة :

— رايحه فين ؟

وأجابت ليلي والزهق والثورة والدموع فى عينيها :

— لازم أرجع البيت .. أنا قلت لهم انى رايحه لدكتور
الأسنان ..

ثم التفتت ليلي الى محمود قائلة فى ثورة :

— اسمع يا محمود .. استناني هنا .. بابا وماما بيناموا
الساعة عشرة .. وأخويا مسافر .. الساعة حداثر حاكوز عندك .
وقد عادت شهيرة ليلتها الى البيت فى الساعة العاشرة ..
أوصلها صديقها علاء .. وسمعت فى اليوم التالى أن ليلي قد عادت
وأنها بقيت مع محمود حتى الرابعة صباحا .. وقالت لها شهيرة :
— بس انتى مجنونة .. قعدتى تعملى ايه للساعة أربعه ..

وأجابت ليلي ضاحكة :

— أصل بابا ما ببصحاش من النوم قبل خامسه .. وانتى
عارفه أنا ما باشبعش من محمود ..

وشهيرة لا تحب هذه الحياة .. انها لا تحب أن يكون فى حياتها

اسرار .. حتى لو كانت عن أبيها وأمها .. ان الأسرار تدفع الى
الاختباء ، والاختباء يحرض على الخطأ .. على الخطيئة .. وينتهى
بالندم .. وهى تذكر أن أباهما قال لها يوما :

— ما فيش حاجة تحمى الواحد الا حريره .. الحرية تخلى
الواحد مسئول عن نفسه .. ويحمى نفسه .. علشان كده أنا
ساييك حره .. علشان تشيلى معايا مسؤولية نفسك ..

انها مؤمنة سعيدة بحياتها وحريتها وقادرة على أن تحمى
مسؤولية نفسها ، ولكنها لم تلتفت الى كلام الناس .. الى نظرة
الناس اليها .. الى تفسير الناس لهذه الحرية التى تعيشها ..
انها لا تدري ان هناك ناسا قد يفسرون حريتها على أنها انحلال ،
ويرونها كأنها مهتكة ، ويتصورون أن كل من يرقص معها ينالها ..
ينال جسدها .. ان الناس يرون ليلي المختبئة التى تعيش حياتها
الخاصة فى السر .. يرونها فى صورة أرقى وأنظف من الصورة
التي يرونها فيها ..

ولكن لا تدري كل هذا ، ولا يخطر على بالها أن تهتم بكلام
الناس ..

الى أن عرفت رؤوف ..

وارتبطت به ..

اسمى صديقها الوحيد ..

انها تحب ..

وقد ظلت شهورا طويلة تراه من بعيد .. وعندما عرفته اتخذته
مجرد صديق كبقية الأصدقاء .. ولكنها منذ أن رآته لأول مرة وهو
يشدها اليه .. وربما كان أكثر ما يشدها اليه هو أنه يستطيع أن
ينجح فى كل شىء يقوم به .. ينجح فى الرقص .. وينجح فى اللعب
.. وينجح فى الرياضة التى يمارسها .

وهي تعلم أين هو ذاهب .. انه لا يتركها ليعيد السيارة
لصاحبها .. ولكنه يتركها ليذهب ويلعب البريدج ..

وتركت السيارة ، واغلقت بابها وراءها بعنف كأنها تصفعه
بالباب . ودخلت البيت دون أن تتكلم .. وألقت بنفسها على
فراشها وبكت .. بكت احساسها بالفشل ..

وخف بكأؤها وهي تستعيد كل ذكرياتها مع رؤوف ..
ووجدت صورة عازف الجيتار أشرف تنقز بين ذكرياتها .. انه
ناجح .. وسينجح أكثر وأكثر .. لأنه اختار للنجاح طريقا واحدا
.. أما رؤوف فينتقل بين طرق النجاح قبل أن يصل الى قمة أى
طريق .. ولكن بقى طريق لم يخرج منه رؤوف .. طريق دراسته
.. لقد بقى أمامه عام واحد وينال بكالوريوس الاقتصاد والعلوم
السياسية .. وهو لم يرسب أبدا فى أى امتحان .. فلتنتظره الى
أن يتم نجاحه .. وبعد هذا تبدأ معه فى بناء مستقبلهما .. انها
تحبه .. وتستطيع أن تنتظره وتتحملة ..

وبقى على الامتحان شهر ..

رؤوف لا يزال متفرغا للعب البريدج ..

وقالت له كأنها تتوسل اليه :

— رؤوف .. مش فاضل الا شهر وكام يوم على الامتحان ..

وانت لسه ما ابتدتش تذاكر ..

وقال رؤوف ساخرا :

— عايزه الحق .. ماليش نفس للامتحان .

وصرخت :

— ايه اللي بتقوله ده يا رؤوف .. يعنى ايه مالكتش نفس ..

وقال من/ خلال ابتسامته الساخرة :

— حاجتص وأنجح .. والسنة الجايه امتحن وأنجح ..

وبعدين .. أبقي موظف كبير بستبعناشر جنيه فى الشهر .. ولو
بقيت كبير قوى بيقوا أربعة وعشرين جنيهه .. وبعد عشره
خمسناشر سنه بيقوا أربعين رلا خمسين جنيهه .. تعرفى أنا
باكسب كام فى اليوم من البريدج .. على الأقل عشره جنيهه ..
يعنى على الأقل تلتميت جنيهه فى الشهر ..

وشهقت كأنها ترى رؤوف فى صورة جديدة .. وقالت :

— بس البريدج مش مستقبل .. ما تقدرش تحترف البريدج
.. اذا كان عمر الشريف بيلعب بريدج مايناش مستقبله على
البريدج .. وتشرشل .. وكل اللي بتكلم عليهم .. و ..
وقاطعها :

— ليه ما يكونش البريدج مستقبل .. اللعب .. لعب الورق
.. انتى عارفه اللي بيشتغلوا فى صالة شيرتون بتاعة اللعب
بيطلعوا بكام .. يمكن فيه ولا متين ..

واستمرت المناقشة .. وهي تعلم أن نوبة البريدج التى
تسيطر على رؤوف هى نوبة لا تلبث أن تختفى كما اختفت نوبات
له من قبل ..

ولكن الامتحان ..

انها لا تستطيع أن تنتظر اختفاء النوبة ..

واستطاعت أن تستغل كل ذكائها وكل حبه لها الى أن أقنعت
بأن بينا المذاكرة .. وأن يذاكر معها فى بيتها .. هى لامتحان
الجامعة الأمريكية .. وهو يذاكر لامتحان الاقتصاد والعلوم
السياسية .. ورحب أبوها وأمها بالفكرة .. انها يحترمان حبا
.. ويحترمان رؤوف لأنه حبيبها .. وهما يثقان فيها ويؤمنان
بأن الحرية حماية لها .. وبدأ رؤوف يتردد كل يوم على البيت ..
انه يكاد يعيش فيه تقريبا .. وشهيرة تفرح به كلما فتح كتابا

وتفرغ كله له .. بل انها أكثر من ذلك كانت تتصل بالمعدين الذين يحتاج اليهم فى الدروس الخصوصية ، وتعطيهم رشوة من ابتسامتها وكلماتها الحلوة والامل ، حتى يساعدوا رؤوف على النجاح ..

— تفكر يا دكتور رؤوف حاينجج .. لازم ينجح علشان خاطرى .. اوعدنى انه ينجح ، واوعدنى لما ينجح ان احنا نفضل أصدقاء ..

كانت تقول الكلام فى التليفون .. وكانت تسعى الى صداقة عائلات الاساتذة المتزوجين .. كانت تحاول أن تساعد رؤوف على النجاح ، كما تساعد نفسها على النجاح فى الامتحانات .. ولكن رؤوف كان أحيانا يخفى .. ويحتج بأى حجة ليخفى ويبتعد عنها ..

وتعرف أن نوبة البريدج قد غلبته ..

وهى أيضا كانت تنابها نوبة .. نوبة الجيتار .. فلا يكاد رؤوف يخفى ليلة ، حتى تتصل بأصدقائها وتتفق معهم على قضاء المساء فى الملهى الراقص .. وفى كل مرة تزداد اعجابا بفن أشرف .. انه يزداد نجاحا .. الناس كلهم يتحدثون عنه .. والصحف بدأت تكتب عنه .. والبنات يتهاقن عليه ، ويتعلقن به .. وهو يستطيع دائما أن يشدهن اليه .. انه يعزف كأنه يدغدغ صدورهن .. وأحيانا كأنه يلعب معهن استغماية .. انه يتكلم ويغازل ويغضب ويفرح بأوتاره .. ولكنها ظلت حريصة على الابتعاد .. أنها فقط ترقص وتنظر الى أصابعه لا اليه .. انها لا تحب أن تكون كبقية البنات المتهاقنات عليه . ثم انها تخافه . تخاف احساسها به .. انها تعرف ضعفها نحو الموسيقى ونحو النجاح .. وهو موسيقى ناجح .. وتخشى أن يتحول ضعفها الى شخص الموسيقى الناجح .. ولا بد أنه لاحظ تعمدتها الابتعاد عنه دون بقية البنات

.. ولا بد أنه تتبعها بعينه على الأقل لأنها جميلة .. أجمل البنات .. وفى مرة لحته يبتسم لها وهو يعزف .. وتجاهلت ابتسامته ..

وفى ليلة من هذه الليالى اندمجت فى الرقص .. كان اللحن الراقص ينطلق فى أعصابها الى أن نسيت تعمدتها التحفظ أمام أشرف .. ورقصت يما تعودت أن ترقص .. ورقصها يتفوق حتى على اللحن الموسيقى .. وتشدد اعجاب كل الناس .. ترقص .. وترقص .. ونزل أشرف من فوق منصة الفرقة الموسيقية ، واقترب منها وهو يحمل جيتاره .. وأخذ يعزف لها . وتمادى وتفنن فى عزفه كأنه يتحداها أن تصل برقصاتها الى مستوى فنه .. وهى ترقص ، وهو يعزف .. والناس كلهم تركوا لها حلبة الرقص ووقفوا حولها يصرخون ويشهقون اعجابا بهما ..

وفجأة ..

رفعت رأسها كأنها لم تكن تدرى بكل هذا .. ورأت أشرف أمامها بالجيتار كأنها لم تكن تعرف أنه معها . وتوقفت عن الرقص .. وأخذت تتلفت حولها فى ذهول .. وأشرف ما يزال يعزف لها كأنه يحرضها على أن تعود للرقص .. ولكنها جرت خارجة خارج حلبة الرقص .. والناس كلهم يصفقون لها .. ينادونها . يهتفون لها .. وهى تجرى الى أن خرجت من الملهى كله ، وألقت نفسها وحدها فى سيارة تاكسى ..

وابتسمت سعيدة ..

أنها لم تتعمد ما حدث الليلة ..

ولكن ما حدث حلو .. الفن حلو .. والنجاح حلو .. و .. وأشرف حلو .. لا .. ليس أشرف .. انه الجيتار .. الجيتار حلو ..

ولكنها لن تعود ..

بأن الحب بناء .. أن تبني هي وحببها شيئا .. ولكنها لم تعد تستطيع أن تجد الشيء الذى تبنيه مع رؤوف .. واهتز حبها .. لم تعد ملهوفة على لقائه وأخباره ولم تعد تبذل الجهد الذى تعودت أن تبذله له .. أصبح حبها حبا عاطلا .. حبا بلا عمل ..

وخلال فترة حيرتها كانت تتبع أخبار عازف الجيتار أشرف .. انه يزداد نجاحا وشهرة ، وقد كون فرقة موسيقية خاصة به وأصحت أشهر الفرق الموسيقية الراقصة .. وأصدقائها وصديقاتها يتحدثون عنه دائما .. عن فنه .. وعن مغامراته النسائية .. ان أخباره أصبحت من أخبار النجوم .. نجوم الفن .. رهي تحس بضعف نحوه .. ليس ضعفا عاطفيا .. قطعا انها لا تحبه .. انها تحب رؤوف .. ولكنها تحس بأشرف كقوة تجذبها .. قوة النجاح .. قوة الشهرة .. وتحس بهذه القوة كأنها تجذبها من شعرها .. كأن أصابعه التى تتحكم فى أوتار الجيتار تتحكم فى خصلات شعرها ..

وسافرت الى الاسكندرية مع والدها وأمها لقضاء الصيف .

ورؤوف لم يتخلص بعد من نوبة البريدج ولكنه أضاف اليها نوبة سباق الخيل .. وهو يجلس بجانبها على شاطئ عابدة فى المنقزه بدرس ويذاكر جداول سباق الخيل .. ويختفى بعد الظهر ليلعب أو ليتردد على اسطبلات الخيل .. انه مصمم على النجاح فى سباق الخيل كما ينجح فى أى شيء .. وفى المساء يستسلم لنوبة البريدج ..

وأشرف فى الاسكندرية .. انه يقود الفرقة الموسيقية الراقصة فى الملهى اللبلى بفندق فلسطين .. وهى لا تزال مترددة فى الذهاب اليه .. منذ أن عزف لها الجيتار وهى ترقص ، لم تذهب اليه ولم تره .. ولكن لماذا تستمر فى التردد .. ماذا يمكن أن يكون

يجب ألا تعود ..

انها مسئولة عن شيء أكبر .. مسئولة عن نجاحها فى الامتحان ونجاح رؤوف ..

وفى الصباح التالى روت كل ما حدث لأبيها وأمها .. ثم روت لرؤوف وهما يبدءان المذاكرة .. انها لا تحب وليس من طبيعتها أن تخفى شيئا .. ولم يهتم رؤوف كثيرا ، ولكنه أخذ يروى لها تفاصيل جلسة البريدج التى سهر فيها ليلة أمس .. تفاصيل لا تهمها .. وهو يطيل فى حديثه ..

وتحاول أن توقفه عن الحديث ..

ذاكر يا رؤوف .. كفايه كلام بأه ..

ودخلت شهيرة الامتحان ..

ونجحت ..

لم يبق الا عام واحد وتنتخرج ..

وامتحن رؤوف ..

ورسب ..

سقط رؤوف فى الامتحان ..

ولم يكن سقوطه فى الامتحان هو كل ما هد شهيرة .. ولكن هدها أكثر عدم اهتمامه بالسقوط .. وهدها أكثر وأكثر انه كان قد أخفى عنها أنه لم يتقدم لامتحان معظم المواد .. كان يعرف أنه ساقط قبل أن يسقط ..

ومنبت أيام وشهيرة حائرة لا تستطيع أن ترسم صورة لمستقبلها .. ولا تستطيع أن ترى الطريق الذى تندفع فيه .. اهتز كل شيء فيها حتى حبها لرؤوف .. انها تحبه .. ولكنها تؤمن

وقامت سنية تترنح فى مشيتها .. وأشعلت وابور الجاز
 ووضعت فوقه صفيحة الماء ..
 وصرخت فيها سيدتها :
 — روى كهلئ كئس الضالئ لئاية المية ما تسخن ..
 وبدأت سنية تكئس من ئدئد ..
 الئ أن عادت سيدتها تصرخ :
 — بت يا سنية ..
 وألقت سنية المكئسة فى غيظ ، وذهبت الئ سيدتها ..
 وقالت السيدة :
 — سيدك السغير دئل الحمام ؟
 وقالت سنية فى تهالك :
 — أيوه يا سنى ..
 وقالت سكية وهئ تبتسم فى خبث :
 — طيب روى شوفئ يمكن يكون عايز حائه .. ولا عايز حد
 يظئه ضهره .. أصلى أنا مش قاده ..
 واتسعت عينا سنية دهشة ، واحمر وجهها ، ووقفت صامئة
 .. وصرخت فيها سيدتها :
 — جرى آيه يا بت .. اظن مكسوفئه .. ده سيدك لسه
 ماکمش سبعئاشر سنه ..
 وظلت سنية واقفة مذهولة لا تجيب ..
 واستطردت الست سكية ئائلة :
 — والنبئ أنت كهينه .. وماحدث عارف نيتك آيه .. طب
 خدى .. ناولئ سيدك الهدوم ..
 وأخذت سنية الهدوم الداخلية الئ ناولتها لها سيدتها ،
 وذهبت الئ الحمام ووقفت تنقر على بابه ..

— وصاح محمد من الداخل :
 — خئر ..
 ولم تفتح سنية الباب ، وعادت تنقر عليه ..
 وعاد محمد يصيح :
 — خشى يابت ..
 وقالت سنية من وراء الباب وهئ مرتبكة ، خجلة ، مغتاضة :
 — الهدوم يا سيدئ ..
 أوغئح محمد الباب نصف فتحة ، وأطل برأسه ، وقال :
 — ما تدخلى يا بت .. تعالى شوفئ الوابور باين عليه
 حينطفى .
 ومدت سنية يدها اليه بملابسه الداخلية ، وهئ تكرر فى خفر :
 — الهدوم يا سيدئ ..
 ويأخذ محمد الهدوم وهو يحاول أن يمك يدها ليشدها إلى
 داخل الحمام ، ولكنها جذبت يدها منه بسرعة ، وجرت إلى
 المطبخ .
 ولحقتها سيدتها وهئ تجرى إلى المطبخ ، فعادت تصيح :
 — بت يا سنية .. أنتئ يا بت ..
 وعادت إليها سنية .. وقفت على باب غرفة النوم وهئ تتنهد
 .. وقالت سكية وهئ ترفع حاجبيها :
 — بتتنهدئ ليه يا شاطره .. انشا الله تنهدئ .. روى
 يالله حضى العشا لئاية سيدك الكبير ما ييجئ .. وتعالى تانى .
 وذهبت سنية إلى المطبخ تعد طعام العشاء للحاج شاكـر —
 تاجر منيفاتورة فى الموسكى .. تعود ألا يعود إلى البيت الا بعد
 منتصف الليل ..
 وانتهت سنية من اعداد العشاء ، وسمعت نداء سيدتها ،
 فذهبت إليها ..

وقالت سكيئة وهى تناولها ابنها الصغير الذى يبلغ عمره
الثانية ولا يكف عن الصراخ :

— خدى نيمى سيدك الصغير ..

وقالت سنية :

— ده نايم من الصبح ، هو مش حا ينام تانى أبدا ..

وصرخت السيدة :

— يا بت بلاش لماضه .. ده يا حبة عينى ما نمش ساعه على
بعضها .. خدى نيميه احسن انا هلكت .. واول ما ينام نامى انتى
كيان بس خلى نومك خفيف ، علشان سيدك الكبير لما يجى تقفى
على اديه وهو بيتعشى .. فاهمه .. مش تنامى زى القتيله ..

وحملت سنية الطفل الصغير ووجهها مكرمش كأنها تلغنه ..
وذهبت به إلى المطبخ ، وفرشت للحاف القديم الذى تنام عليه ،
وجلست عليه والطفل فوق ركبته تهزه لينام .. والطفل مفتوح
العينين .. وسنية متعبة .. تريد ان تنام .. وغفت عيناها ..
وما كادت تغفو حتى بدأ الطفل يصرخ .. وفتحت سنية عينيها .
وبدأت تهز الطفل وهى تنظر اليه كأنها تهتم أن تخنقه بعينيها
وهمست :

— اتخمد باه .. انشأ الله ما تصحى ..

وهى تريد أن تنام .. والطفل يصرخ .. لا يكف عن الصراخ
.. وتريد أن تنام .. لم تعد تستطيع أن تقاوم .. وسكت الطفل
برهة .. وغفت عيناها .. ورات فى غفوتها سيدتها تصرخ وفيها
مفتوح إلى آخره .. وتصرخ . والطفل يصرخ . ولم تعد تستطيع
أن تميز بين صراخ سيدتها التى تسمعه فى حلمها .. وبين صراخ
الطفل الذى تحمله على ركبته ..

ومالت برأسها فى جلستها . واحلام مزعجة تلاحقها . وصراخ

.. صراخ كثير .. صراخ سيدتها .. وصراخ الطفل .. وصراخ
البيه الصغير .. وصورة البيه الكبير المعلقة على الجدار تصرخ ..
وفجأة أفاق سنية على سيدتها واقفة أمامها ترفسها برجلها
وتصرخ فيها :

— يا بت انتى انطرشتى .. مش سامعه سيدك بيعيط ..
ونايه زى الميتة ..

ونظرت سنية إلى سيدتها وقد اشتعلت عيناها بالنار .. نار
الغيظ .. والثورة .. والاحساس بالظلم .. ثم قامت واقفة ،
ودفعت الطفل فى صدر سيدتها .. صائحة :

— خدى .. نيميه انتى .. انا خارجه ..

واندفعت سنية نحو باب المطبخ المؤدى إلى سلم الخدم ،
وسيدتها تصيح وراءها :

— رايحة فين يا بت ..

ثم لان صوتها ، وقالت فى صوت اقرب إلى التوسل :

— يا بت اعلى .. ربنا يهديكى ..

وخرجت سيدة من الباب ..

وخرجت سيدتها وراءها :

— طيب استنى لما ائده عم عبده البواب ياخذك ..

ولم ترد سنية .. سعدت السلام كالجنونة ..

وتمتت سيدتها :

— طيب والله ما انتى واخده ولا مليم من ماهيتك ..



صعدت سنية إلى سطح العمارة .. واندفعت إلى حجرة فوق
السطوح ، وخطبت على بابها وهى تصيح :

— منعم .. منعم .. افتح يا منعم ..
 وفتح منعم .. شاب فى الرابعة والعشرين من عمره ، يرتدى
 بيجاما ويمسك فى يده كتابا .. وقال دهشا بمجرد أن رآها :
 — ايه اللى جابك دلوقتى يا سنية ؟
 وقالت سنية وهى تدخل الغرفة لاهثة ، وتلقى نفسها على
 الأريكة الاستامبوللى :
 — أنا سبت الشغل .. ما بقتش قادره أستحمل ..
 دول ناس ما عندهم ش قلب .. حايوتونى يا منعم .. كفرونى
 وكفروا عيشتى ..
 وقال منعم وهى يلقي الكتاب من يده ، ويجلس بجانبها :
 — بس انتى استحملتى كثير يا سنية .. ومش فاضل غير
 القليل ..
 وقالت سنية وهى تبكى :
 — خلاص .. مش قادره أستحمل ولا كثير ولا قليل ..
 مش قادره يا منعم ..
 وقال منعم :
 — بس ده مش فاضل على الامتحان غير خمس أشهر ..
 وقالت سنية :
 — منس قادره أستحمل ولا يوم واحد .. والشغل كثير ..
 عم عبده البواب قالى ان الجماعة اللى فى الدور الثالث عايزين
 واحده ..
 وقال منعم فى غيظ :
 — طيب كنتى استنيتى عند الجماعه دول لفاية أول الشهر .
 ده فاضل يومين اتنين .. دلوقتى مش حايديوك ماهيتك ..
 وقالت سنية :

— تفور الماهية ..
 ثم ألقت نفسها على صدره وقالت :
 — انت مش عايز راحتى يا منعم ..
 وقال منعم وهو يزفر أنفاسه :
 — أيوه يا حبيبتى .. اللى يريحك اعلميه ..
 وقالت سنية :
 — ربنا يخليك لى يا منعم ..
 وأعطته شفيتها ..
 وقبلها .. واحتضنها الى صدره .. واستسلمت له فى اعياء
 .. وبينما هو يقبها ، نامت ..
 ويقظها منعم وهو يبتسم :
 — سنية .. سنية .. انتى نمتى ..
 واستيقظت سنية ، وضحكت قائلة :
 — مش قلت لك انى تعبانه ..
 وقال منعم :
 — ما كنتش فاكر انك تعبانه للدرجة دى ..
 وقالت :

— أقوم أنزل أنام عند عم عبده ، أحسن يقول لى كنت نايمه
 فى ..
 وقبلته ، ونزلت وعلى شفيتها ابتسامه .. كأنها نسيت كل
 تعبها لمجرد هذه الغفوة السريعة على كتف منعم .. وهى تحب
 منعم .. تحبه .. ولا تذكر متى بدأت تحبه .. ولكنه سكن فى
 غرفة السطوح منذ عام .. وكانت تقابله على باب العمارة .. شىء
 كبير جذبها اليه .. ربما وجهه الريفى .. ونظرته القوية التى
 تهابها وتحترمها .. وقد حياها مرة .. ثم وجدت نفسها تصعد

الى السطوح لتبحث عنه وتحييه .. ثم حادثها وهي تنشر الغسيل .. حديثا طويلا متجددا .. وجذبها اليه أكثر انه ابن فلاح فقير . وأن أباه يرسل له ستة جنيهات في الشهر .. وفي يوم رأته حزينا بأثسا .. كان يبحث عن ثمن كتاب .. وأعطته ثمن الكتاب .. ذهبت الى سيدتها وسحبت من مرتبها ثمن الكتاب .. ويومها قبلته لأول مرة .. ثم أصبحت حياتها كلها قبلا .. وأعطته ثمن كتاب آخر .. ثم بدأ يحدثها عن الزواج .. انه يحدثها عن الزواج بنفس الصدق والاخلاص الذي يحدثها بهما عن أمه وهي جالسة أمام الفرن تخبز في بيت القرية .. وواعدته على الزواج .. بعد ان ينتهى من امتحان الليسانس في نهاية العام .. وتذكر يومها أنها دخلت معه الى غرفته وأغلق بابها ورائها .. وكانت المرة الأولى التى يغلق فيها الباب ورائهما .. وقال لها وهو يضمها الى صدره :

– يا حبيبتي يا مرأتى ..

ومن يومها وهو يغلق الباب ورائهما كلما دخلا الغرفة .. وقد تعودت أن تعطيه ثمن الكتب .. ثم أصبحت تشتري له الأكل أحيانا .. وفي مرة استطاعت أن تحصل على قميص أفرنجى أعطته له .. هل سرقته من بيت مخدومها .. انها لم تقل له انها سرقته .. وقد فرح به .. فرح بالقميص .. فرحته بالدنيا .. وكان أحيانا يداخلها الشك .. أولا تصدق نفسها .. هل حقيقة سيتزوجها .. انها تحبه .. وهي تنفق عليه كل مرتبها .. لم تعد تعطى أمها سوى جنيه واحد .. والباقي تنفقه على عبد المنعم .. الى أن ينجح .. ويصبح محاميا .. ويتزوجها .. وتصبح حرم الأستاذ عبد المنعم .. ويومها ستأتى ببنت صغيرة لخدمتها .. ولن تعاملها بقسوة كما تعاملها ست سكينه .. لا أبدا .. ولكنها أيضا لن تدعها تسرق القمصان كما تفعل هي ..

ونزلت على السلم وأحلامها واضحة أمامها .. وضوح النور كل شيء سيتحقق .. كل ما تحتاج اليه هو الصبر .. وتنهدت قائلة :

– الصبر يارب ..

ثم ذهبت الى عم عبده البواب ، وقالت له انها تركت خدمة ست سكينه التى تسكن الدور الأرضى .. وبكت له وهي تروى له كيف تعاملها .. وقال عم عبده :

– ما أنا عارف ست مافيش فى قلبها رحمة .. طيب خشى نامى مع الأولاد .. لغاية الصبح ما يحلها ربنا .. الجماعة اللي فى الدور الثالث طيبين .. وحايذوكى ماهية أد ماهيتك مرتين .. وعاد عم عبده ينام على الدكة أمام البوابة .. ودخلت سنية الى الغرفة التى تقع تحت السلم ..

كان سكان الدور الثالث .. زوجان لم ينقض على زواجهما أكثر من عام .. دائما الشجار .. وست فيفى شابة دلوعة تقضى يومها كله أمام المرآة .. تحدث أمها فى التليفون بالساعات .. والاستاذ نبيل شاب .. مدير احدى الشركات .. يتحمل زوجته قدر طاقته ، ويقضى ساعات طويلة فى غرفة المكتب يراجع دوسيهات الشركة ..

وفى اليوم الأول التفتت ست فيفى وهي جالسة أمام المرآة وسألت سنية فى بساطة :

– أنا حلوة يا سنية ..

وقالت سنية فى نفاق :

– حلوة بس يا ستى .. دى العمارة كلها تشهد بجمالك ..

ومن يوم ما شفت حضرتك وأنا نفسى أشتغل عند الست الحلوة
دى ..

ان فيفى مجنونة بجمالها ..

وبعد ثلاثة أيام قررت لسنية ماهية خمسة جنيه .. وفرحت
سنية ..

والأستاذ نبيل . ينظر الى سنية نظرات تحنن فيها . أحيانا
ترى نظراته تسقط على ساقها .. وأحيانا تحس بنظراته تلسع
ظهرها .. وأحيانا ترى في عينيه نظرات محترمة هادئة .. وهى
لا تستطيع أن تصدق أن زوجها جديدا لفتاة جميلة ، يمكن أن
يشتهيها .. أو يطمع فيها .. ولكنها كانت لا تستطيع أيضا أن
تجاهل معاني نظراته ..

ولم تسكت الست سكينه عندما علمت أن سنية اشتغلت في
الدور الثالث .. لقد صعدت كالزوبعة وأطلقت لسانها في وجه
الست فيفى ، ووصفتها بأنها سارقة الخاديات .. واتهمت سنية
بأنها سارقة .. و .. و .. وبكت فيفى ، واتصلت بأمها
واستدعتها لتنقذها من الست سكينه التى لا تكف عن ازعاجها ..
وجاءت أم فيفى .. ووقفت في وجه سكينه .. ترد على الكلمة
بكلمتين .. وعلى الصراخ بصراخ أعلى .. الى أن سكنت سكينه
.. واستطاع عم عبده البواب أن يقنعه بأن تدفع لسنية مرتبها
بعد خصم خمسة أيام ..

وكانت أم فيفى تدخل دائما فى المشاجرات التى تقع بين فيفى
وزوجها ..

ثم أصبحت سنية تدخل أيضا ..

وكانت فيفى تشكو لها من زوجها ..

وكان الأستاذ نبيل بعد أن تنام زوجته ، يتسلل من غرفة

مكتبه ، الى الفراندة التى تنام فيها سنية ، ويشكو لها من
زوجته ، ودلعها ، وعدم احترامها له .. وهى تستمع اليه فى
حذر ، وتطفى ساقها بطرف قميصها ..

ولم يكن يهم سنية أسباب الشجار الذى يقع بين الزوج
وزوجته .. ولكنها كانت سعيدة لأن كلا منهما يشكو لها ..
وأحست أنها شخصية هامة فى البيت .. وأحست أنها لا تقل عن
سيدتها ..

وأصبحت تتجراً وتطلب منها بقية قلم الروج القديم .. وتطلب
منها ايشاربا قديما .. ثم بدأت تنظر الى زجاجة العطر الذى
تتعطر به سيدتها .. انها تريد قطرة من هذا العطر تضعها خلف
أذنها - كما تفعل سيدتها - قبل أن تصعد الى منعم فى حجرته
فوق السطوح .. وحاولت أن تمنع نفسها .. أن تقاوم اغراء هذا
العطر .. انها سرقتة .. وهى لا تريد أن تسرق سيدتها الطيبة
.. ولكن زجاجة العطر تزغل عينيها .. والاغراء يشتد .. وأخيرا
ضعفت .. وسرقت قطرة العطر .. ويومها فرح بها منعم .. انها
لم تره أبدا يحبها كل هذا الحب ..

وأصبحت تسرق قطرة عطر كل يوم .. قبل أن تصعد الى
منعم .. ولاحظت أن الزجاجة تتناقص .. وخشيت أن تلاحظ
سيدتها .. فبدأت تضع قطرة ماء فى الزجاجة كلما أخذت منها
قطرة عطر .. ولم تلاحظ سيدتها شيئا .. كل ما لاحظته أن
العطر تخف رائحته ..

وأصبحت سنية تسرق أشياء صغيرة .. انها لا تسرق أشياء
ثمينة لتبيعها .. ولكنها تسرق فقط أشياء تحلى بها أنوثتها أمام
منعم .. سوتيان .. اشارب .. مندبل ..

انها ليست سارقة ..

انها فقط امرأة تحب ..

وفي يوم سرقت كرافتة من نبيل وأعطتها لحبيبتها ممنعم ..
ومرت أيام ، والتقى نبيل بمنعم على باب العمارة ، وراى كرافتته
الضائعة على صدره .. وسكت .. وعندما عاد الى البيت أخرج
من الدولاب كرافتة أخرى وذهب بها الى سنية في المطبخ ، وقال
لها وهو يضحك :

— من فضلك يا سنية ادى الكرافتة دى للجدع اللى ساكن
في السطوح ، وهاتى منه الكرافتة الى عنده ..
وبهتت سنية وقالت :

— وأنا مالى يا سيدى .. أنا ماعرفوش .. وماليش دعوة
بيه ..

وحاول الأستاذ أن يجعلها تعترف بأنها سرقت الكرافتة ،
ولكنها لم تعترف .. وأخيرا قال لها :

— طيب من هنا ورايح كل كرافتة عايزها تضيع هاديها لك .
وابتسمت سنية وسكتت ..
وهى سعيدة في هذا البيت ..
سعيدة جدا ..

والمشاجرات تزداد بين الزوجين .. وكلاهما يشكو لها ..
والحماة تدخل .. وتزغر الى سنية بعينين ساخطين وسمعتها
تقول :

— أنا البنت دى مش مطمئة لها ..
وردت فيفى :

— أبدا يا ماما .. دى مريحانى خالص ..

ولاحظت سنية أن سنيدها تتكلم فى التليفون كثيرا .. ربما
كان لها عشيق ..

ولاحظت أن الأستاذ نبيل أصبح يكرر التسلل الى الشرفة

بعد أن تنام زوجته .. ويظل معها الحديث .. ونظراته أصبحت
أكثر صراحة ..

وهى سعيدة ..

كل ما يقلقها أن موعد امتحان ممنعم يقترب .. وتخاف الا يفى
بوعده .. أن يتزوجها بعد التخرج .. لقد أعطته كل شيء .. أنها
تصرف عليه كل مرتبها .. أنها تطبخ له .. تغسل له هدمومه ..
تسرق له القمصان والكرافات .. فهل يخدعها بعد ذلك ..

وانتهى ممنعم من امتحانه ..

وفي اليوم المحدد لظهور النتيجة صعدت له في الليل الى غرفته
.. وخبطت على الباب ..

لا أحد يرد ..

وسقط قلبها .. أحسست بمصيبة قد وقعت .. ونزلت تجرى
الى عم عبده البواب .. فأخبرها أن الأستاذ ممنعم قد جمع عفشه
ودفع متأخر الايجار .. وعزل ..
وبهتت سنية ..

جنت ..

وصعدت تجرى الى الشقة التى تعمل فيها .. و ..

وعم عبده يصيح وراءها ساخرا :

— انتى كنتى فاكره انه حيقعد لك .. ولا فاكره انه حياخذك
معا ..

وتكورت سنية على أرض المطبخ .. جالسة ساهمة ..
ونظرات مجنونة في عينيها .. والست فيفى تنادى عليها ولا
تسمعها .. وجاءت فيفى ورأتها وسألتها :

— مالك يا سنية؟

وقالت وعيناها زائفتان :

– تعبانه .. تعبانه قوى ..
وقالت فيفى فى اشفاق :
– طيب خديلك اسبرينه ..
وقالت سنينة ساهمة :
– حاضر ...

وهى تفكر .. تفكر فى عمرها الذى ضاع .. فى خيانة منعم ..
فى كل ما فعلته له .. فى قلبها المصدوم ..
والليل يزحف ..
وقامت فى هدوء وقد نام كل من فى البيت .. وببدا ثابتة ..
سكبت على نفسها صفيحة الجاز .. ودموعها واقفة فى عينيها ..
وأمسكت بعود الكبريت .. وقرات الشهادتين .. وهمست الله
لا يسامحك يا منعم .. و ..
وفى هذه اللحظة دخل الأستاذ نبيل ..
ووقف على باب المطبخ .. ورأى سنينة مبلولة .. ورائحة الغاز
تفوح منها ..
وقال فى هدوء :
– بلاش يا سنينة .. ما فيش حاجة تستاهل ده كله ..
ولم تسمعه سنينة ..
ولم ترد ..
وأشعلت عود الكبريت ..
وبسرعة هجم عليها الأستاذ نبيل ، وأطفأ العود .. ثم مزق
ثوبها حتى يخلصها منه .. وجسدها يرتعش من تحت الثوب
المزق ..
وانهارت ..
وألقت نفسها بين ذراعى الأستاذ نبيل ..

تبكى فى تشنيج ..

ونبيل يحاول أن يهدئها .. وشفته قريبتان جدا من شفتها
.. وجسدها بين ذراعيه ..

ولم تعد تدرى ما يحدث ..
وتغيرت سنينة منذ الصباح التالى ..
لم يعد يهمها أن تعطى للأستاذ نبيل ما يريد منها .. تعطيه
فى أهمال .. كأنها تحتقره .. وتعامله بقسوة .. وتطلب منه فى
جشع ..
ولم يعد يهمها أن ترضى سيدتها .. انها ترد عليها بفظاظة ..
وتهمل فى عملها ..
وفى يوم تشاجرت فيفى مع زوجها .. وتدخلت سنينة ووقفت
فى صف نبيل ضد زوجته .. ولم تكن تفعل ذلك من قبل .. كانت
تحرص أن تقف على الحياد .. تسمعهما دون أن تبدى رأيا ..
وئارت فيفى وصرخت فى زوجها :
– هو أنا مش عارفة انت بتعمل ايه يا بتاع الخدمات ..
واستدعت أمها بالتليفون .. وقالت لها ان زوجها يتسلل
بالليل – ويذهب الى الخادمة ، وانها مصرة على الطلاق ..
وقالت الأم :
– ما تبقيش عبيطة يا بنتى .. بدل ما تطردى جوزك ،
اطردى الخادمة ..
وقامت الأم ، وطردت سنينة ..
ونزلت سنينة الى عم عبده البواب تحمل حقيبة ملابسها ..
وقال لها ضاحكا :
– ولا يهمك .. البت اللي فى الدور السادس مش مستريحة

في الشغل .. تنزل هي الدور الثالث وتطلى انتى السادس ..
التحقت سنوية بخدمة العائلة التي تسكن الدور السادس ..
وقد تغيرت شخصيتها بعد صدمتها في حبها . وأصبحت أكثر وعيا
للحياة .. وأكثر هدوءا .. وأصبحت أكثر جراءة .. ويسيطر
عليها أحساس باللامبالاة ..

وكانت العائلة التي تسكن الدور السادس مرحه مكونة من
زوج وزوجته وثلاث بنات ..

زينب .. فتاة خيالية تعيش في أوهاام الحب ، تقضى طول
يومها تمثل وتقلد ممثلات السينما ..

أحلام .. فتاة تدعى الثقافة ، طالبة في الجامعة ، تضع على
عينها نظارات رغم أنها ليست في حاجة إليها .. وتقضى يومها
وفي يدها كتاب ، وتتحدث عن الأدباء الانجليز ..

ليلى .. فتاة تبحث عن زوج .. وتهوى معاكسة الشبان ..
وبدأت سنوية تعيش في مرح العائلة .. زينب تحاول أن تشرکہا
معها في التمثيل ، وتروى لها القصص التي تتخيلها في أوهاامها ..
وأحلام تحاول أن تثقفها وتقرأ لها الكتب .. وليلى تطلعها على
أسرارها وتكلفها بأن تعاكس حبيبها حتى تتأكد من إخلاصه ..
والزوج .. عبد العزيز بيه .. يغازل سنوية علنا أمام زوجته
مغازلات بريئة ..

وأحبت سنوية العائلة رغم كثرة الشغل .. فكل بنت تكلفها
بشيء .. وكل بنت لها نزوة ..

والتقت سنوية على سلم العمارة بالأستاذ نبيل الذي كانت
تعمل عنده فأحنى رأسه ومر من أمامها وهو متخذ مظهر الوقار
وكانه لا يعرفها .. وضحكت سنوية ساخرة منه ..

والبنات الثلاث يغازلن ثلاثة شبان من طلبة كلية الهندسة

والتجارة يجتمعون في شقة في العمارة المجاورة .. ابن صاحب
الشقة وصديقه .. يذاكرون دروسهم .. وكان لهم صديق رابع
أضعفهم شخصية وأقلهم وسامة ، حائر متأخر في دروسه ..
وهو ابن موظف كبير .. اسمه حاتم ..

وحاتم يلح على أصدقائه أن يعرفوه ببنت .. ويضايقهم أثناء
معاكستهم لبنات الجيران والتحدث معهم في التليفون ، فيتفق
الأصدقاء الثلاثة مع البنات على أن يدفعن خادمتهم سنوية الى
التحدث مع حاتم في التليفون على اعتبار أنها صديقتهم ..
ويفرح الأولاد والبنات بالفكرة ..

ويجتمع البنات الثلاث حول سنوية ويقنعنها بأن تحدث حاتم
في التليفون .. وتأخذ سنوية الأمر ببساطة وتحدته وتدعى أن
اسمها شهيرة .. ثم تحدته مرات كثيرة .. ثم تأخذ نمره تليفونه
في بيته وتحدته فيه .. ثم أصبحت تحدته دون أن تطلع بنات
العائلة .. ولم يكن هناك شيء يدفعها الى حديثه سوى الزهق ..
كلما زهقت بالليل .. حادثته ..

وحاتم بدأ يغوى حديث سنوية .. وربما لاحظ أنها لا تتحدث
كبنات الذوات .. ولا تعرف بنات النادي الأهلى ولكنه كان في
حاجة الى حديثها .. كانت البنت الأولى في حياته التي تحدته
في التليفون .. وقد أثرت عليه بحيث بدأت شخصيته تتغير ..
كان انتظاره لها في التليفون يدفعه الى أستذكار دروسه . ويبعده
عن أصدقائه الذين يسخرون منه ..

وهو يلح في أن تقابله ..
وأخيرا يتفق البنات مع الأولاد على أن تذهب سنوية لمقابلته .
وترضى سنوية بعد تردد .. لقد أصبحت تشفق على حاتم من
المقلب ..

ولم يطلعوا سنية على ما دبروه .. قالوا لها انهن في انتظار
ضيوف .. وأن عليها أن تقدم لهم الشاي ..
 واجتمع الأصدقاء والبنات ..
 ودخلت سنية وهي ترتدى زى الخادمت تحمل صينية
 الشاي ..

وما كادت ترى حاتم حتى تجمدت ..
 وقفز حاتم واقفا فاغرا فاه ..
 وقالت ليلى ساخرة :
 - جرى ايه يا حاتم .. انت تعرف سنية خادمتنا .. ؟
 وضحك الشبان ..
 ضحكات كثيرة قاسية ..
 ووقعت الصينية من يد سنية ، وتحطمت على الأرض ..
 ثم جرت الى المطبخ ..
 وافاق حاتم من الصدمة وجرى وراءها دون ان يستأذن
 أحدا ..

وصرخت سنية وحاتم يحاول أن يمسك بها في المطبخ :
 - سيبنى .. أنا خدامة .. أنا خدامة ..
 وقال حاتم :
 أنا ما يهمنيش انتى ايه .. كل اللى يهمنى انى باحبك ..
 وقالت سنية بين دموعها :
 - لا .. يهملك .. يهملك ..
 وقال حاتم :
 - أنا مستعد أتجوزك يا شهيرة ..
 وتقول :
 - بس أنا مش شهيرة .. أنا سنية ..

ويجتمع البنات ويلبسن سنية ثوبا من ثيابهن ، ويعقصن لها
 شعرها ويضعن لها المساحيق ، بحيث تبدو كبنات ذوات ..
 وتذهب لمقابلة حاتم الذى كان يقود سيارة العائلة ..
 وربما لاحظ حاتم أن فى سنية شيئا يحيره .. ولكنه لم يهتم .
 لقد كان فرحا بمقابلتها ..

وتعددت مقابلات سنية وحاتم ..
 وبدأت سنية تميل اليه وتنسى حبيبها الأول منعم .. ولكن
 كان القلب يقلقها .. كانت تخاف أن يكتشف أنها خادمة ..
 واستطاعت أن تقنعه بأن يتعد عن أصدقائه .. حتى لا يكشفوا
 له عن شخصيتها ..

وبدأت هى أيضا تقابلة دون أن تخبر البنات وكانت تقترض
 منهن ثيابهن فى مرح .. تبتكر فى كل مرة قصة حتى يقرضنها ثوبا
 تخرج به لمقابلة حاتم ..
 وأحبها حاتم ..

ورفع الحب من شخصيته .. بدأت تتميز فى تصرفاته ،
 ويتفوق فى دروسه .. حتى أبوه غير رأيه فيه ..
 ولاحظت البنات والأولاد أن حاتما وسنية قد ابتعدا عنهم ..
 لاحظوا أنه أصبح بينهما علاقة خفية ..
 لاحظت البنات أن سنية تخفى عنهن تصرفاتها .. ولاحظ
 الأولاد أن حاتما لم يعد يهتم بهم ..

وقرر البنات والأولاد أن يضعوا خاتمة للمقلب ..
 وعرف البنات أن أباهن وأمهن سيذهبان الى زيارة عائلية ..
 وانفقن فى هذا اليوم أن يدعوا الى البيت الشبان الثلاثة ، ومعهم
 حاتم .. ويفاجئوه بسنية تدخل اليه حاملة صينية الشاي ..

— لا .. أنا حادور على عمارة ثانية ..
وتذهب حاملة ملابسها ..
وتمر على مكان لقائها مع حاتم ، وتراه من بعيد واقفا في
انتظارها ، ولا يراها ..
ولا تذهب اليه ..
تستمر في سيرها ..
وتختفى بين العمارات الكثيرة الضخمة .. وفي كل نافذة من
نوافذها رجل يطل عليها ..

وقال حاتم :
— مهما كان اسمك .. مستعد أتجوزك .. أنا باحبك انت
مش باحب اسمك ..
— ما تجبش سيرة الجواز .. الأسياد عمرهم ما يتجوزوا
الخدمات ..
ويستمر الحوار ..
وتهدأ سنية مرة واحدة ، وهي عصبية ، ثم تقول له وهي
تنظر اليه كأنها تودعه :
— طيب استناني مطرح ما بنتقابل .. بعد نص ساعة ..
ويخرج حاتم ..
وتدخل البنات ، فيرين سنية تجمع ملابسها ..
وتقول زينب :
— انتى زعلتى يا سنية ..
وتقول سنية :
— لا .. احنا مش كنا متفقين على كده ..
ويحاول البنات أن يقنعن سنية بأن تبقى ، ولكنها تصر على
أن تذهب ..
وتقول أحلام وسنية تخرج من باب المطبخ :
— والنبي حرام ..
ثم تبكى ..
ويبكي البنات الثلاث بحرقة ..
وتنزل سنية من سلم الخدم ، ويقابلها عم عبده البواب ،
ويقول لها دون أن ينظر اليها :
— الجماعة اللى فى الدور الخامس عايزين خدمة ..
وتقول سنية :

كتب للأستاذ احسان عبد القدوس

- | | |
|----------------------------------|---------------------|
| ١٦ - شفتاه | ١ - صانع الحب |
| ١٧ - لا ٠٠ ليس جسديك | ٢ - بائع الحب |
| ١٨ - عقلى وقلبي | ٣ - انا حرة |
| ١٩ - بئر الحرمان | ٤ - الطريق المسدود |
| ٢٠ - علبة من صفيح | ٥ - ابن عمري |
| ٢١ - ثقوب في الثوب الاسود | ٦ - النظارة السوداء |
| ٢٢ - بنت السلطان | ٧ - في بيتنا رجل |
| ٢٣ - سيدة في خدمتك | ٨ - لا انا |
| ٢٤ - نساء لهن أسنان بيضاء | ٩ - منتهى الحب |
| ٢٥ - الرصاصة لا تزال في جيبي | ١٠ - لا تطفىء الشمس |
| ٢٦ - لا أستطيع أن افكر وانا ارقص | ١١ - شيء في صدري |
| ٢٧ - الوسادة الخالية | ١٢ - زوجة احمد |
| ٢٨ - دمي ودموعي وابتسامتي | ١٣ - البنات والصيف |
| ٢٩ - الراقصة والسياسي | ١٤ - لا شيء بهم |
| | ١٥ - أنف وثلاث عيون |

رقم الايداع ٣٦١٠
الترقيم الدولى ٩٧٧

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - البجالة

الثلثين ٣٥٠ قرشا

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه